الفصل الثاني

الإتجاهات العلمانية والدينية في القرن التاسع عشر

المبحث الأول : الإتّجاه الإندماجي العلماني

تــوطئــة

لاشك في أن كل تيار أو اتجاه فكري تمثله حركات و أشخاص . إذ يجتمع بعض من الأشخاص ذوي الرؤية المتشابهة و أصحاب خط تفسيري و تحليلي واحد أو متشابه حول قضية أو جملة من القضايا ، ومن ثمّ يشكّلون فرقة يضعون مبادئ أساسية لها ويدافعون عنها . من هذا المنطلق نستطيع أن نفهم ظهور حركات و فرق يهودية كثيرة ، حيث كانت هذه الفرق عبر التأريخ إمتداداً لتفسيرات و تحليلات متباينة للنصوص الدينية و المسألة اليهودية.

يُعد القرن التاسع عشر نقطة تحول استراتيجية بالنسبة للفكر اليهودي . ففي هذا القرن شهد الفكر اليهودي تحولات كبيرة باتجاهات مختلفة . بعض هذه التحولات جاءت نتيجة طبيعية لخصائص الديانة اليهودية و الفكر اليهودي أيضاً ، و بعضها الآخر كان تحولاً جذرياً لمبادئ الفكر اليهودي . و نتيجة لذلك نرى أن الأهداف و النتائج تنوّعت بشكل كبير . فاتجاهات الفكر اليهودي في القرن التاسع عشر متعددة . إذ هناك اتجاهات دينية أصولية ، وعلمانية حداثية ، وحلولية ، وإصلاحية ، وقومية سياسية ، وعنصرية ... الخ.

والفرق اليهودية باتجاهاتها المختلفة ، تجد لها الخلفيات الدينية و العقيدية في النصوص اليهودية المقدّسة . حيث نرى أن تلك النصوص تتضمن كثيراً من المفاهيم و المبادئ المختلفة الي تتبنّاها الفرق اليهودية باختلافاتها الفكرية و المنهجية . لذلك نستطيع أن ندرج قائمة من الحركات اليهودية في القرن التاسع عشر ضمن الفرق و الإتجاهات الدينية التي أثّرت في قناعات الجاليات اليهودية تأثيراً كبيراًحتى أصبحت هذه الفرق ديانات يهودية جديدة ، أي أنّنا باستطاعتنا أن نقول (اليهودية الحسيدية) حين نشير الى الإتجاه الحسيدي ، أو (اليهودية الإصلاحية) حين نبحث عن الإصلاحات التي قام بها مجموعة من المفكرين اليهود في القرن التاسع عشر.

فالتعددية الدينية ناتجة عن تراكم المفاهيم الدينية المختلفة في تشكيلة العقائد اليهودية . أي أن هذه العقائد تحمل في طيّاتها جذور التعدّدية العقيدية ، بسبب ما تضمنته من تناقضات . فهي في حين تدّعي روح المحبة و السلام تدعو في نصوص كثيرة الى سحق قوة الشعوب الأخرى و طمس تعاليم الديانات غير اليهودية واعتبار غير اليهود كائنات (بل حيوانات !) واجبها الأسمى هو خدمة اليهود ! .

ففي مثل هذا المناخ نرى أن فرقاً تأتي لتستغلّ مبادئ الإتجاه الأول أو تؤمن بها إيماناً راسخاً . وتأتي فرق أخرى تتبنّى مفاهيم الإتجاه الثاني و تهمل النصوص التي تدعو للسلام و التعايش.

نحن في دراستنا نحاول أن نسلّط الضوء على أهم الإتجاهات من خلال بحث الحركات اليهودية في القرن التاسع عشر ، وعرض آراء و أعمال هذه الحركات من خلال مفكّريها . أي الآراء التي تتعلّق بصلب الديانة اليهودية من حيث نصوصها المقدّسة و تأريخها ، والتي تتعلّق بوضع الجماعات اليهودية ، ومستقبل اليهود ، و العقائد أو المفاهيم اليهودية ، و التقاليد أو الثقافات اليهودية عموماً .

من هنا نتناول في هذا الفصل أهمَ الحركات الدينية التي تمثل (الفكرالديني اليهودي) في القرن التاسع عشر ، و نكتب أيضاً عن الإتجاه العلماني المتمثل في حركة التنوير اليهودية ، ونحاول أن نكتب عن أهمّ المفاهيم و الإضافات التي تركتها كل فرقة من الفرق خلفها ، والميادين التي أثّرت فيها . و نختار الإتّجاهات الأكثر شيوعاً و تأثيراً . وفي هذا الفصل نبحث الحركات في مبحثين :

الأول مخصّص للإتّجاه العلماني الإندماجي ، و **الثاني** للإتّجاهات الدينية التي تمثّل الفكر الديني اليهودي .

المطلب الأول

الجماعات اليهودية في العصر الحديث

أولاً : الشُتات . اليهودية الحاخامية

حين دُمّر هيكل سليمان سنة 70م من قِبل الإمبراطور الروماني (تيتوس) وبعد تدمير مدينة أورشليم مع الهيكل اضطر اليهود للهجرة الى حيث يوجد عيش آمن و مناخ إقتصادي مناسب ، فانتشروا في بقاع العالم المختلفة و بهذا بدأت سلسلة من الهجرات عبر البلدان و القارات ، و الهجرات كانت لها دوافع ذاتية و خارجية. فالذاتية كانت التطلعات اليهودية المفرطة للمال و العيش الرغد كصفة جوهرية للجماعات اليهودية عبر التأريخ ، و الدوافع الخارجية كانت التعاملات الخارجية مع اليهود مثل التهجير و الطرد أو الاضطهاد فبعد كل هذه الهجرات تشتت اليهود و ظهرت جماعات يهودية مختلفة من حيث اللغة و الثقافة نتيجة للظروف المختلفة لكل جماعة منهم. لكن الإنتماء الى العقيدة و المفاهيم اليهودية التقليدية (مثل مفهوم الشعب المقدس او الارض الموعودة...) بقي حياً في وجدان أعضاء الجماعات .

بدأت مرحلة الهجرات أو العيش خارج فلسطين " حين فضلت أعداد كبيرة من اليهود الإستمرار في بابل مكونِةً بذلك نواة أول جماعة يهودية تستقر خارج فلسطين بعد مرحلة التهجير البابلي. [1] "

إذن بعد الزحف البابلي على فلسطين برزت أول جماعة يهودية خارج فلسطين، و بعد التدمير الثاني و الأخير لمعبد سليمان و مدينة أورشليم دخلت مرحلة الهجرة اليهودية في نطاق أوسع بحيث أصبحت نمطاً سائداً في حياة الجماعات اليهودية . و الهجرات هذه خلقت أنواعاً مختلفة من الجماعات الدينية و الفكرية و الإجتماعية.

و الجماعات اليهودية و صلت إلى كثير من البلدان في العالم، أما الكثافة السكانية اليهودية – منذ القرن الحادي عشر– فقد انتقلت من الشرق الأوسط و المناطق المجاورة الى أوروبا عموماً و شرقها بصورة خاصة، خاصة بعد طرد اليهود من اسبانيا عام 1492 بعد أن سيطر المسيحيون عليها واحتلوها (و كانت الأندلس حتى الإحتلال المسيحي جوهر الحضارة الإسلامية) و بعد طردهم من البرتغال ، او من انجلترا 1290، او من فرنسا عام 1306 و 1394 هاجر عدد من هؤلاء المطرودين الى أوروبا الشرقية و روسيا، خاصة المطرودين الإسبان . [2]

فمنذ ذلك الوقت تعيش جماعات يهودية في أوروبا، تهاجر من منطقة الى اخرى ثم يعود الوجود اليهودي الى المناطق التي منعت هذا الوجود، و الأسباب وراء هذه الجولات و الهجرات تكمن في البعدين المادي و الأمني كما ذكرنا في السابق .

إن أكبر صفة أخذتها لنفسها الجماعات اليهودية المنتشرة في العالم هي أنهم كانوا " قد حقدوا على كل من له وطن ، و كرهوا الأوطان والمواطنين ... و ترتب على ذلك أنهم لم يعرفوا الولاء لوطن نزلوا به ، و لاحقتهم من جديد عزلتهم ... الّتي كانت أبرز صفاتهم ، فإذا بهم يعيشون في أحياء خاصة بهم ... و كان مجتمع اليهود مصدر الخيانات و المؤامرات ضد كل بلد نزلوا فيه. [1] "

و حياة الجماعات اليهودية في دول العالم (أي غير فلسطين) تُسمى في الأدبيات اليهودية بـ (الشتات) أي كل من يعيش . من اليهود . خارج فلسطين فهو يعيش في (الشتات) أو (الدياسبورا) أو (المنفى).

و طوال القرون التي عاشتها الجماعات اليهودية في الشتات ، كان يقوم بالشؤون الدينية و الدنيوية للجماعات أشخاص يسمون بـ (الحاخامات) . هذه الكلمة كانت تستخدم " للإشارة الى القائد الديني للجماعة اليهودية الذي كان يقوم بتفسير التوارة و إصدار الفتاوى تماماً مثل فقهاء اليهود القدامى ، الى جانب قيامه بالإشراف على الصلوات في المعبد اليهودي ، و كثيراً ما كان يضطلع بوظائف دنيوية مثل جمع الضرائب و الإشراف على تنفيذ تعاليم الحكومة [2] " و كلمة (حاخام) " عبرية معناها الرجل الحكيم أو العاقل. [3] "

---

[1] موسوعة اليهود واليهودية ، م2، ج1، ب6، مدخل (هجرات اعضاء الجماعات اليهودية حتى بداية العصر الحديث).

[2] راجع ص (41) من هذه الدراسة .

[1] شلبي ، د. أحمد : مقارنة الأديان ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 99 . 100 .

[2] موسوعة اليهود واليهودية ، م5 ، ج2 ، ب7، مدخل (الحاخامات بمعنى الفقهاء).

[3] المرجع نفسه، المدخل نفسه.

هؤلاء الحاخامات كانوا قد هيمنوا على فكر و وجدان أعضاء الجماعات اليهودية، و نتيجة للسلطة التي كانوا يتمتعون بها فقد تشكلت مؤسسة حاخامية استطاعت أن تمارس سلطةً دينية و تشريعية مطلقة و من خلالها استغلت المفاهيم التوراتية و التلمودية لتعميق الولاء القومي للديانة اليهودية ، أو المدلول القومي لليهودية.

وكانت نصوص القانونين المكتوب و الشفوي تسمح بترسيخ أدب العنصرية و ثقافة الأغيار . و كانت المؤسسة الحاخامية " أخذت تدريجياً تكتسب مركزية بين أعضاء الجماعات اليهودية و في النسق الديني اليهودي منذ عام 70م إلى أن تبلورت اليهودية الحاخامية و أصبحت هي اليهودية منذ القرن السابع الميلادي و حتى نهاية القرن التاسع عشر " [4] .

هذا إضافة إلى أن التراث القبالي استطاع . خاصة في القرنين الخامس و السادس الميلاديين . أن يهيمن على حياة الجماعات اليهودية و من خلال شخصية الصديق (التساديك) نجح في تهميش دور الحاخام قليلاً، لكن منذ القرن السابع الميلادي ترسخ دور الحاخامات بالكامل و تضاءل تأثير الزعماء القباليين ، مما أدى بالفعل إلى تبلور نمط معين لليهودية يسمى بـ (اليهودية الحاخامية) هذه اليهودية هي التفسير الحاخامي للتلمود (القانون الشفوي) أكثر من كونها ترجمة للتوارة (القانون المكتوب) .

و الحاخامات أنفسهم في إطار هذه اليهودية يعدون مصادر التشريع و معايير تحديد الأخلاقيات الدينية و المسائل الفقهية و العقيدية. بل في كثير من الأحيان نرى في أدبيات اليهودية الحاخامية أن أقوال و آراء الحاخامات تتفوق لتحتل مكانة القداسة أكثر من النصوص الدينية، و في بعض المسائل يستطيع الحاخام أن يوقف أمراً إلهياً معلَناً في نصوصهم المقدسة . لذلك فالحاخامات في اليهودية الحاخامية يحتلون مرتبة المركزية الدينية العليا، وهم بزعمهم عارفون بالأسرار الإلهية و مكلفون من قبل الله مباشرة بقيادة شعبه المختار فهيمنوا على عقلية الجماعات اليهودية الساذجة ، و حبست هذه العقلية حتى نهايات القرن التاسع عشر في قفص مفاهيم تقليدية أتت بويلات كثيرة لجميع الجماعات اليهودية المنتشرة في أوروبا ، منها الطرد او التهجير الذي واجهته الجماعات في كثير من البلدان الأوروبية .

ثانياً : الجماعات اليهودية في الغيتو

إن الطبيعة الإنعزالية للجماعات اليهودية عموماً تعد من أبرز سماتها الثقافية و الحضارية. فاليهود يحتقرون غيرهم من أتباع الديانات الأخرى و الأنواع البشرية أيضاً. و ربما كانت العزلة وسيلة مهمة لحفظ المقومات الدينية و القومية و الثقافية لليهودية وحقيقةً قد لعب دوراً مؤثراً في الحفاظ على هذه المقومات.و حين نقول إن العزلة وسيلة، فإننا لا نقصد بأنها مبتكرة من قِبل اليهود أنفسهم وحدهم بل نحن نعتقد أن هناك أسباباً ذاتية و خارجية معاً عملت على تكوين الشخصية الإنعزالية اليهودية و في بعض الأحيان من غير إرادة و شعور اليهودي ، خاصة اليهودي الملحد الذي تجاوز كثيراً من المفاهيم اليهودية و تأثر بالثقافة الغربية الحديثة.

و إن كانت العزلة قد طورها الفكر اليهودي من خلال اتجاهاته الأرثوذكسية أو الحسيدية او المحافظة أو الصهيونية[1].

فالعزلة اليهودية بدأت منذ بروز معالم الثقافة الدينية اليهودية ، " ثم أصبحت العزلة تقليداً يهودياً لا محيد عنه، و ترتب على هذه الإنعزالات مجافاتهم لمن حولهم في جميع مراحل التأريخ ، و اعتبارهم مَنْ حولهم من الأمم أعداءً لهم " [2] .

---

[4] المرجع نفسه، المدخل نفسه .

[1] كتبتُ عن كل هذه الاتجاهات في طول الدراسة، بل الدراسة محاولة لتفسير و توضيح فلسفة هذه الإتجاهات و غيرها من أنماط وحركات فكرية اخرى برزت و تطورت في القرن التاسع عشر .

[2] شلبي ، مقارنة الاديان، المرجع السابق، ج1 ، ص58 نقلاً عن. Charles kent: A History of the Hebrew people, P.25

و قد ترسخت الطبيعة الإنعزالية اليهودية خاصة بعد الإنتشار الواسع للأدب التلمودي منذ القرن السابع الميلادي ، وفي العصر الحديث (القرن الثامن عشر) برزت العزلة اليهودية بصورة أكبر، و ربما يرجع ذلك إلى تعامل الأوروبيين مع الجماعات اليهودية ، حيث حدث توتر في تلك التعاملات (و هذا سنبيّنه بالتفصيل فيما بعد).

"ويصف الدكتور وايزمان (*) أول رئيس لإسرائيل طابع العزلة في اليهودية بقوله:

كان اليهود في موتول (مسقط رأسه) بروسيا يعيشون كما يعيش اليهود في مئات المدن الصغيرة و الكبيرة، منعزلين منكمشين ، و في عالم غير عالم الناس الذين يعيشون معهم . [1] "

فالعزلة التي تصدر عن طبيعة اليهود و ديانتهم تكوّن عنصراً أساسياً في الحضارة الدينية و الثقافية اليهودية، يقول الدكتور احمد شلبي " :[2] اتجه الفكر اليهودي إلى اعتبار العزلة أساس حياة اليهود ، و أدق صورة للتحريض على العزلة و التمسك بها... و تسبب عن هذه المعزلة أحداث بالغة الخطورة ، فقد نظروا إلى سواهم نظرة عداء و حذر، و بالتالي لم يدينوا بولاء إلى الوطن الذي يجمعهم بالآخرين، و إنما اتجهوا بولائهم إلى جماعاتهم، فأصبحت هذه الجماعة هي وطنهم ، و هي دينهم ، و هي موضع تقديسهم و ليس لهم بسواها صلة او ارتباط . "

بسبب انغلاق الجماعات اليهودية في أوروبا على أنفسهم ، برز نموذج جديد في العصر الحديث، حيث كانت تلك الجماعات تقطن في مناطق و أحياء مغلقة داخل المدن الأوربية ، و سمّيت هذه الأحياء المغلقة بـ (الغيتو).

يقول الأستاذ عجاج نويهض " : [3]هذه الكلمة غيتو أو جيتو، يقول المعجم الإنكليزي على الراجح أنها من أصل ايطالي (Borghetto) تصغير (Borgo) اي (الحي) من المدينة او البلدة.

و هذا في الإنكليزية Borough و تطوّر الإستعمال حتى اختصت هذه الكلمة بالحي الذي يسكنه اليهود دون سواهم في اي بلد اوروبي... ان اليهود انكمشوا إلى هذا انكماشا و لم يساقوا اليه بالإكراه. "

أي ان الجماعات اليهودية في أوروبا اختارت بإرادتها هذه الطريقة للعيش المنعزل، لكن هذا الاختيار جاء بدوافع سنذكرها لاحقاً، و يشير الأستاذ نويهض إلى " أن أول ما نشأ هذا في إيطاليا، في القرن الحادي عشر... ثم شاع هذا في أوروبا، في ألمانيا و بافاريا و أوستريا و بلاد الإنكليز حتى القرن التاسع عشر. و مع بقاء كلمة (غيتو) تعني الحي

(*)**حاييم وايزمان) 1864-1952** : (وُلد في روسيا ، و هو زعيم صهيوني، عالم كيميائي ، وأول رئيس لدولة إسرائيل... بعد حصوله على الدكتوراه من ألمانيا عام 1899، قام وايزمان بالتدريس في سويسرا (1901) ثم ألمانيا) 1904 ..(

ساهم في تأسيس الجامعة العبرية، كما ساهم في تأسيس أحد أهم المعاهد العلمية في فلسطين الذي أصبح بعد ذلك معهد وايزمان للعلوم.. كان من أوائل المفكرين والزعماء الصهاينة الذين أدركوا عبث الجهود الصهيونية الذاتية وحتمية الاعتماد على الدعم الإمبريالي لوضع المشروع الصهيوني موضع التنفيذ . واعتقد وايزمان أن الدولة الصهيونية تحتاج إلى الدعم الإمبريالي وإنجلترا تحتاج إلى قاعدة ، وبما أن الدولة اليهودية قاعدة رخيصة فلا تستطيع إنجلترا أن تجد صفقة أفضل من هذا . في عام 1907، قام وايزمان بأول زيارة لفلسطين .. و انتُخب رئيساً للمنظمة الصهيونية العالمية عام 1921 في المؤتمر الصهيوني الثاني عشر / .

موسوعة اليهود و اليهودية ، م6 ، ج 2 ،ب 10 ، مدخل(حاييم وايزمان) 1864-1952 () .

[1]نقلاًعن شلبي ، مقارنة الاديان، المرجع السابق ، ج1، ص 58.

[2]المرجع نفسه، ج1 ، ص 58-59.

[3]بروتوكولات حكماء صهيون، المرجع السابق، ج2 ، ص 229-230.

اليهودي خاصة، فقد توسع هذا المعنى و امتد حتى صار يستعمل اليوم للتعبير عن كل جماعة سرية أو علنية تنعزل في ناحية خاصة بها و قد يكون العدد ضخماً ، و قد يكون الإنعزال انعزالَ (أقلية) يهوداً كانوا أم غيرَ يهود. [1] "

و كما قلنا في السابق فإن العزلة اليهودية أو ظاهرة الغيتو كانت لها دوافع و أسباب ، و نحن نعتقد بأن الدوافع تكمن في شيئين هما : دوافع ذاتية و أخرى خارجية ..

1. الدوافع الذاتية

من الممكن أن نحدد قصدنا من الدوافع الذاتية للعزلة اليهودية ضمن ثلاث نقاط هي : .

أ. اليهود أنفسهم

إن اليهود بجميع جماعاتهم المنتشرة في البلدان عبر التأريخ كانوا يتسمون بالطبيعة الإنعزالية . هذه الطبيعة تُعد من أبرز خصائص الجماعات اليهودية ، و هي تمتد من عصر بني اسرائيل الاول في مصر إلى العصور المتلاحقة .

فإن بني اسرائيل في مصر احتفظوا بالطبيعة الإنعزالية التي كانت من أبرز خصائصهم أيضاً في أرض كنعان . يقول الدكتور احمد شلبي أنهم في مصر: " كانوا لا يزالون في عزلتهم ، و لكن العزلة آنذاك أصبحت تستلفت نظر المصريين و تثير خوفهم ، فهي لم تعد عزلة بضع عشرات من الرجال و النساء، ولكنها أصبحت عزلة قوم لهم قوة و منعة ، فغَدَوا يكوّنون دولةً داخل الدولة كما يقال في الإصطلاح الحديث . [2] "

من هنا نستطيع أن نقول : إن العزلة كانت سبباً رئيساً لعداء المصريين لبني اسرائيل . و في جميع المراحل التأريخية نرى أن الجماعات اليهودية المختلفة تحتفظ بالطبيعة الإنعزالية ، و إن كانت بعض الجماعات الغربية (مثل الجماعات الفرنسية) استطاعت أن تتكيف قليلاً مع الحياة الإجتماعية أو تندمج بصورة محدودة في المجتمعات متأثرةً بالثقافات الغربية الحديثة. خاصة بعد الثورة الفرنسية 1848-1850 التي منحت اليهود حقوق المواطنة ، و خضعوا للقوانين الفرنسية لكن اليهود عموماً لا يريدون العيش جنبا إلى جنب مع الآخرين، و مع ذلك فانهم يستخدمون كل الوسائل للنيل من الاخرين، سواء من الناحية المادية او الدينية او الفكرية و هم لم تمنعهم العزلة من ممارسة تصوراتهم او الدخول في المؤسسات الحيوية للبلدان ، بل كانوا يخلقون المشاكل و الأزمات خارج غيتواتهم ، و في داخل الغيتوات يعمّقون مفاهيم العداء و الحقد للآخرين من غير اليهود . هذا هو الطبيعة الثابتة التي احتفظت بها الجماعات اليهودية في جميع المراحل التأريخية حتى تأسيس الدولة الصهيونية في فلسطين.

ب . الديانة اليهودية

إن التعاليم الدينية اليهودية كانت دوما وراء عزلة اليهودي. و اذا نظرنا إلى النصوص الدينية اليهودية فاننا نرى انها تحض على الإستعلاء و التوجس من الأغيار ، و عدم الإختلاط بالشعوب. فهذه النصوص من خلال تمجيد الشعب اليهودي المقدس و تحقير غير اليهود و تسميتهم بالطبقات التي تعيش في العوالم السلفى بل بحيوانات في كثير من النصوص التلمودية . قد عمّقت شعور اليهودي بالإنتماء إلى عرق مقدس و متفوق ، و ملّئت احساساته بالحقد و الكراهية لغير اليهود، و نتيجة لذلك نرى أن اليهودي بالفعل ينعزل عن الآخرين من الشعوب و المجتمعات و لا يساعد إلا في المشاريع التي يجني منها الثمرات لنفسه أو لصالح جماعته المنعزلة . [1]

---

[1] المرجع نفسه، ج2 ، ص 230.

[2] شلبي ، مقارنة الاديان، المرجع السابق، ج1 ، ص68.

[1] للمزيد حول تعاليم النصوص اليهودية بخصوص كيفية التعامل مع الأغيار أو بخصوص نظرتها لغير اليهود عموماً راجع ص (68 . 69) من هذه الدراسة .

وفي الحقيقة إن تعاليم الديانة اليهودية تحتاج إلى مناخ خاص أو جو منعزل لخلق التأثير في نفوس المتلقين من اليهود ، لذلك فقد اغتنم الحاخامات فرصة وجود الجماعات اليهودية في الأحياء المغلقة ليدرسوا فيها بحرية تامة النصوص اليهودية ، وذلك لأن طبيعة هذه النصوص لا يمكن أن تتحملها الشعوب العالمية أو الأديان الأخرى التي تدعو إلى السلام و التسامح (مثل الإسلام و المسيحية) ، لكل ذلك فقد أُنشيء المناخُ المناسب – أي الأحياء المغلقة (الغيتو)– خوفا من المنع و التحريم.

و في هذه المعازل أُنشأت الأسباب التي بها يتعمق تمسك اليهودي بتعاليم دينه كالمعبد و المقابر الخاصة و الطقوس و الأزياء الخاصة . في هذه الغيتوات يتعرف الطفل من خلال المدارس و المراكز الدينية الأخرى على هويته و أسلافه، و يدرّب على الإحتراز من الأغيار و عدم مخالطتهم ، و تزرع في عقله الباطن فكرة التفوق و الإختيار و القداسة ، و يتعلم الأبجدية العبرية التي تعد من أهم أسباب حلقات الوصل بين الجماعات اليهودية و بقائها كجماعات متميزة ، و يتعلم أيضاً قصص أسلافه و أعمالهم المجيدة و فتوحاتهم و ما أصابهم من النفي و التشريد على أيدي الكفرة .
فينشأ الطفل حاقداً مؤمناً بعدالة قضيته و صحة انحداره من أعرق الأصول ، و نتيجة لذلك تتبلور شخصيته الإنعزالية القانعة بمنهج الكراهية و العداء للأغيار .

من هنا نستطيع الجزم بأن عداء اليهودي و كراهيته للأغيار و انعزاله عنهم يكوّن القاعدة الأساسية و الأصلية التي تقوم عليها فلسفة اليهودية سواء فسرت هذه اليهودية تفسيراً دينياً أو قومياً . و إذا طُمستْ هذه القاعدة عن اليهودية فإن فكرة الشعب المقدس لا يمكن أن تستمر في الوجود ، و بعد ذلك فإن اليهودية أيضاً لا تستطيع البقاء في الوجود .

ج . الحاخامات

كما قلنا في السابق ان الحاخامات يتمتعون بسلطة مطلقة في الاوساط اليهودية المختلفة خاصة بعد القرن السابع الميلادي حتى نهايات القرن التاسع عشر . و قد استغلوا هذه الصلاحيات المطلقة، فحاولوا فصل و تهميش الجماعات اليهودية عن الواقع و تعميق احتراز اليهودي من المخالطة بالأغيار، و الحاخامات علّموا التجمعات اليهودية ثقافة الأغيار و الكفرة التي هي فكرة تلمودية.

و قد اهتم الحاخامات بالأدب التلمودي أكثر من التوراة لِما فيه من روح عدوانية و عنصرية دينية و قومية ، بحيث إذا التزم اليهودي بتعاليم هذا التراث الديني فإنه لا يجد أمامه سوى العيش منعزلاً حاقداً و متغطرساً دينياً و قومياً . لذلك نرى أنه منذ العصر الوسيط حتى اواسط القرن التاسع عشر كانت اليهودية الحاخامية التلمودية هي الادب المهيمن على الفكر الديني اليهودي.
و من خلال هذا الادب عمل الحاخامات كثيرا باتجاه فصل اليهود عاطفياً عن أوطانهم ، ووضعهم في معازل يسهل السيطرة عليها و على من فيها عبر أساطير التوارة التي عملت في ما عملته على ربط اليهود عاطفياً بأرض الميعاد. و قد نجح هؤلاء الحاخامات في إبقاء الجماعات اليهودية أسرى لرؤى و تعاليمهم و حاجاتهم، و كان كلما بدأت جماعات خاصة نحو الارتباط بالواقع ، ازداد تدخل الحاخامات بزيادة الطقوس و تدخلها في كافة مناحي الحياة ، من المسائل الفقهية و التشريعية و التجارية و الحياتية و الاخلاقية .
و من هنا نرى أن جل اهتمام رجالات الإصطلاح اليهودي كان يركز على ضرورة التخلي عن الطقوس و الشعائر الحاخامية، حتى يتسنى لليهودي التكيّف مع الواقع من خلال تخفيف الواجبات و الصعوبات التي أدخلها الحاخامات في التركيب الديني اليهودي.

هذه العناصر الثلاثة (اليهود انفسهم، و الديانة اليهودية، و الحاخامات) تعد من الركائز التي تكوّن الدوافع الذاتية التي هي وراء انعزال الجماعات اليهوديةو اهتمامها بالعيش داخل الغيتو.

.2 *الدوافع الخارجية*

نقصد بالدوافع الخارجية كل التعاملات الخارجية مع اليهود (اي من قبل غير اليهود) التي ادت إلى تعميق روح الكراهية و العداء لدى الجماعات اليهودية عموماً، و دفعت تلك الجماعات إلى التمسك اكثر فأكثر بالعيش المنعزل في الغيتوات ، خاصة في القرن الثامن عشر. و التعاملات الخارجية السيئة مع الجماعات اليهودية كانت تنطلق من العالم المسيحي و الأوروبي.

"لقد كان تأريخ المسيحية كله حتى القرن التاسع عشر تأريخ تربية العداء لليهود و اليهودية . و في الاثناء ذاتها فان تاريخ اليهود و اليهودية تكلسا و انغلقا على نفسيهما ممّا أدى بالضرورة إلى حالة توجس خفي صنعت بحد ذاتها (خطة) الخروج من هذا المأزق و هي (خطة) لم يكن بامكانها التخلص عند اليهود من ضغط تقاليد الإنعزال الذاتي . [1] "

و العداء المسيحي لليهود و اليهودية يرجع . في أغلب الأحيان . إلى بعض الروايات و التعاليم الدينية السيئة في النصوص اليهودية بحق السيد المسيح(عليه السلام) و المسيحية، و إلى تعامل اليهود عبر التأريخ مع المسيحين ابتداء بالسيد المسيح حيث فعلوا الكثير بحق المسيحين و ديانتهم (ولا مجال هنا للتفصيل حول هذا الموضوع) ، فضلاً عن الأدوار الإقتصادية و التجارية التي عملتها الجماعات اليهودية المنتشرة في الدول الأوروبية ، سواء حين كانت هذه الدول خاضعة للسلطة المسيحية ، أم بعد تحررها من تلك السلطة ، فان المسيحين و الزعماء الأوروبين كانوا منزعجين تماماً للدور الاقتصادي اليهودي و احتكار الجماعات اليهودية معظم مصادر التجارة.

من هنا فإن اليهود عموماً تعرضوا للطرد و الإضطهاد و التشريد ، مما أدى في الأخير إلى ترسّخ قناعة اليهودي بفكرة الإنعزال ، و ان كانت الغيتوات قد تمت على يد غير اليهود ، اي في بعض الأحيان انهم أسكنوا في الأحياء المغلقة و المناطق الخاصة بهم بغير إرادتهم و اختيارهم ، و ان كان ذلك الإجبار غير صعب عليهم بسبب ميلهم الذاتي و الديني إلى الإنعزال عن الآخرين .

بدأ اضطهاد المسيحين لليهود بعد السيطرة المسيحية لروما ، حيث انتشرت المسيحية بصورة واسعة في أرجاء الإمبراطورية الرومانية ، إلى أن أصبحت المسيحية دين الدولة الرسمي (إبان حياة القدّيس أوغسطين). [2]

ففي نهاية القرن الرابع الميلادي بدأت ظاهرة رفض اليهود ، و قد وقعت صدامات و ممارسات عدائية بين اليهود والمسيحين " فأحرق المسيحيون مجامع اليهود وأحرق اليهود كنائس المسيحيين.[1] "

---

[1] الجنابي، ميثم: البروتوكولات الصهيونية . الماسونية اليهودية الصهيونية . الثالوث الراديكالي للشتات و الغيتو، الحلقة الثانية ، في موقع (الحوار المتمدن) على الانترنت. www. rezgar.com

[2] أنظر رايلي ، كـا ظيـن : الغرب والعالم ، المرجع السابق ، القسم الأول ، ص 167 .

أوغسطين (354 . 440) : يعرف أيضاً باسم أورليوس أوغسطينوس و بـ أوغسطين الايبوني ، ولد في طاجسطا (بالجزائر على الحدود التونسية) كانت أمه مسيحية ، أما أبوه فكان وثنياً ... في عام 391 عيّن كاهناً ، ثم عيّن في عام 395 أسقفا لمدينة ايبونارجيوس (مدينة عنابة على الساحل الجزائري) و قد أصبح الزعيم الفكري للكاثوليكية الافريقية ، و قد حاز على شهرة طبقت أرجاء الإمبراطورية الرومانية . توفي في ايبونا / الموسوعة الفلسفية المختصرة ، المرجع السابق ، مادة : أوغسطين ، ص 88 .

[1] نصرالله ، فرحان : الإصلاح المسيحي .. أبعاده الدينية والتأريخية ، مجلة (الإصلاح) ، تصدرعن مجموعة من الكتاب المستقلين / طهران . إيران ، فصلية فكرية نقدية ، العدد (7) ، خريف 2004 ، ص 71 ، نقلاً عن لمعي، اكرم: الاختراق الصهيوني للمسيحين، ص 58.

و قد وصل عداء المسيحيين لليهود إلى حالة أنكر الحكم البيزنطي [2]وجود الديانة اليهودية و طالب اليهود بالتحول إلى المسيحية " وفي حالة عودة اي يهودي إلى ديانته بعد المعمودية كان يحرق حيا، و هكذا كانت كراهية اليهود جزاءا من العقيدة الدينية في ذلك الوقت. [3] "

وقد تعمّقت كراهية المسيحيين و الناس عموماً لليهود و اليهودية ، " ورغم ان البابا غريجوري الاعظم(590-604م) قام بالعديد من الإجراءات لحماية يهود روما و منع التعرض لهم بالأذى ، الا انه أسهم إلى حد كبير في انتشار الأفكار المعادية لهم، و يمكن القول انه هو الذي اسس ما يسمى عقيدة (ضد اليهود) تلك العقيدة التي كانت تشحن النفوس بكراهية اليهود و الحقد عليهم و صولاً إلى الإعتداء الجسدي عليهم ، و قد أسس عقيدته على ارضية أن اليهود لم يكونوا عمياناً عن رسالة المسيح . فقد كانوا يعلمون ان المسيح هو المسيا، لكنهم رفضوه و استمروا في رفضه لأن قلوبهم قد تقست ... و قال ان اليهود يجب ان يعاقبوا على جريمة صلب المسيح.. و اضاف ان اليهود رأوا بعيونهم معجزات المسيح و رأوا أيضاً كيف تحققت نبؤات التوارة و الأنبياء في شخصه ، و مع ذلك رفضوا الاعتراف به لأنه كان وديعاً و متواضعاً ، و هذه كانت خطيئتهم . [4] " ..

وفي جميع أوروبا عانى اليهود كثيراً بسبب تعرضهم للطرد و التشريد و التهجير . ففي " عام 1306 طردت فرنسا اليهود ، وتبعتها سكسونيا عام 1348 و هنغاريا عام 1360 و بلجيكا عام 1370 و سلوفاكيا عام 1380 و النمسا عام 1420 و الأراضي المنخفضة عام 1444 و أخيراً اسبانيا عام 1492 ... و قد طرد اليهود من ليتوانيا عام 1495 و من البرتغال عام 1498 و من إيطاليا عام 1540 و من بافاريا عام 1551. [5] "

يقول الكاتب الإسلامي محمد قطب " [6] : فأما أنهم مضطهدون خلال التأريخ فذلك حق في عمومه ، و أما أنهم مضطهدون بغير ذنب فمغالطة لا يسندها التأريخ . إنما يكرههم الناس لسوء خصالهم و سوء أفعالهم . من أكلهم الربا ، و أكلهم أموال الناس بالباطل ، و مسارعتهم في الإثم والعدوان ، و نشرهم الفاحشة في الأرض ، و سعيهم إلى إيذاء الناس و لو أحسنوا إليهم ، و نشرهم الإضطراب في كل مكان حلوا فيه ، و نكرانهم الجميل .. و خصال أخرى كثيرة منفرة . "

و بعد تأزم الوضع ، و اشتداد الكراهية بين الجماعات اليهودية و المجتمعات الأوروبية الخاضعة للسيطرة المسيحية ، كبرت أيضاً المسافةُ بين تلك الجماعات و المجتمعات كلِهِا ، و وُضِعَ جدار منيع بين الطرفين . حيث " حصرت الجاليات اليهودية في أوروبا بعد حركات التهجير الكبرى داخل أحيائها التي سميت بالغيتو و التي يسميها اليهود الكاحال حيث فرض على اليهود أن يعيشوا معزولين عن جماهير الشعوب . [1] "

وقد كان إبعاد اليهود عن واقع المجتمعات الأوروبية نقطة البداية في تحول تلك المجتمعات من عصر الظلام و التخلف إلى عالم التقدم و الحضارة الذي يسمّى بـ (عصر النهضة) . [2] يقول صاحب (أحجار على رقعة الشطرنج)

---

[2]إن الإمبراطورية البيزنطية هي الإمبراطورية المنبثقة عن الإمبراطورية الرومانية العظمى ، وهي تُعرف بـ (الإمبراطورية الشرقية) . راجع ص (33) في الهامش من هذه الدراسة .

[3]نصرالله ، فرحان ، مجلة (الإصلاح) ، المرجع السابق ، ص 71 ، نقلاً عن لمعي، اكرم : الاختراق الصهيوني للمسيحين، ص 62-63 .

[4]نصرالله ، المرجع نفسه، ص 72 ، نقلاً عن لمعي، اكرم : الاختراق الصهيوني للمسيحين، ص 65-66 .

[5]غاي كار، و ليام: أحجار على رقعة الشطرنج ، ترجمة : سعيد جزائرلي ، مراجعة و تحرير : م . بدوي ، دار النفائس ، بيروت ، الطبعة الرابعة عشرة ، 1421هـ -2000 م ، ص ص 58 ، 60 .

[6]رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر ، دار الوطن للنشر ، الرياض ، بدون سنة الطبع ، ص 71 .

[1]غاي كار ، وليام ، المرجع السابق ، ص 60 .

[2]النهضة الأوروبية : (Renaissance) هو العهد المعروف بـ (الرنيسانس) (القرن 15و 16) . هو عهد تجدد أدبي و فني و علمي أحدثه في إيطاليا ثم فرنسا وسائر الدول مجيء رجال الأدب و الفن البيزنطيين ، بعد فتح الأتراك القسطنطينية) 1454. (

" يمكن القول بأن العصور المظلمة لدى اليهود بدأت مع بشائر عصر النهضة في أوروبا ، وهذه الحقيقة تدعم صحة النظرية التي يقول بها بعض المؤرخين و التي فحواها أن أمم أوروبا لم تستطع البدء بعصر النهضة و الإزدهار إلا بعد أن تمكنت من تحرير نفسها من براثن السيطرة الإقتصادية اليهودية . "[3]:

و هكذا قد استمرت الجماعات اليهودية تعاني من الإضطهاد المسيحي ، و الحرمان من حقوق المواطنة في البلدان التي سيطر عليها المسيحيون ، وذلك أدى بالفعل إلى تعمّق و ترسّخ الطبيعة الإنعزالية اليهودية . و حين ظهرت حركة الإصلاح الديني داخل الكنيسة الكاثوليكية بزعامة مارتن لوثر [4]تغيّر وضعُ اليهود قليلاً ، و كان ذلك بسبب ما تضمنته رسالة لوثر في فلسفته الإصلاحية ، فقد دعا إلى التخلى عن التقليد الذي يلوم اليهود على صلب المسيح، او على رفض آبائهم الإعتراف برسالة المسيح ، و قد رفض لوثر محاولة تعميد اليهود بالقسر و العنف ، و دعا إلى اعتماد الحوار و المعاملة الحسنة .

إلا أن هذا الوضع لم يدم طويلاً ، و سرعان ما عاد الصراع المسيحي اليهودي إلى ما كان عليه في السابق. و تبعاً لذلك ازدادت ظاهرة الغيتو و اتسعت دائرة الإنعزال في أوروبا و ازدادت الكراهية و الحقد بين الفريقين . و قد ظل اليهودي ينعزل في قفص الغيتوات، و ظل في هذا القفص يمارس حقده و غضبه ضد الذين يتعاملون معه بكراهية و عدوان . لذلك فإن الغيتو كانت الملجأ الوحيد للنيل من الآخرين عن طريق ممارسة و دراسة النصوص و التعاليم الدينية اليهودية التي ترفع دائماً من شأن اليهودي، و تعطي دروساً تؤكد قدسية الشعب ، أو العرق اليهودي ، و كان التمسك بتلك التعاليم داخل الغيتوات قد أعطى للجماعات اليهودية التفائل و الأمل ، و القدرة على تفكيك عقدة التقصير او الشعور بالنقص ، و قد شارك هذا التمسك في قدرة اليهودي على تجاوز المحنة النفسية و الروحية .

و إذا كانت حال اليهود هكذا في أوروبا ، فإنهم كانوا في وضع مختلف في العالم العربي و الإسلامي عموماً . " و هنا لا بد من الاشارة إلى أن اليهود في البلاد العربية و الاسلامية و على الرغم من عزلتهم داخل أحياء خاصة ، كانوا يعاملون معاملة تختلف تماماً عن يهود أوروبا من حيث المشاركة في الحياة السياسية و الاقتصادية و الإجتماعية ، و كانت كل الظروف متاحة لهم للذوبان في مجتمعاتهم هذه، نظراً لتسامح العرب و الإسلام تجاه الأديان السماوية . [1] "

وقد ساعد على نجاح النهضة اكتشاف الطباعة و تشجيع الأمراء و الباباوات . / المنجد في الأدب و العلوم ، المرجع السابق ، مادة : النهضة الأوروبية .

[3] غاي كار ، وليام ، المرجع السابق ، ص 60 .

[4] مارتن لوثر : (Luther Martin) ولد في 10 نوفمبر/ تشرين الثّاني 1483 في سكسونيا [بألمانيا] . مات في 18 فبراير/شباط 1546. كان واعظاً بآيسليبن في ألمانيا ، و كان عالماً في التوراة ، ولغوياً . حصل على دكتوراه في علم اللاهوت (في جامعة ويتينبيرج) سنة 1512 ، وعيّن في نفس الجامعة كمدرس لعلم اللاهوت التوراتي في السنة نفسها . بالإضافة إلى ذلك أصبح واعظاً في الكنيسة الأبرشية سنة 1514. و قد أصبح هذا المنبر المكان الذي شرح فيه لوثر بشكل واسع و جميل الكتبَ المقدّسةَ لعامة الشعب . و قام بترجمة التوراة إلى الألمانية بأسلوب بديع فأصبحت ترجمته من آيات النثر الألماني ، وكان لهذا المشروع تأثير كبير و واسع ، حيث فسّر التوراة بلغة حديثة و قوية . وقد نقد لوثر بشدة الإنتهاكات الكنسية الكاثوليكية الرومانيةالمتنوعة . و انفصل عن الكنيسة في شأن الغفرانات و سلطة البابا والتبتل و إكرام القديسين و النذور الرهبانية و المطهر والقداس . وقد كان زعيم الإصلاح المسيحي في ألمانيا و نشر المفاهيم الإصلاحية ، و بذلك أسّس المذهب البروتستانتي . وللتعرف على أفكار لوثر الإصلاحية أنظر ص (238 . 239) من هذه الدراسة/ .

، Encyclopædia Britannica مادة Luther, Martin ، : المنجد في الأدب و العلوم ، مادة : لوثر (مارتن) .

[1] القشطيني، خالد: الصهيونية و اللاصهيونية، الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد السادس، ط1 ، بيروت ، 1990، ص 721.

ففي اليمن ازدهرت حياتهم و تطورت تجارتهم و ثقافتهم و توسعت ممتلكاتهم و انتشرت معتقداتهم حتى الدرجة التي اعتنق فيها ملك اليمن (أبوكريبه أسد طوبان) و ابنه ذونواس ، ديانتهم حوالي القرن الخامس بعد الميلاد ، و قد استمر وجود هذه الطائفة في اليمن حتى العصر الحاضر الذي تدخلت فيه الحركة الصهونية و اقتلعتهم من أماكنهم. [2]

"و في الاسكندرية بمصر كانت الجالية اليهودية تتمتع بكامل حقوقها المدنية و الدينية، و كان تعدادها يفوق تعداد كل الجاليات اليهودية في العالم، و قد أدارت ظهرها لصهيون ، و استمرت في حياتهم الهادئة المستقرة تمارس شعائرها الدينية في معابدها الخاصة. [3] "

"كما تغلغوا في جميع نواحي الحياة السياسية و الإجتماعية و الاقتصادية في العراق ، وقد ازدهرت حياتهم في العصر العباسي و ارتقوا مراكز ذات تأثير، و منذ الايام الاولى للتاريخ الاسلامي عمد الخلفاء إلى اعطاء اليهود امتيازات مهمة. فكان لهم في العراق مدرستان متخصصتان بالدراسات اليهودية و التلمودية في مدينتي صورة و بمبديثة، حققتا ازدهاراً تحت الحكم العباسي جعلهما القبلة التي يقصدها اليهود من طالبي العلم من جميع أنحاء الشتات العالمي . و كان الرئيس الأعلى لهاتين المؤسستين يدعي (ألفون) و يعتبر المصدر الأعلى للفتاوى اليهودية لجميع العالم، و كان مسؤولاً عن الإستئناف و تعيين القضاة اليهود في عموم العالم الاسلامي . و قد عرفت القرون الخمسة للتاريخ اليهودي تحت الحكم الاسلامي (بالعصر الفوني) و من اشهر من ارتقى هذا المنصب(سعديا بن يوسف الفيومي) من الفيوم بمصر، و أصبح رئيساً لأكاديمية صورة لغزارة علمه ، و من أعماله ترجمة العهد القديم إلى اللغة العربية، فأصبح الحاخامون يتلون النسخة العربية في صلواتهم في الكنس، و مع اللغة العربية اصبح اليهود يسمون أنفسهم أيضاً أسماء عربية صرفة. [1] "

و قد استمر وضع اليهود الجيد في العراق حتى تهجيرهم إلى فلسطين المحتلة من قبل منظمات الهجرة الصهونية . و لعل من أهم الدلائل على تمتع اليهود في العراق بكامل حقوقهم و ارتياحهم بوجودهم في العراق هو أن عدداً قليلاً من اليهود بادروا إلى التخلي عن الجنسية العراقية و الهجرة إلى فلسطين، بل أكثرهم قد اختاروا البقاء في العراق ، لذلك فقد اضطرت الأجهزة الصهونية إلى القيام بسلسلة من الاعمال و التفجيرات الإرهابية في الاوساط اليهودية ، و ذلك لإشاعة الذعر في نفوس اليهود ، و من ثم إجبارهم او اضطرارهم إلى الهجرة إلى فلسطين المحتلة. [2]

"و في الأندلس رحب بهم الخلفاء و منحوهم حقوقاً متساوية و حرية كاملة و ذلك عندما هاجروا من بغداد اثر الغزو المغولي لها. و حمل علماء المدرستين العراقيتين كتبهم و اثارهم و تلامذتهم معهم إلى الاندلس. و هناك وصل كثير منهم إلى مناصب عالية في الدولة، مثل (جسداي بن شبروط) الذي دخل في خدمة الخليفة عبدالرحمن الثالث طبيباً و مستشاراً ، و عمل سفيراً للخليفة كونه يجيد العربية و اللاتينية و العبرية. و أيضاً (صموئيل بن تغدلة) الذي لعب دوراً مشابهاً في غرناطة التي كانت تسمى(مدينة اليهود) لكثرة عدد اليهود فيها والتي ما زالت أحياؤهم قائمة فيها .[3] "

و قد ظل اليهود في الأندلس يمارسون طقوس ديانتهم ونشاطاتهم الاقتصادية بكل حرية ، و على الرغم من إصرارهم على التمسك بالعزلة و بقائهم داخل الغيتوات الا أنهم تلقوا تسامحاً كبيراً من قِبل المسلمين . يقول محمد قطب [4] : " لقد اضطهدهم النصارى في أوربا بسبب اعتقادهم أنهم صلبوا المسيح عليه السلام ، و لم يجدوا لهم صدراً حنوناً إلا في العالم الإسلامي ففروا من الإضطهاد الأوربي إلى الأندلس الإسلامية يحتمون فيها من الظلم ، و ينعمون بالعدل والحرية و الأمن ، ويمارسون نشاطهم كله مطمئنين . "

---

[2] المرجع نفسه ، ص721.

[3] سوسة ، د. أحمد : العرب واليهود في التأريخ ، العربي للإعلان والنشر و الطباعة ، ط2 ، ص 363 .

[1] المرجع نفسه، ص363، و انظر القشطيني: الصهيونية و اللاصهيونية، المرجع السابق، ص 725 .

[2] للتفصيل انظر القشطيني، المرجع نفسه، ص730.

[3] المرجع نفسه، ص 725.

[4] رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر ، المرجع السابق ، ص 71 .

و لكن حين سيطر المسيحيون على الاندلس انقلبت الامور على عقب ، فعندما " تقدمت الجيوش المسيحية في اسبانيا نحو الجنوب794هـ 1391م ، جرت حملة دامية لإخراج اليهود من شبه
الجزيرة الاسبانية ، فلجأ الكثيرون منهم إلى الجزائر، فأسرع السكان العرب الجزائريون إلى بناء بيوت
خشبية مرتجلة لإيواء مجموع اللاجئين و إغاثتهم . و بعد سنوات قليلة اصبح هؤلاء اللاجئون أغني تجار المنطقة ينقلون البضائع بين غربي افريقيا و سواحل البحر الابيض المتوسط حتى سمي طريق تلمسان التجاري عبر الصحراء (طريق اليهود) . [1] "

يقول محمد قطب " : [2] لما قامت الصليبية بمطاردة المسلمين و إخراجهم من الأندلس هاجروا إلى المغرب ، فهاجر اليهود معهم فراراً من الإضطهاد الكنسي ، و سعياً وراء الأمن و الطمأنينة في ربوع الإسلام . كذلك أووا إلى الدولة العثمانية ، وعاشوا في مختلف البلاد الإسلامية الخاضعة للحكم العثماني آمنين مطمئنين ناجين من الإضطهاد الأوربي . "

"و حظى اليهود بنفس المكانة و المعاملة في البلاد العربية الأخرى، فكان منهم الوزراء مثل الدكتور (بنزاكين) في المغرب، و (أندريه بسيس) و (اندريه باروخ) في تونس، و نقرأ ان ملك المغرب محمد الخامس وقف إلى جانب اليهود ضد حكومة فيشي الفرنسية الخاضعة لألمانيا الهتلرية عندما حاولت أن تضطهد يهود المغرب ، حيث دافع عنهم مؤكدا انهم مواطنون عرب مغربيون . [3] "

هذه الشواهد أوردناها على سبيل المثال لا الحصر، و هناك شواهد أخرى كثيرة تدل على معاملة اليهود في العالم الاسلامي . في العصور القديمة و الحديثة . معاملة إنسانية إسلامية حسنة . ولو لم تكن للصهيونية و مشاريعها الاحتلالية و العدائية لما تدمرت العلاقات ، و لما تحدث فجوة في جدار التعايش السلمي..

ثالثاً : ظهور المسألة اليهودية

أشرنا في السابق إلى ظهور ظاهرة الغيتو نتيجة للطبائع الذاتية اليهودية، و التعاملات الخارجية. و هنا تجدر الإشارة إلى ان الجماعات اليهودية مع انغلاقها على نفسها داخل الغيتوات فقد نشطت في المجال الاقتصادي و الزراعي للبلدان التي كانت تلك الجماعات تعيش فيها. و هذا ليس فيه اي تناقض ، فقد كان اليهود منذ العصور القديمة قد دأبوا على المشاركة الفعالة في المجال المالي و المادي ، وكانت هذه المشاركة الطابع الابرز للجماعات اليهودية عبر التأريخ و في مختلف المدن و البلدان. فكما كانت تلك الجماعات تجمعات دينية منعزلة ، فإنها في الوقت نفسه كانت جماعات وظيفية فعالة في النشاط الاقتصادي و الزراعي.

و ربما كانت التجارة اليهودية عبر التأريخ أهم و سيلة لبقاء اليهود في المعازل بمناخ اقتصادي جيد ، و بالتالي كان لها تأثير كبير في قدرة اليهودي على العيش المنعزل من دون احتياجه إلى احد. و لو لم تكن الفعاليات الاقتصادية و

---

[1]سوسة، د. احمد: العرب و اليهود في التأريخ ، المرجع السابق، ص 363.
[2]رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر ، المرجع السابق ، ص 71 . 72.
[3]سوسة، د. احمد : العرب و اليهود في التأريخ ، المرجع السابق ، ص 363 .

التجارية الواسعة لما تمكنت الجماعات اليهودية من البقاء في الوجود ، لما تعرضت له تلك الجماعات من تشريد و طرد و قتل أو إحراق ، فقد كان هناك في جميع العصور دول قد ساندت الجماعات اليهودية لِما تتسم بها تلك الجماعات من خبرة في العمل التجاري و المالي بشكل عام .

فرغم تشتتهم في بقاع الارض المختلفة ، إلا أنهم استطاعو أن يبقوا و يثبتوا ذاتهم من خلال الخبرة التجارية و المالية التى كانوا يتمتعون بها. " و مع التطورات التي أخذت تتغلغل في مختلف مناحي الحياة، لم تتضاءل المكانة التي كان عليها اليهود، و انما ازدادت ترسخاً في قوة. فقد استطاع الاثرياء من اليهود الروس ان يجمعوا ثروات أسطورية عن طريق بناء السفن ومد السكك الحديدية و إنشاء المؤسسات المصرفية و كمقاولين و تجار و ممولين و مقرضين ، ... الخ " [1] .

و على الطرف الآخر في أوروبا برزت طبقة جديدة من التجار المسيحيين ، و هذه الطبقة قررت كسر احتكار تجارة المتوسط ، و كان ذلك من العوامل البارزة التي كانت وراء الحروب الصليبية . [2]

و يمكن القول إن دخول المسيحيين عالم التجارة ، و نشاط التجار المسيحيين كان من عوامل تفجر ما اطلق عليه (المسألة اليهودية) . خاصة بعد أن دعمت الحكومات الأوروبية تجارها في مواجهتهم مع التجار اليهود . يقول الدكتور عبدالوهاب المسيري " [1] : مما يذكر أن حكومة البندقية اصدرت في عام 945 مرسوما يقضى بمنع اليهود من استعمال السفن المتوجهة إلى الشرق . و بنتيجة ذلك اضطروا إلى استعمال الطرق البرية لتجارتهم ، ورد التجار المسيحيون على ذلك باتهامهم بالتجسس للعرب فأججوا الغوغاء في كل مكان ضدهم و الإعتداء على سفرياتهم .
و كانت الحماية الوحيدة التي حصلوا عليها قد جاءت من الأمراء و النبلاء ، و حسب اجتهاد بولياكوف (خبير فرنسي متخصص في المسألة اليهودية) ظهرت الأفكار الرئيسية لمعاداة السامية و التصورات المتعلقة بشخصية اليهودي الذميمة في هذا العصر. "

و في الحقيقة إن المسألة اليهودية قد بدأت منذ أن تَشَتتتُ الجماعاتُ اليهودية في أرجاء العالم المختلفة ، فقد حملت تلك الجماعات نصوصاً دينية معهم و اخلاقيات دينية خاصة كانت لا تُتحمل(من قِبَل المسيحين بصورةٍ خاصة) .
و مع بروز ظاهرةِ الغيتو تعمقت المسافة بين الجماعات اليهودية و المجتمعات البشرية عموماً و الأوروبية خاصة .

و مع وقوع الأزمات و المشاكل التي كانت التجمعات اليهودية تخلقها . على سبيل المثال أزمة تفشى مرض الطاعون الاسود(1348-1350) و انتشار شائعات قوية في أوروبا كانت تتهم اليهود بتسميم الآبار لنشر مرض الطاعون

---

[1] بديعة أمين: الصهيونية ليست حركة قومية، الموسوعة الصغيرة (25) ، منشورات وزارة الثقافة و الفنون (الجمهورية العراقية)، دار الحرية للطباعة . بغداد ، 1978، ص78 .

[2] هؤلاء قد صمموا على كسر الإحتكار اليهودي في التجارة و العملة والمبادلات في أوروبا . و كان هذا هو الدافع الحقيقى لقيامهم عام 1095 بالإستحصال على بركة بعض الزعماء المسيحيين لشن الحروب الصليبية أو الحروب المقدسة . و بين عامي 1095 و 1271 نظمت ثمانية حملات صليبية . وكان الهدف الظاهر لهذه الحروب هو حماية الحجاج المسيحيين الى مهد المسيح و إقامة الحكم المسيحي في فلسطين . أما حقيقة الواقع فهي أنها كانت حروباً لتقسيم سكان اوروبا الى معسكرين متناحرين : الأول مع اليهود ، والثاني ضدهم . واليهود كانوا وراء الصليبيين ، وكانوا من الأسباب الخفية التي دفعت بالصليبيين
لغزو البلاد المقدسة ، فقد رأى اليهود أنهم عجزوا عن العودة للبلاد المقدسة بأنفسهم فحاولوا العودة خلف المسيحيين ./ غاي كار ، و ليام: أحجار على رقعة الشطرنج ، **المرجع السابق ، ص56-57 ، شلبي : مقارنة الأديان ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 97- 98.**

[1] الأيديولوجية الصهيونية ، دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة ، سلسلة عالم المعرفة (60) ، (الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، 1982) ، ج1 ، ص 23 .

الاسود . قد برزت مفاهيم و تصورات عن اليهود كانت تجسد في واقع الأمر ما تمرّ به الجالياتُ اليهودية، و من هنا برز ما أطلق عليه (المسألة اليهودية) . و يلاحظ ان المسألة اليهودية ارتبطت بقوة بتطورات الرأسمالية [2] فقد كان " كلما تقدم المجتمع وظهر فيه نشاط تجاري أو مصرفي محلي ، ظهرت فيه مسألة يهودية [1] " هناك أولاً ، أي حين حلت الرأسمالية محل النظام الإقطاعي الذي كان اليهود يلعبون فيه دوراً بارزاً و مؤثراً .

وطالما كان هذا النظام موجوداً فإن الجماعات اليهودية تستمر في التقدم والعيش الرغيد، بدليل أنه بعد تدمير النظام الإقطاعي في روسيا لم تبق الجماعات اليهودية على حالها السابق ، وبالتالي برزت المسألة اليهودية بصورة أوضح في روسيا . فتدمير نظام العبودية كان السبب الّذي صعّد في إبراز المسألة اليهودية في روسيا ، حيث " لم يبدأ بؤس اليهود في روسيا إلاّ بعد تدمير العبودية والنظام الإقطاعي للملكية الريفية وقد وجد اليهود إمكانيات واسعة للإستمرار كتجّار و وسطاء ، طوال المدّة الّتي سيطرت فيها العبودية والإقطاع [2] " . ويمكن هنا أن نحدد أهم الأسباب التي كانت وراء ظهور مشكلة سميت بـ (المسألة اليهودية) أو المشكلة اليهودية ، و هي:

---

[2] الرأسمالية : هى نظام اقتصادي ذو فلسفة إجتماعية و سياسية ، يقوم على اساس تنمية الملكية الفردية و المحافظة عليها ، متوسعاً في مفهوم الحرية . يقول العالم الاجتماعي الألماني ماكس فيبر (1864–1920) : " إذا كان يقصد بالرأسمالية ذلك المشروع العظيم الذي يتضمن السيطرة على المصادر المالية الكبرى التي تنتج الثروة لأصحابها نتيجة المضاربة و الأقراض والمشاريع التجارية و القرصنة و الحرب، فإنها قديمة قدم التأريخ . أما الرأسمالية كنظام اقتصادي مبني علىتنظيم الأجير الحر قانونياً من قبل صاحب الرأسمال (الرأسمالي) أو وكيله ، وتطبيع الهيئات الإجتماعية و المجتمع بطابعها الخاص فهي ظاهرة حديثة " . فالرأسمالية وجدت بشكل من الاشكال في المجتمعات اليونانية والرومانية القديمة، لكنها تلاشت بزوال الإمبراطورية الرومانية في الغرب. و لم يكن اقتصاد أوروبا في أوئل العصور الوسطى مبني على أساس رأسمالي، لأن الإنتاج كان لغرض الإستهلاك و ليس التوفير. وقد حرم الدين المسيحي التعاطي بالربا . و لكن حدث تغير تدريجي في الإقتصاد الأوروبي منذ القرن العاشر و الحادي عشر للميلاد ، بسبب نشوءالتجارة بين الشرق و الغرب وازدهارها أثناء الحروب الصليبية ،وظهرت المدن ونمت وازدادت ثروتها. وشجعت الحكومات القومية الحديثة و الملوك المطلقين التجار وأصحاب الثروة وقدمت لهم الحماية الكاملة و ضمنت لهم الأمن و الإستقرار .. فلم يحل القرن السادس عشر حتى كان الإقتصاد الإقطاعي ، ونظام النقابات في تدهور عظيم ... وهكذا توسعت التجارة و ازدادت قيمة الأراضي ونمت الثروة، و تكونت الرأسمالية . ومن أهم أسس ومبادىء الرأسمالية :

. البحث عن الربح بشتى الطرق والأساليب إلا ما تمنعه الدولة كالمخدرات مثلاً.

. تقديس الملكية الفردية ،وذلك بفتح الطريق لأن يستغل كل إنسان قدراته في زيادة ثروته، و بالمقابل عدم تدخل الدولة في الحياة الإقتصادية إلا بالقدر الذي يتطلبه النظام العام وتوطيد الأمن .

. المنافسة و المزاحمة في الاسواق ⟵ .

. نظام حرية الاسعار / . **صالح** ، **محمد محمد : تأريخ أوربا من عصر النهضة و حتى الثورة الفرنسية (1500–1789) ، دار الجاحظ للطباعة والنشر . بغداد ، 1401هـ . 1981م ، ص 154–155، 156 ، الموسوعة الميسرة في الأديان و المذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي . الرياض ، مطبعة سفير – الرياض ، 1409هـ – 1989م ، ط2 ، ص ص 231، 233.**

[1] المسيري ، عبدالوهاب : الأيديولوجية الصهيونية ، المرجع السابق، ج1 ، ص 65.

[2] بديعة أمين ، المرجع السابق ، ص 87 ، نقلاً عن ليون ، ابراهام : المفهوم المادّي للمسألة اليهودية ، ترجمة : عماد نويهض ، دارالطليعة ، بيروت ، 1969 ، ص 34 .

1. الطبيعة الإنعزالية اليهودية ، او دخول الجماعات اليهودية في الأحياء الخاصة بهم و من هذه المعازل بدأ اليهود بتربية أبناءهم سراً على منهج العداء و الحقد للآخرين او الأغيار ، فقد تم ترسيخ مفاهيم يهودية تقليدية، و تم تعليم الأبناء اليهود ان اليهود قد تشتتوا في الارض بسبب ظلم الأغيار ، و ان العالم كله مسؤول في مسألة الشتات و عيش اليهودي في المنفى (أي خارج ارض الوطن "فلسطين") و قد كانت الغيتو او العزلة اليهودية مؤشراً سلبياً في ذهنية المجتمعات الأوروبية ، و اعتُبِرتْ مكمن الخطورة اليهودية دائماً.
2. حدوث أزمات و مشاكل كبيرة بلغت في بعض الأحيان إلى إحراق الكنائس و المعابد اليهودية او احراق الإنسان من قِبل الجانبين المسيحي و اليهودي في أوروبا الشرقية و الغربية . و كان هذا يرجع إلى طبيعة الأخلاقيات الدينية و الذاتية للجماعات اليهودية، فضلا عن حقد و كراهية المسيحين الدينية لليهود و ديانتهم.
3. ظهور الرأسمالية الغربية الجديدة . فقد أحدثت هذه الفلسفة احتكاكاً كبيراً بينها و بين النظام الإقطاعي. و أثرت تأثيراً كبيراً على المؤسسات و المنظمات الإجتماعية ، و نتيجة لذلك تغير شكل المجتمع الأوروبي . و بالطبع كان كل ذلك لا ينصب في مصلحة اليهود الإقطاعيين ، و من هنا برزت مشاكل بين الأثرياء اليهود و الرأسماليين فضلاً عن حدوث مشاكل كبيرة و عويصة بين التجار اليهود و التجار المسيحيين.و قد " بدأت مواقع اليهودية في اوربا الغربية بالإهتزاز ، عند بدء نشوء طبقة بورجوازية مسيحية . [3] "

4. تمسُكُ الجماعاتِ اليهودية بالمفاهيم التقديسية و القومية . فقد كانت هذه الجماعات مرتبطةً بشدة روحياً و عملياً بالمدلولات القومية التي تؤكد على ان اليهود شعب بلا ارض و انه يجب أن يعاد هذا الشعب إلى ارضه المقدسة الموهوبة له من قبل الله . و كانت الجاليات اليهودية تقدس ذاتها كشعب مختار او شعب الله المقدس ، و رأت انه يجب ان يكون باقي الأمم و الشعوب في خدمة هذا الشعب المقدس . كما أكد العهد القديم ذلك بقوله : " الاجانب يرعون غنمكم و يكونون فلاّحكيم و كرّاميكم ، تدعون كهنة الرب و تسمون خدمة إلهنا تأكلون خيرات الأمم ، و باغتصاب أمجادهم تفتخرون . [1] " فهذه المفاهيم لا يمكن تحملها من قِبل الأديان و المجتمعات البشرية أبداً .

هذه الأسباب الاربعة كانت أهم دوافع بروز مشكلة بوجه الأوروبيين سميت بـ (المسألة اليهودية). وقد عمق اليهود المشاكل من اجل ترسيخ القناعة لدى الأوروبيين بأن هناك فعلا مسألة يهودية تنتظر الحل و قد كان الاتجاه الصهيوني في القرن الثامن عشر ضاعف هذه المشكلة بصورة واضحة ، و افترض ان حل المسألة اليهودية بات محصوراً في تأسيس دولة خاصة لليهود، و ذلك لان اليهود يشكلون شعبا وقومية خاصة.

---

[3] **بديعة أمين ، المرجع نفسه، ص86.**

[1] اشعيا 61: 5-6

و الزعماء الأوروبيون بادروا إلى النظر في تلك المسألة ، فعلى سبيل المثال سَعى نابليون [2] لحلّ (المسألة اليهودية) في فرنسا عبر إصلاحها و تعليم اليهود الاخلاق المرعية و الانتماء إلى الوطن، فقد كان نابليون أراد " تحويل اليهود من جماعة هامشية من الناحية الإنتاجية و الحضارية ، إلى جماعة منتجة ذات انتماء حضاري واضح. [3] "

و في أوروبا كان اليهود يلعبون دور الوسيط بين ملاك الاراضي و الفلاحين، و اضافة إلى دورهم البارز في الربا و مشاكله، كانوا جباة الضرائب و المسيطرين على معامل الخمور والخمارات، و قد استمرت الجماعات اليهودية في التمتع بعلاقات جيدة مع السلطات حتى بدأت المجتمعات الأوروبية بالإنتقال إلى الرأسمالية مطلع القرن الثامن عشر.

و في الوسط اليهودي نفسه ، برزت فكرتان يهوديتان لحل المسألة اليهودية، و هما: فكرة صهونية كانت قد دعت إلى تأسيس دولة يهودية كحل وحيد للمسألة اليهودية، و يمكن ان نعد ذلك الطرف بالطرف القومي التقليدي اليهودي . فقد كان هذا الطرف يرى أنه لا يمكن أن يتخلّص الأوروبيون و اليهود معاً إلا بتأسيس دولة يهودية ، و بذلك يتحقق حلم اليهود التأريخي ، و تتجنب المجتمعات و السلطات من المشاكل التي برزت بسبب وجود اليهود في تلك المجتمعات .

و على الطرف الآخر كانت هناك فكرة اخرى انتهجت فلسفةً مغايرةً تماماً للفكرة الصهونية ، و هي فكرة الإندماج التي طرحتها حركة التنوير اليهودية ، فقد دعت هذه الحركة من خلال انتهاجها فكرة الإندماج إلى اندماج و انصهار الجماعات اليهودية في المجتمعات التي تعيشها، اي انها قد دعت إلى ضرورة التخلي عن المفاهيم القومية التقليدية و الشعارات الدينية المألوفة ، و ضرورة إعادة صياغة الجماعات اليهودية بشكل جذري يتناسب مع تطورات العصر الحيدث.

من هنا سنفصل الكلام عن حركة التنوير الإندماجية كإحدى الحركات التي تأثرت بالفكر الغربي الحديث ، و اتسمت بطابع إنساني أكثر من اتسامها بطابع ديني ..

---

[2] إسمه (نابوليون بونابرت) (1769–1821) : ولد في أجاكسيو (بفرنسا) ، من أشهر قواد الحروب ، بعدما اجتاح أوروبا بجيوشه أعلن نفسه عام 1804 إمبراطوراً، وعيّن أخاه جوزيف ملكاً على نابولى، و لويس ملكاً على هولندا ، و جيروم ملكاً على

وستفاليا، من أهم حملاته: إيطاليا (1794)، ومصر (1798–1799) حيث أسس البعثات العلمية في الشرق و استجلب من الفاتيكان المطبعة الرسمية المعروفة بمطبعة بولاق ، و فلسطين(1798) فأخفق أمام أسوار عكا ، وروسيا(1812) ، انكسر في واترلوا (1815) و نفي الى جزيرة (سانت هيلين) و فيها توفي ./ المنجد في الأدب والعلوم ، المرجع السابق ، مادة : نابوليون،

و غاي كار، وليام: أحجار على رقعة الشطرنج ، المرجع السابق ، ص108 .

[3] المسيري، د.عبدالوهاب: الايديولوجية الصهيونية، المرجع السابق، ج1 ، ص 61–62.

المطلب الثاني

حركة التنوير اليهودية

Haskalah

أولاً : الدوافع المؤثرة في بروز التنوير اليهودي

قبل تعريف حركة التنوير اليهودية ، لا بد من الإشارة إلى الخلفيات التي لعبت دوراً كبيراً في تنوير الفكر اليهودي ، و كانت مصدر الإستنارة اليهودية. و نقصد بتلك الخلفيات مُثُل و رموز التنوير الأوروبي و العلمانية الغربية.

لمّا كانت الكنيسة [1] تحكم المجتمعات الأوروبية من خلال أسس و قواعد استبدادية كانت تلك المجتمعات منهارةً تماماً ، وقد فقدت قدرتها وروحها.

فقد كان للكنسية طغيان روحي و عقلي و مالي و سياسي و علمي على المجتمعات التي سيطرت عليها [2]و قد مارست الكنيسة طغيانها الروحي من خلال فرض هيمنة رجال الدين الروحية و الدينية على العقول المسيحية و الأوروبية ، حيث وصفت هؤلاء الرجال بالوسطاء بين الكنيسة و بين الله ، و هؤلاء الرجال هم الذين يتقبلون اعترافات المذنبين بخطاياهم، و في الأخير هم أصحاب حسم المسألة هل تُقبل توبتُهم أم لا ؟. [3]

فضلاً عن الاستبداد العقلي و الفكري الذي مارسته الكنيسة ضد المجتمعات من خلال فرض المعادلات الدينية اللامنطقية و من ثم تحريم الشك فيها او الانحراف عنها، فعلى سبيل المثال ادعت الكنيسة بان هناك أسراراً " لا يعلم تأويلها الا الراسخون.. لا في العلم و لكن في الكهنوت ! أسرار التثليث... و العشاء الرباني الذي يتحول فيه جسد المسيح إلى خبز و دماءه إلى خمر ! و ماء إلى ذلك من معتقدات و طقوس ، [4] " و من يتشكك في هذه المعتقدات الخرافية فإن مصيره كان الطرد و اللعنة و في بعض الأحيان القتل . !

و في مسألة طغيان الكنيسة المالي و ظلمها في هذا المجال أيضاً، يقول ول ديورانت صاحب كتاب (قصة الحضارة) " : [1] أصبحت الكنسية اكبر ملاك الأراضي و أكبر السادة الإقطاعيين في اوروبا. فقد كان دير (فلدا) مثلا يمتلك خمسة عشر الف قصر صغير، و كان دير (سانت جول) يملك ألفين من رقيق الارض... و كان الملك هو الذي

---

[1]الكنيسة : إسم سرياني (آرامي) مشتق من (كُنوشتا) ومعناه المجمع أو الجماعة ، و الكلمة اليونانية المستعملة في العهد الجديد (ekklesia)فقد ترجمت الى الكنيسة . ومنذ الأيام الأولى لظهور المسيحية ظهرت الكنيسة في اوربا في ظل الإمبراطورية الرومانية و بعد زوالها حلّت الكنيسة الكاثوليكية محلّها في روما ./ زهريرا (قاموس عربي كلدانى سرياني) ، شليمون ايشو خوشابا و عمانوئيل بيتو يوحنا، مط: هاوار، دهوك ، بلا، ص 660، المنجد في الأدب و العلوم ، المرجع السابق ، مادة : كنس ،

صالح ، محمد محمد : تأريخ أوربا من عصر النهضة و حتى الثورة الفرنسية ... ، المرجع السابق ، ص 170 .

[2]للتفصيل أنظر قطب ، محمد : مذاهب فكرية معاصرة ، المرجع السابق ، ص 30 . 53 .

[3]انظر المرجع نفسه ، ص30.

[4]انظر المرجع نفسه ، ص32.

[1]نقلاً عن المرجع نفسه، ص41.

يعين رؤساء الأساقفة و الأديرة و كانوا يقسمون يمين الولاء كغيرهم من الملاك الإقطاعيين، و يلقبون بالدوق و الكونت و غيرها من الألقاب الإقطاعية. "

و في مسألة ظلم الكنسية في مجال العلوم و استبدادها العلماء هناك روايات و شواهد كثيرة تثبت هذه الحقيقة ، و التأريخ الأوروبي مليء بجرائم رجال الدين المسيحيين ضد العلماء و الفلاسفة الذين انتهجوا المذهب العقلي النقدي في أعمالهم العلمية و الفلسفية.

والإضطهادات قد شملت المسيحيين أيضاً ، و قد شبّه المصلح الديني (مارتن لوثر) الكنيسة بالأسير بيد البابوات كما كان اليهود أسرى في بابل ، و ان الكنيسة أحكمت قبضتها على حياة المسيحيين و ذلك لأن رجال الاكليروس يرون في ذلك أنها سعي إلى الإحتفاظ بالحقوق التي كانت تخص كل المسيحيين ، حيث كانت الكنيسة تجرد المسيحيين من حريتهم (كالأسرى) في الإتصال بالله شخصياً و مباشرةً بالإيمان [2] .

بطول هذا التأريخ الأسود كان هناك مفكرون و فلاسفة خطوا منهج النقد و المعارضة ضد السلطة الدينية الشاملة و السلطات السياسية المستبدة الموالية للكنيسة. هؤلاء الاشخاص كوّنوا أسسَ الفكر العلماني الذي يؤكد على ضرورة تجريد القداسة عن القرارات السياسية و المعادلات الدينية و الإجتماعية.

نشأت العلمانية [3] Secularism في أوروبا ، و كان انزعاج وردّ فعل المجتمعات من مشاريع و تطلعات الاستعمار، و طغيان أعمال التبشير، و استبداد الأنظمة السياسية و الإجتماعية ، و انتشار الشيوعية [1] من

---

[2] لوريمر ، جون : تأريخ الكنيسة ، دارالثقافة و دار يوسف كمل ، القاهرة ، بدون سنة الطبع ، ج 4 ، ص 124 ، و صالح ، محمد محمد : تأريخ أوروبا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية ... ، المرجع السابق ، ص 183 .

[3] العلمانية : هي الترجمة العربية لكلمة ، (Secularism ، Secularite) وهي حركة اجتماعية تهدف الى صرف الناس عن الإهتمام بالآخرة الى الإهتمام بالحياة الدنيا وحدها . ذلك أنه كان لدى الناس في العصور الوسطى رغبة شديدة في العزوف عن الدنيا و التأمل في الله واليوم الآخر . ومن أجل مقاومة هذه الرغبة طفقت الـ (Secularism) تعرض نفسها من خلال تنمية النزعة الإنسانية حيث بدأ الناس في عصر النهضة يظهرون تعلقهم الشديد بالإنجازات الثقافية البشرية ، و باءمكانية تحقيق طموحاتهم في هذه الحياة القريبة . و ظل الإتجاه الى ال (Secularism)يتطور باستمرار خلال التأريخ الحديث كله باعتبارها حركة مضادة للدين و مضادة للمسيحية ./ قطب ، محمد : مذاهب فكرية معاصرة ، المرجع السابق ، ص 445، نقلاً عن Encyclopedia Britannica, V.IX p.19 .

[1] ليست الشيوعية مذهباً إقتصاداً بحتاً ، و إن كان لها ولاشك مذهب اقتصادي محدد متميز ،إنما هي تصور للكون والحياة و الإنسان و لقضية الألوهية كذلك، وعن هذا التصور الشامل ينبثق المذهب الإقتصادي ، ثم إنها من جهة أخرى مذهب اقتصادي و
اجتماعي و سياسي و فكرى مترابط متشابك لا يمكن فصل بعضه عن بعض... و التصور الشيوعي للألوهية والكون و الحياة و
الإنسان هو تصور مادّي بحت.. فهم يسمون نظريتهم العامة (المادية الجدلية) ،ويسمون تفسيرهم للتأريخ (التفسير المادي للتأريخ) ، ومن أقوالهم : لا إله .. والكون مادة ، وحدة العالم تنحصر في ماديته ، المادة سابقة في الوجود على الفكر ... الإنسان
نتاج المادة... الخ / قطب ، محمد : مذاهب فكرية .. ، المرجع نفسه ، ص ص 259 ، 260 .

الأسباب المباشرة في تطور الفكر العلماني و انتشاره في أقطار العالم المختلفة . [2] و قبل أن تصبح العلمانية نظاماً سياسياً في فرنسا، كانت فكراً فلسفياً أنتجه أقطاب من مفكري و فلاسفة الغرب ، من أبرزهم :

"ديكارت : [*]أخذ يدعو إلى تطبيق المنهج العقلي في الفكر و الحياة ، بيكون [**]ظهر بمبدئه التجريبي و أراد تطبيقه على كل شيء.

–سبينوزا : صاحب مدرسة النقد التأريخي و قد كان مصيره الحرق.

---

[2]الموسوعة الميسرة في الاديان و المذاهب المعاصرة، المرجع السابق ، ص 367.

[*]**ديكارت ، رينيه** ، (1650–1596) :ولد في لاهي، وهي بلدة صغيرة بمنطقة التورين بفرنسا ، و تلقى تعليمه في كلية (لافليش) اليسوعية . في عام 1628 كتب(قواعد لهداية العقل) وهو كتاب لم يتمه و لم ينشر إبان حياته ، و فيه يبسط ديكارت لأول مرة قواعد(منهجه) الذي أراد به أن يكون منهجاً للفلسفة و العلم على حد سواء ، وفي عام 1634 ألّف رسالة باسم(العالم)

،وفي 1637 نشر ثلاث (مقالات) في موضوعات فيزيقية ورياضية ، وقدم لها بمؤلَفه الشهير (مقال في المنهج) الذي كان أول

عمل فلسفي عظيم يكتب في الفرنسية ، وقد خلق أسلوباً في الكتابة الفلسفية صار نموذجاً يحتذى في التعبير عن الفكر المجرد في

تلك اللغة . ونشر (تأملاته في الفلسفة الأولى) عام 1641، وفي 1644 نشر(مبادىء الفلسفة) ، و في 1649 (انفعالات النفس)

ثم توفي في 11 فبراير1650. / الموسوعة الفلسفية المختصرة ، المرجع السابق ، مادة : ديكارت، رينيه، ص ص 184، 189 .

[**]**فرنسيس بيكون** : (1626–1561) ولد في ظل البلاط الإنجليزي ، تلقى تعليمه في (كيمبردج) ، وقبل في سلك المحاماة في 1575 ،وفي عام 1584 حصل على مقعد في مجلس العموم البريطاني ، و في 1607 عّين وكيلاً للنائب العام، ثم نائباً عاماً في1613، و في 1617 عّين حافظاً للخاتم الأعظم ،وفي 1618 عيّن قاضياً للقضاة ، من أهم مؤلفاته : (مقدمة لتفسير الطبيعة) ،

(فكر و انظر) ، (ترقية العلوم) الذي هونقد للمفكرين السابقين، وفيه دعوات الى استخدام المعرفة لتحسين حالة الإنسان في هذا

العالم./ الموسوعة الفلسفية المختصرة ، مادة : بيكون ، فرنسيس ، ص ص 145،146 .

-جون لوك :(***)طالب بإخضاع الوحي للعقل عند التعارض . فقد أخذ العلمانيون يدعون إلى تحرر العقل و إضفاء صفات الاله على الطبيعة . (3) "

و جنباً إلى جنب مهد فلاسفة التنوير الطريقَ أمام الفكر العلماني لينتشر بصورة أفضل في الأوساط الدينية و الإجتماعية و السياسية ، حتى " ولادة الحكومة الفرنسية سنة 1789م و هي اول حكومة لادينية تحكم باسم الشعب . (1) "

ومن أبرز رموز فلسفة التنوير الأوروبية الذين ساعدت أعمالهم في تقوية و تطور العلمانية هم : .

". جان جاك روسو ، (*)سنة 1778م له كتاب (العقد الاجتماعي) الذي يعد إنجيل الثورة (الثورة الفرنسية 1789). (**)

(***)**جون لوك** : (1704 – 1632)ولد بمدينة رنجتون بولاية سومرست بإنجلترا ، إلتحق بأكسفورد عام1652 ، و تلقى هناك التعاليم الأرثوذكسية الفلسفية العنيفة الخالية من كل حياة ،و التي كانت سائدة في عصره فتأثر بها، و لكنه كان يمقتها من كل قلبه ،

نال درجة الليسانس عام1656، ودرجة الماجستير عام 1658... و بعد سنوات اتجه الى دراسة الطب ، و استطاع الحصول على

درجة في الطب من الجامعة ، و في عام 1674 حصل على تصريح بمزاولة مهنة الطب ، و مهما يكن من أمر فإن اهتمامه بالفلسفة استيقظ من جديد، عقب دراسته لديكارت ، وقد تأثر به كثيراً... في عام 1671 ألّف لوك مسودتين قصيرتين، توسع فيهما

طيلة العشرين سنة التالية حتى اصبحتا كتابه " مقال في العقل الإنساني " ، في 1688 ظهر " مقاله " وهو من أهم كتبه على الإطلاق .. / الموسوعة الفلسفية المختصرة ، مادة : لوك ، جون، ص ص 366 ، 369 .

(3)الموسوعة الميسرة ، المرجع السابق، ص 367-368.

(1)المرجع نفسه، ص 368.

(*)**جان جاك روسو** : (1778-1712) كاتب فرنسي ، قضى حياته متنقلاً من بلد الى بلد ، ومن عقيدة الى عقيدة ،. ومن عمل

الى عمل ، ومن رفيقة الى رفيقة .. ودائماً ماكان ضحية حسه المرهف و مزاجه العاطفي . تصور مقالاته الأولى الرجل الطبيعي

، على انه مخلوق ذو غرائز خيرة و ميول بسيطة قد أفسدته وحرمته من السعادة و بخاصة حياة المدنية ، و الفوارق الطبقية ،

والإستبداد الحكومي ،وقد ألف روايتين ((الواز الجديدة)) و (اميل) وكان لهما تأثير واسع ، و أعظم مؤلفاته هو(العقد الاجتماعي) الذي ذهب فيه الى أن الحكومة لا يسوغها إلإ إذا ظلت السيادة في يد الشعب ، فكل قانون لابد و أن يجيزه التصويت

المباشر لجميع المواطنين ، أما الديموقراطية النيابية فقد رفضها روسو ، و رأى أن ذلك النظام يعطى الأغلبية قوة مطلقة. وقد كان

. مونتسكيو ، (***)له (روح القوانين) .

. سبينوزا (يهودي) ، يعتبر رائد العلمانية باعتبارها منهجاً للحياة و السلوك ، و له(رسالة في اللاهوت و السياسة).

. فولتير (****)صاحب (القانون الطبيعي) .

. كانت (*)له (الدين في حدود العقل و حده) سنة 1804م.

لمؤلفاته أثر بليغ في نشأة الثورة الفرنسية . / الموسوعة الفلسفية المختصرة ، مادة : روسو، جان جاك ، ص 227.

(**)هي الثورة المعروفة التي انطلقت من فرنسا، وصلت مفاهيمها و روحها الى العالم بأسره ، وقد ابتدأت في 14 تموز 1789 ،

اذ استولى الثوار على حصن البستيل في باريس، وبذلك زعزعت الأنظمة القديمة في فرنسا وألغت فيها الملكية (1792) و انتشرت روحها في سائر بلاد أوروبا فالعالم. وهي التي تمخضت بمبادىء الديموقراطية. و فتحت الثورة عصراً جديداً للتطور القانوني في فرنسا و الأقطار التي خضعت للنفوذ الفرنسي . وكانت الثورة بداية انتشار الأنظمة الديموقراطية و العلمانية في ظل

تحكم القوانين الوضعية ، ونبعت من روحها الإستنارة الأوروبية . / نوسبوم ، آرثر : الوجيز في تأريخ القانون الدولي ، المرجع

السابق ، ص 183 ، و المنجد في الأدب و العلوم ، مادة : ثورة .

(***)**مونتسكيو** : (1689–1755) Montesquieu مؤلف و فيلسوف فرنسي ، ألّف (روح الشرائع) وهو كتاب في فلسفة الشرع و كان له تأثير عظيم في وضع الشرائع في النصف الثاني من القرن الثامن عشر . / المنجد في الأدب و العلوم ، المرجع السابق ، مادتا : (مونتسكيو) ، و (روح الشرائع) .

(****)ڤولـتـر) ، **فَرَنسوا ماري أرواة** : Voltaire ((1694 . 1778) . ولد في باريس ، مؤلف افرنسي ، من نوابغ زمانه ،أقام في إنكلترا و بروسيا وسويسرا ، تزعّم حركة الفلسفة المادية و قاوم رجال السلطة الدينية والمدنية و نقدهم .. و كتب في شتى النواحي من الأدب والشعر والتأريخ . مهّد السبيل إلى نشوء الثورة الفرنسية (1789) . من مؤلفاته : المحاورات الفلسفية ، (كنديد) والمآسات ، (زئير) و (الزير) و(محمد) . المنجد في الأدب و العلوم ، المرجع السابق ، مادة : ڤولـتـر .

(*)**كانت، عمانوئيل** : (1724–1804) فيلسوف ألماني، عمل محاضراً ، وأستاذاً للجامعة التي تخرج فيها لعدة أعوام ، وقد

درس أثناء طلبه للعلم الرياضة و الطبيعة الى جانب الفلسفة، و ظل طيلة حياته مهتماً بهذين الموضوعين ، أثر في تفكيره تياران

رئيسيان من تيارات الفلسفة الأوروبية : احدهما النزعة العقلية و الثاني هو النزعة التجريبية، تبدأ فلسفته الناضجة الخاصة به بكتاب " نقد العقل الخالص " (1781) ، وأشهر تسمية لها هي ((الفلسفة النقدية)) ، وله " نقد العقل العملي " و " نقد الحكم العقلي " . ذهب كانت الى القول بأننا لا ندرك ماهية الأشياء و لكن ظواهرها الحسية في الزمان و المكان . قال بالحرية و خلود النفس و بوجود الله . /

. وليم جودين 1793 ،[**]م ، له (العدالة السياسية) ودعوته فيه دعوة علمانية صريحة.[1] "

انتشرت الأفكار التنويرية في القرن الثامن عشر في الدول الأوروبية ، خصوصاً فرنسا التي كانت تحكم بواسطة لويس الرابع عشر (1638-1715) الذي حكم بصورة استبدادية، مما أدى إلى ازدياد الخنق و الغضب . و بعده جاء لويس الخامس عشر (1715-1774) الذي واصل الحكم الإستبدادي ، مما أحدث الإضطرابات . و التنوير أو الإستنارة Enlightenmentكان . مع العلمانية . من المصادر التي انطلقت منها و بتأثير مُثُلها حركةُ التنوير اليهودية ، و استلهم رموز التنوير اليهودي تصوراتهم و قراءاتهم الفكرية من فلسفة التنوير الأوروبية الآخذة في الإنتشار من بدايات القرن الثامن العشر.

و يمكن تعريف الإستنارة الأوروبية بأنها : حركة ثقافية اوروبية بدأت بالظهور من القرن السابع عشر، و انتشرت في القرن الثامن عشر بصورة واسعة، و أفكار هذه الحركة الفكرية تتعلق بالله ، و الطبيعة، ، و المؤسسات الدينية و الإجتماعية و السياسية " [2] إن الفكرة الأساسية للتنوير او الإستنارة، هي الاعتقاد السائد بأن عقل الإنسان قادر على إدراك هذا النظام العالمي و فهم كنهه و السيطرة عليه و تسخيره لفائدة البشر دون الإلتجاء إلى اللاهوت و المعجزات " [3] .

"لقد ادعى المتنورون بأن في الطبيعة تناسقاً و انسجاماً سبّب تعكيرهما الشر و التعصب والجهل الذي ادى إلى الحروب و الاضطهاد و التعذيب و انتشار الخرافات و الاوهام وإنزال المجتمع إلى الحضيض . و الانظمة السياسية و الإجتماعية المستبدة مسؤولة عن تلك المفاسد و الشرور، و عليه يجب إصلاح هذه الانظمة بمقاييس العقل و المنطق لخير البشر و سعادته. [4] "

عصر التنوير كان أوسع يقظة فكرية جاء بعد عصر النهضة الأوروبية) 1440-1540 Renaissance (و التنوير الأوروبي كان بمثابة الارضية الخصبة و الممهدة لولادة الثورة الفرنسية في أواخر القرن الثامن عشر ، التي خلفت تأثيراً كبيراً في جميع الاوساط و النواحي ، وقد سقطت بعدها . بتأثير الأفكار العلمانية التي كانت الثورة منطلقها . الحكومات و السلطات الدينية التي كانت قد هيمنت عليها الكنيسة هيمنةً إستبداديةً .

مفكّرو عصر التنوير– من أمثال فولتير و مونتسكيو و روسو – قاموا بإنقاذ العقل من حكم السلطات الاستبدادية و النظم الإجتماعية المتسلّطة . هؤلاء – على الرغم من ملاحظاتنا عليهم – قاوموا بشدة كل التقاليد و التصورات التي ضيقت حدود حرية الافراد و المجتمعات ، و من خلال انتهاج فكرة الحقوق الطبيعية للإنسان و المجتمعات استطاعوا ان يزعزعوا العقائد و المفاهيم التقليدية المستبدة [1] و باختصار يمكن تحديد العناصر الاساسية لحركة التنوير الأوروبية في القرن الثامن عشر في اربع نقاط هي : .

1. "إحلال الطبيعة محل ماوراء الطبيعة ، و العلم محل اللاهوت و الإفتراض بأن العالم المادي يقوده و يسيطرعليه القانونُ الطبيعي.

الموسوعة الفلسفية المختصرة ، مادة : كانت ، عمانوئيل ، ص ص 329،330، المنجد في الأدب و العلوم

،مادة : كانت .

[**]لم أعثر على ترجمة دقيقة لحياته ، فإن المراجع الموجودة عندي فقط تذكر اسمَها .

[1]الموسوعة الميسرة ، المرجع السابق ، ص368.

[2]انظر ، Encyclopedia Britannica المرجع السابق ، مادة . Enlightenment :

[3]صالح ، محمد محمد : تأريخ أوربا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية ... ، المرجع السابق ، ص572 .

[4]المرجع نفسه، ص573 .

[1]انظر ف. فولفين: فلسفة الأنوار، ترجمة : هنريت عبودي ، دار بيروت ، 1981، ص374.

.2السمو بالعقل البشري الذي يجب ان يستخدم لاكتشاف القوانين الطبيعية و تكييف حياة الفرد بحسبها .

.3إن استخدام العقل و التفكير و طاعة القانون الطبيعي يؤدي إلى التقدم السريع و بلوغ الكمال في النهاية.

.4الإهتمام بحقوق الإنسان و السعي من أجل تكوين مجتمع انساني أفضل . [2] "

هكذا بدأت حركة التنوير الأوروبية التي رسخت المفاهيم العلمانية في عقلية المجتمعات الأوروبية ، و كانت بالنسبة لليهود . الجماعات الغربية على وجه الخصوص . عاصفة هزّت عقول المتحجرين منهم ، و أثرت بالفعل في كثير من علماء و مفكري اليهودية ، و قد ولدت حركة التنوير اليهودية في ضوء هذا التأثير الشاسع.

حين حطمت فلسفة التنوير الأوروبي فكرة القداسة، و بعدها لعبت العلمانية بصورة فعالة في تجريد القداسة عن المعتقدات الدينية السائدة، برز من بين الجماعات اليهودية مفكرون قد تأثروا بفكرة تجريد القداسة هذه، وقد ادى بهم هذا التأثير في نهاية المطاف إلى إنكار المفاهيم و المعتقدات اليهودية السائدة التي تؤكد على قدسية الشعب اليهودي و تفوق العرق اليهودي على جميع الأعراق .

و حين تتحطم هذه المفاهيم فإن فكرة اندماج الجماعات اليهودية في المجتمعات تصبح قابلة للتطبيق و ذلك لان المعتقدات التي تقول بقدسة الشعب اليهودي، و تشجع هذا الشعب على عدم مخالطة الأغيار و العداء لهم، كانت وراء عزلة الجماعات اليهودية عبر التأريخ و إذا تم تجريد القداسة عن هذه المعتقدات ، و بالمقابل رُسّخ مبدأُ التعايش والتعاون من أجل النهوض بمسيرة التقدم العلمي و الصناعي والإجتماعي . و هذا هو ماطالبت به الثورةُ الفرنسية من خلال شعاراتها الثلاثة (الحرية ، الاخاء ، المساواة) . فإن عزلة اليهودي لا تبقى لها مبرّراتُها الدينية و الخارجية (الدوافع الدينية و الخارجية للعزلة)، و بالتالي ليس امام المفكرين المتنورين اليهود إلا أن يدعوا الجماعات اليهودية إلى التخلي عن العزلة و الخروج من غيتواتها .

و قد مهدت الثورة الفرنسية 1789 الطريق أمام المتنورين اليهود لتنشيط أفكارهم و فلسفتهم الإندماجية ، حيث طالبت هذه الثورة " اليهود بأن يتخلوا عن هويتهم شبه القومية الإقطاعية وان يكتسبوا هوية عصرية ، كما قال أحد زعماء الثورة الفرنسية في كانون الاول (ديسمبر) 1789: (إنا نرفض أن نمنح اليهود كافة أي شيء، أما اليهود كأفراد فإننا نمنحهم كل شيء). وقد استجاب اليهود لهذا النداء و لهذا التيار التأريخي . [1] "

و قد بدأت هذه الاستجابة بالجماعات اليهودية في فرنسا، و بسبب الإنتشار الواسع للعلمانية في فرنسا فان الجالية اليهودية في هذا البلد نجحوا في تطبيق فكرة الإندماج في المجتمع الفرنسي..

بعد هذا التلخيص الموجز عن الوضع الفكري و السياسي للجماعات الأوروبية الذي كان الدافع و المؤثر الاساس لبروز التيار التنويري اليهودي ، سنفصل الكلام عن هذا التيار الفكري الذي خصصنا له هذا المطلب.

---

[2]صالح ، محمد محمد : تأريخ أوربا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية ... ، المرجع السابق ، ص573 .

[1]شراب، مجاهد على: الحركة الصهيونية حركة عنصرية، في كتاب (الصهيونية و العنصرية) أبحاث المؤتمر الفكري حول الصهيونية، بغداد 8-12 تشرين الثاني (نوفمبر) 1976، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ط 1 ، تشرين الثاني(نوفمبر) 1977 ، ج1، ص 207 . 208 .

ثانياً : تعريفها و بداياتها

في تعريف كلمة (هسكلاه) Haskalah تقول موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية : [1]

" كلمة عبرية مشتقة من الجذر العبري (سيخيل) و معناها (عقل) او (ذكاء) ثم اشتقت منها كلمة (سيگيل) بمعنى (نوّر) ثم استخدمت الكلمة بمعنى (استنارة) والإسم منها (مسكيل) وجمعه (مسكليم) . "

و بالنسبة لتأريخ ظهور مصطلح (هسكلاه) فإنه قد ظهر " عام 1832 للاشارة إلى حركة في الاداب المكتوبة بالعبرية حاول دعاتها أن يبتعدوا عن الأشكال الأدبية التقليدية المرتبطة إلى حد كبير بالدين و ان يستعيروا أشكال الأدب العلماني الغربي و لكن التنوير لم يكن مجرد حركة ادبية و انما كان أيضاً رؤية متكاملة نسميها (العقلانية المادية) . [2] "

قبل انتشار مصطلح (هسكلاه) ليكون اسماً للحركة الفكرية اليهودية ، جرت صحوة فكرية في وسط النخبة اليهودية المثقفة في المانيا 0(مهد الاصلاح الديني بزعامة لوثر)، و قد اقترنت كلمة هسكلاه بتلك الحركة . أي " تستخدم الكلمة بالمعنى العام للاشارة إلى الحركة الفكرية الإجتماعية التي ظهرت بين يهود غرب أوروبا (في المانيا ووسطها) ثم انتشرت منها إلى شرقها. و قد بدات حركة التنوير في صورة تيار اساسي بين اليهود منذ منتصف القرن الثامن عشر و استمرت حتى عام 1880 . [3] "

و كما بينا في السابق ان الإستنارة اليهودية جاءت بعد انتشار مُثُل و رموز الإستنارة الغربية ، لذلك قامت الحركة اليهودية المتنورة اعتماداً على قيم و رموزات التنوير الأوروبي ، وقد انطلقت " من الأفكار الاساسية في حركة الإستنارة الغربية مثل ، الايمان بالعقل باعتباره مصدراً أساسياً و ربما وحيداً للمعرفة بالإضافة إلى ثقة كاملة بالعلم و بحتمية التعدد ، و بنسبية المعرفة و القيم ، و بإمكانية إصلاح الإنسان عن طريق تغيير بيئته و خلق المواطن الذي يدين بالولاء للدولة " [4] .

و مع هذا التأثّر الشديد بالتنوير الأوروبي و أدبياته بل و انطلاق الحركة اليهودية من مبادئه ، الا ان هناك تفاوتاً في وجهات النظر بين المتنورين اليهود حول الأخذ بقيم الإستنارة الغربية ، خاصة بعد ان نضجت الإستنارة اليهودية و اتضحت معالمها الفكرية و أهدافها. لذلك نرى أنه " كان أعضاء الجماعات اليهودية يتلقون مُثُل الإستنارة بشكل متفاوت ، فمنهم من تبنّاها بحماس و طبّقها ، و منهم من خضع لها و سايرها ، و أخيراً هناك من تصدى لها وقاومها . [5] "

لكن الذين قاوموا مُثُل الإستنارة الغربية كانوا حقيقة المفكرين الذين يميلون إلى الأبعاد القومية في الديانة اليهودية مع تأثرهم بالفكر العلماني الغربي و يمكن القول : إن الإستنارة اليهودية بشكل عام كانت خاضعة للمفاهيم الغربية و الثقافة الحديثة . و تشير دائرة المعارف اليهودية إلى أن حركة التنوير اليهودية قد دعت اليهود منذ انطلاقها إلى ترك خصوصياتهم القومية و التقليدية و إلى اكتساب معارف و أساليب و تطلعات الأمم و المجتمعات التي كانوا يعيشون معها [1] .

---

[1] م3 ، ج1، ب5، مدخل (الهسكلاه) .

[2] المرجع نفسه، م3 ، ج1، ب5، مدخل (التنويراليهودي: تأريخ) .

[3] المرجع نفسه، المدخل نفسه .

[4] المرجع نفسه ، المدخل نفسه.

[5] المرجع نفسه، م3، ج1، ب5، مدخل (الإستنارة اليهودية " الهسكلاه ") .

[1] انظر ، Jewish Encyclopaedia المرجع السابق، مادة . Haskalah :

أحد المراكز الاولى لظهور الحركة كان برلين بألمانيا ، حيث بدأت الحركة بالمعنى المحدد في تلك المدينة [2]. و من ألمانيا انتشرت إلى أوروبا الشرقية ، و قد كان المفكرون الاوائل للحركة قد اقنعوا الجماعات اليهودية في المانيا و بعض مناطق أوروبا الشرقية إلى أن ينخرطوا في الإتجاه العام من الثقافة الأوروبية ، وذلك من خلال إصلاح التعليم اليهود التقليدي ، و التخلي عن الحياة في الغيتوات ، و إلحاق المفاهيم و المواضيع العلمانية بالمناهج التعليمية في المدارس ، و تبنى لغة المجتمع بدلاً من لغة الإيدش ، و ترك الزي التقليدي ، و إصحلاح خدمات المعابد ... الخ من الأمور التقليدية الأخرى . [3]

ويُعتبر المفكر الالماني (موسى مندلسون) [4] من أهم مفكري التنويراليهودي ، الذي كان رائد الحركة الاول، و قد أنجز نجاحاً إستثنائياً في الترويج لأفكارالحركة . [5]

و قد " أصدر عام 1750 مجلة اسبوعية تسمى (كو هيليت موسار) (اي الواعظ الأخلاقي) صدرت منها ثلاثة أعداد و حسب ، وهي المجلة التي تُعد أول منبر للتعبير عن أفكار حركة التنوير. [6] "

---

[2]انظر Encyclopedia Britannica المرجع السابق، مادة Haskalah ، :موسوعة اليهود واليهودية ، مدخل (التنوير اليهودي: تأريخ) ، المرجع السابق .

، Encyclopedia Britannica [3]المرجع نفسه، مادة . Haskalah :

[4]**موسى مندلسون) 1729–1786** : (رائد حركة التنوير اليهودية . وُلد في دساو (ألمانيا الوسطى)... درس الطب والفلسفة واللغات اليونانية واللاتينية والإنجليزية والفرنسية... قرأ مندلسون أعمال موسى بن ميمون وتأثر بنزعته العقلانية ، كما تأثر بأعمال سبينوزا . وذاع صيته في بداية الأمر بسبب كتاباته في فلسفة الجمال التي تُعَدُّ إسهاماً لا بأس به في هذا الحقل الفلسفي ، ثم نشر كتاب فايدون (1767)... وقد ذاع صيت مندلسون بعد هذا الكتاب وكان يشار إليه بأنه (أفلاطون الألمان وسقراط اليهود).. وقد بذل مندلسون قصارى جهده كي يقضي على العزلة الفعلية والنفسية لليهود . فأنشأ مدرسة للأطفال في برلين لتعليم الألمانية والحرف اليدوية إلى جانب العلوم التقليدية، وهاجم استخدام اليديشية، وأصدر عام1750 مجلة لنشر ثمار الثقافة العالمية بعنوان كوهيليت موسار (الواعظ الأخلاقي)... ولكنها منيت بالفشل ولم يظهر منها سوى ثلاثة أعداد. ثم نشر عام 1783 مجلة هاميئاسيف (الحاصد أو الجامع) التي كانت تُعَدُّ أهم مجلات حركة التنوير، واستمر نشرها حتى عام 1811...و قام بترجمة أسفار موسى الخمسة إلى الألمانية . وقد نُشرت الترجمة مع تعليقات وشروح كتبها معه مؤلفون يهود آخرون ... ويُعَدُّ هذا العمل من أهم أعمال عصر التنوير، فهو الخطوة الأولى التي خطاها أعضاء الجماعة اليهودية نحو الحضارة الغربية العلمانية الحديثة ، وقد حرَّم الحاخامات تداولها. وذاع صيت مندلسون لدرجة أن اليهود أطلقوا عليه لقب(موسى الثالث) ، (باعتبار أن النبي موسى هو الأول ، أماالثاني فهو موسى بن ميمون). / موسوعة اليهود واليهودية ، م3 ، ج 1 ، ب5 ، مدخل (موسى مندلسون) 1729–1786 () .

[5]انظر ، Encyclopedia Britannica مادة ، Jewish Encyclopaedia ، Haskalah :مادة، Haskalah :موسوعة اليهود واليهودية ، مدخل (التنوير اليهودي: تأريخ) ، المرجع السابق .

[6]موسوعة اليهود واليهودية ، المرجع نفسه، المدخل نفسه .

مع هذه البدايات لظهور حركة التنوير اليهودية التي أوضحناها ، هناك البعض من المؤرخين يرون " أن تأريخ نشأة حركة التنوير هو عام 1783، فقد أصدر جوزيف الثاني [*]براءة التسامح عام 1782، و في العام التالي نشر مندلسون ترجمته الألمانية لأسفار موسى الخمسة بحروف عبرية مع تعليق ذي طابع عقلاني . [1] "

فقد كان مندلسون منظر مدرسة التنوير على كل حال ، و كان يطالب بحرية العقيدة ، و دعا الجماعات اليهودية منذ ظهوره إلى الخروج من سجنها و أحيائها المغلقة ، و طالب تلك الجماعات بأن تدخل العالم المنفتح، و تتخلّى عن الخرافات و الأوهام العقائدية التي مزقت عقول اليهود ، و أبعدت الجالية اليهودية عن المواقع و الإنفتاح نحو المفاهيم الإنسانية النبيلة مثل : التسامح و التعايش و التعاون.

و إذا أردنا أن نعرف حركة مندلسون فأفضل تعريف لها هو: أنها كانت المؤسسة الفكرية النقدية التي تنطلق من فكرة نقد المسلمات و إخضاعها للعقل.

في البداية حين انتشرت حركة التنوير في ألمانيا كانت قد نجحت نجاحاً كبيراً في نشر مثلها و مفاهيمها الجديدة . فقد كان الجيل الأول من الحركة نجحوا بقدر كبير في التكيّف مع الحياة الإجتماعية و الثقافية للأمة الألمانية ، حيث تركوا بسرعة لغة الايدش ، و كان استيعابهم للمفاهيم التنويرية الجديدة
قوياً و واسع الإنتشار . [2]

كان يهود ألمانيا قدوة لباقي الجماعات اليهودية في الدول الأوروبية الأخرى خاصة دول وسط أوروبا . من هذا السياق " انتشرت مُثُل التنوير، ابتداءً من عام 1820، في الامبراطورية النمساوية (بوهيميا و شمال ايطاليا و جاليشيا) و ارتبطت الحركة هناك بالألمانية منذ البداية ، إذ كان مرسوم التسامح الذي أصدره جوزيف الثاني يمنح اليهود الحقوق السياسية بمقدار ما يحققونه من اندماج ثقافي و اقتصادي . و بين 1821–1832 أصدر دعاة التنوير في فيينا مجلة سنوية تسمي بيكوري هاعيتيم (أي بواكير ثمار هذه الأزمنة) ، نشرت دراسات لغوية و تأريخية و سيراً انطلاقاً

---

[*]**جوزيف الثاني) 1780–1790** : (إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدَّسة (الإمبراطورية النمساوية) . وهو من أشهر حكام
أوربا ممن أُطلق عليهم (المستبدون المستنيرون). حاول قدر استطاعته أن يُصلح الإمبراطورية النمساوية المجرية وأن يحدِّثها ، بعد أن تلقَّى تعليمه الحقيقي من كتابات فولتير والفلاسفة الموسوعيين الفرنسيين ، بحيث أصبح من أكبر المدافعين عن مُثُل حركة
الاستنارة ... قام بإصلاح النظام التعليمي في الإمبراطورية وبفصل القضاء عن الجناح التنفيذي، وأصلح نظام الصحة العامة، وألغى نظام الرق ... وقلَّص سلطة الأساقفة، وحد من علاقة الكنيسة بالبابا. وقد أصدر في عام 1782 براءة التسامح التي أكدت الحقوق القائمة لأعضاء الأقليات غير الكاثوليكية وأضافت لها حقوقاً جديدة. وبالنسبة لأعضاء الجماعة اليهودية، أعطت البراءة اليهود الحق في حرية التنقل والسكنى في أي مكان واختيار أية مهنة أو وظيفة. وظلت قوانين وتشريعات جوزيف الثاني أساس التعامل مع أعضاء الجماعات اليهودية في الإمبراطورية النمساوية المجرية حتى نشوب ثورة 1848. / موسوعةاليهود واليهودية
،م3 ، ج 1 ، ب4 ، مدخل (جوزيف الثاني) 1780–1790 ().

[1]المرجع نفسه ، مدخل (التنويراليهودي: تأريخ) .

[2]انظر ، Encyclopedia Britannica مادة ، Jewish Encyclopaedia ، Haskalah :مادة .Haskalah :

من مبادئ علم اليهودية ، [1] كما نشرت كتابات تسخر من الحياة التقليدية لأعضاء الجماعات اليهودية (خصوصا الحسيدين منهم) [2] و كذلك دراسات تأريخية . [3] "

امتداد حركة التنوير لم يتوقف عند الامبراطورية النمساوية ، بل استمر في التوسع ، و كان الفكر المتنور عاصفة محت كثيراً من المفاهيم الدينية على الأقل عند الذين كان لهم ميل نحو الثقافة الحديثة و كانوا يتطلعون إلى مخرج لينتقلوا من حالة التخلف و العيش المنعزل إلى عالم متطور لا تحكمه المعادلات الدينية الضيقة .

فعلى هذه الوتيرة " انتقلت حركة التنوير، في الثلاثينيات من القرن التاسع عشر، من المانيا و جاليشيا إلى روسيا و اصبح مركزها هناك في منتصف الاربعينيات ، و بخاصة في ليتوانيا ، حيث وضعت أسس الأدب الحديث المكتوب بالعبرية و نشرت أول رواية عبرية عام 1854، كما ظهرت عدة مجلات اسبوعية، و يعد اسحق دوف لفنسون [*]أهم دعاة الإستنارة في روسيا (و يطلق عليه مندلسون روسيا) . [4] "

و كان بعض أتباع الحركة في روسيا قد حاولوا تحسين حالة اليهود بالتعاون مع الحكومة من خلال خطة ركزت على الاصلاح التربوي للجماعات اليهودية. [5]

و إصلاح الجانب التعليمي للتجمعات اليهودية كان من أكبر أساليب الاصلاح و التنوير التي استخدمتها حركة التنوير. و بالنسبة للجالية اليهودية في روسيا فان ظروفهم الاقتصادية كانت دافعاً كبيراً لإقبال اليهود هناك نحو التمسك بمُثُل الإستنارة .. و قد قامت حركة التنوير في روسيا بحملة واسعة النطاق من خلال الدعوة إلى الإصلاح الديني و الإندماج الثقافي و القومي و التكيف الإجتماعي . [1]

) [1]علم اليهودية : science of Judaism (علم أسسه في القرن التاسع عشر المفكرون الالمان اليهود ذوو التوجه العلماني و الاهتمام التاريخي، بهدف دراسة اليهودية و اليهود دراسةً تأريخيةً وعلمية لاكتشاف الخصوصية اليهودية./ موسوعة اليهود واليهودية ، م3، ج1، ب5، مدخل (علم اليهود) .

[2]الحسيديون كانوا من أتباع حركة يهودية باسم (الحسيدية) ،Hasidism للمزيد حول هذه الحركة أنظر ص (128 . 148)من هذه الدراسة .

[3]موسوعة اليهود واليهودية ، مدخل (التنوير اليهودي: تأريخ) ، المرجع السابق .

[*]**إسمه أيزيك لفنسون) 1788–1860** : (مؤسس حركة التنوير في روسيا، ويُسميه البعض (مندلسون روسيا) . وُلد لأسرة يهودية ثرية، ونشأ في بلدة على حدود جاليشيا النمساوية . علَّم نفسه البولندية والألمانية والفرنسية، ويُعَدُّ من أوائل اليهود

الذين أتقنوا اللغة الروسية ... كتب في 1828 (شهادة في إسرائيل) الذي يوجه فيه نقداً لاذعاً للمدارس الأولية الخاصة (حيدر)

التي يتمركز منهجها حول التلمود وهي مدارس تتبع طرقاًغير منهجية في التدريس ويُستخدَم فيها العقاب البدني، ولذا سماها لفنسون (غرف الموت)... وقد أغضبت أفكاره الدوائر الأرثوذكسية، ولكن كثيراً من الشباب اعتبر كتابه شهادة في إسرائيل إنجيلاً

جديداً. و كتب " بيت يهودا " (عام 1829)، لكنه لم ينشره إلا بعد عشرة أعوام؛ نظراً للمعارضة الشديدة من قبل الحاخامات لطبعه، فهو عبارة عن تفسيرلليهودية في ضوء فلسفة التاريخ . / موسوعة اليهود واليهودية ، م3 ، ج 1 ، ب5 ، مدخل (أيزيك لفنسون) 1788–1860 ().

[4]المرجع نفسه، مدخل (التنوير اليهودي: تأريخ).

، Encyclopedia Britannica [5]مادة. Haskalah :

[1]أنظر بديعة أمين، المرجع السابق ، ص83.

واندماج الجماعات اليهودية في روسيا و تطبيع حياتها مع المجتمع الروسي بلغ مستوى جيداً ، و اشتركت في تلك العملية فئات مختلفة من أعضاء الجماعات اليهودية . وقد " غدت الصيحة التي أطلقها الشاعر اليهودي غوردن Gordon : (كن يهودياً في خيمتك ، و رجلاً في الشارع) شعار حركة التنوير اليهودية في روسيا . [2] "

"ومن أشهر الجمعيات المنادية بالتنوير جمعية نشر الثقافة بين يهود روسيا التي أسست عام 1863 عدة مدارس لتعليم الحرف و غيرها من الفنون الدنيوية. و بدأ لفيف من الكاتبين بالعبرية في التحول عن الاسلوب المتأنق الذي تبنّاه دعاه التنوير الأوائل و اتجهوا نحو النقد الاجتماعي . [3] "

الإسم الرسمي لتلك الجمعية هي " جمعية تنمية الثقافة بين يهود روسيا society for the promotion of culture among the jews of Russian ، أسسها عام 1863 في سانت بطرسبرج عددٌ من أثرياء الجماعة اليهودية في روسيا بغرض نشر الثقافة الروسية بين الجماهير اليهودية و الإسراع بعملية التحديث و الترويس بينهم . [4] "

كانت هذه الجمعية مرجعاً كبيراً و مؤثراً للمتنورين الروس ، و قد لعبت دوراً فعالاً في التقريب بين الثقافة الروسية و الثقافة اليهودية المتنامية ، و فضلًا عن ذلك دفعت بقطاع التعليم في الاوساط اليهودية إلى الأمام عن طريق المساعدات المالية التي قدمتها للطلاب اليهود ، " فقد خصصت جزءاً كبيراً من ميزانيتها لدعم و مساعدة الطلبة اليهود في مؤسسات التعليم العالي الروسية، و بخاصة في سانت بطرسبرج، حيث اعتبرهم دعاة التنوير أفضل المرشحين لقيادة الجماعة اليهودية. كما ساعدت الجمعية الطلبة على الدراسة في الجامعات و المعاهد الاجنبية . [5] "

و قد تفاوت انتشار حركة التنوير في البلدان الأوروبية ، و ذلك يرجع إلى تفاوت الظروف المتاحة لكل بلد من تلك البلدان ، فبسبب اختلاف هذه الظروف اختلفت أيضاً أوضاع الجماعات اليهودية ، و بالتالي اختلفت التصورات و المفاهيم.

تقول موسوعة اليهود واليهودية " : [6] يلاحظ أن أعضاء الجماعات اليهودية في غرب أوربا (فرنسا و إنجلترا و هولندا) لم يلعبوا دوراً كبيراً في حركة التنوير ، ذلك لأن المسألة لم تكن تعنيهم كثيراً بسبب تحقيقهم معدلات عالية من الإندماج و حصولهم على حقوقهم منذ بداية استقرارهم في هذه البلاد. و على النقيض من هذا، يقف يهود شرق أوروبا الذين لم تضرب حركة التنوير بجذور قوية بينهم . و بين الفريقين كان يقف يهود وسط أوربا (ألمانيا و النمسا و غيرهما) الذين كانوا يمثلون العصب الحقيقي لحركة التنوير ، فكان منهم موسى مندلسون ، و ظهرت بينهم اليهودية الإصلاحية [1] و كذلك علم اليهودية . "

و هنا تجدر الاشارة إلى ظاهرة كانت جديدة في العالم اليهودي عموماً ابتدعتها حركة التنوير اليهودية ، و هي " صالونات النساء اليهوديات . [2] "

---

[2] المرجع نفسه، ص83، نقلاً عن Greenberg . Louis, the jews in Russia , the struggle for imancipation, ams press inc., 1973, vol.,I,P.120

[3] موسوعة اليهود واليهودية ، مدخل (التنوير اليهودي: تأريخ) ، المرجع السابق .

[4] المرجع نفسه، م5 ، ج1 ، ب5 ، مدخل (جمعية تنمية الثقافة بين يهود روسيا) .

[5] المرجع نفسه ، المدخل نفسه .

[6] المرجع نفسه ، مدخل (التنوير اليهودي : تأريخ) .

[1] هي حركة دينية ظهرت في ألمانيا منتصف القرن التاسع عشر ، و دعت هذه الحركة إلى إصلاح اليهودية، في محاولة لإصلاح الفكر اليهودي ، و من ثم تغيير المفاهيم التقليدية و القديمة و إبراز البعد الديني لليهودية مقابل ترك البعد القومي ، و دعت أيضاً الى الاندماج . للمزيد عن هذه الحركة ، أنظر ص (149 . 170) من هذه الدراسة ، فقد تناولناها هناك بصورة تفصيلية .

[2] موسوعة اليهود و اليهودية ، م5 ، ج1 ، ب5 ، مدخل (صالونات النساء الألمانيات اليهوديات) .

و هي " صالونات فكرية أقامتها بعض بنات أثرياء اليهود في فيينا و برلين في بداية القرن التاسع عشر ، و أصبحت مركزاً يلتقى فيه أعضاء النخبة الثقافية و السياسية في أوربا مع بعضهم البعض ، و مع البارزين من أعضاء الجماعة اليهودية " . [3]

إذا نظرنا إلى تأريخ اليهودية – تأريخ كل الجماعات و الحركات اليهودية ، بغض النظر عن اختلاف تفسيراتها للديانة اليهودية – نرى ان المراة اليهودية لاقت كثيراً من الاضطهاد و الحرمان و الإستخفاف بشأنها . و التحريفات التي لحقت بالنصوص الدينية اليهودية هي التي تقف وراء موقف الجماعات اليهودية عبر التأريخ من المرأة اليهودية . فقد كانت المرأة اليهودية محرومة من أن تكون كاهنة ، ولم يكن بإمكانها الإلتحاق بالمدارس التلمودية.

و الفقه اليهودي ابتدع دعاءً كان يتعين على اليهودي أن يردده كل يوم ، و هو أن يحمد الإله على أنه خلقه يهودياً و ليس من الأغيار ، و رجلاً و ليس امرأةً .[4]

و هناك شواهد كثيرة على تدني وضع المرأة اليهودية في تاريخ الجماعات اليهودية المختلفة فمثلاً " يقول بابا بترة : [5]ما أسعد من رزقه الله ذكوراً و أسوأ حظ من لن يرزق بغير الاناث ، نعم لا ينكر لزوم الإناث للتناسل الا أن الذرية كالتجارة سواء بسواء ، فالجلد و العطر كلاهما لازم للناس الا أن النفس تميل إلى رائحة العطر الزكية ، و تكره رائحة الجلد الخبيثة ، فهل يقاس الجلد بالعطر؟ . [6] "

والفقه اليهودي بدوره قد ضيق حدود حرية المرأة اليهودية ، فمثلاً نرى في موضوع الزواج انه هو " صفقة شراء تعد المرأة به مملوكة ، و تشترى من أبيها فيكون زوجها سيدَها المطلق ، [1] " و نصَ هذا الفقه على أن " المرأة المتزوجة كالقاصر و الصبي و المجنون ، لا يجوز لها البيع و لا الشراء . [2] " وقد كان التراث الديني اليهودي يضع دائماً العراقيل بحجج دينية أمام مشاركة المراة في الحياة الدينية و التعليمية .

حين انتشرت مُثُل الإستنارة اليهودية تغير وضع المراة اليهودية و كان افتتاح الصالونات بداية حركة تحرير المراة اليهودية . و قد أثرت حركة التنوير في الحركات اليهودية الأخرى التي جاءت بعدها في مسألة تحرير المرأة ، حيث كانت اليهودية الإصلاحية و المحافظة تحث النساء اليهوديات على المشاركة في الحياة الدينية العامة ، و في مجالات التعليم و العمل. [3]

وقد " بدأ مندلسون تقليد الصالونات هذه حين خصص ليلة يلتقى فيها المثقفون اليهود مع غير اليهود ليتبادلوا الأفكار ، و كان اول صالون تفتحه مثقفة يهودية و هو صالون هنريتا هيرتز (1764–1847) ... و من أهم الصالونات الأخرى صالون دوروثيا فايت (1763–1879) و هي ابنة مندلسون ... و كان صالون راحيل ليفين فارنهاجن (1771–1833) أهم الصالونات جميعاً ، و كان ملتقى النخبة . [4] "

---

[3]المرجع نفسه ، المدخل نفسه .

[4]أنظر الصياد ، محسن : المرأة اليهودية.. دينياً و تأريخياً ، مقالة نشرت في الإنترنت ، شبكة (إسلام أون لاين) ، www.Islamonline.net تأريخ النشر: 3/5/2002.

[5]لم أعثر على ترجمة لحياته .

[6]نقلاً عن شلبي ، مقارنة الاديان ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 300 .

[1]المرجع نفسه ، ص301 ، نقلاً عن : غوستاف لوبون، اليهود في تاريخ الحضارات الاولى ، ص52 .

[2]المرجع نفسه ، ص301.

[3]أنظر الصياد ، محسن : المرأة اليهودية.. دينياً و تأريخياً ، المرجع السابق .

[4]موسوعة اليهود واليهودية ، مدخل (صالونات النساء الألمانيات اليهوديات) ، المرجع السابق .

ثالثاً : أهم أفكار ومبادئ الحركة

أهمية حركة التنوير تتجلى في المبادئ و الأفكار التي جاءت بها ، و قد أحدثت بتلك الأفكار الجديدة هزةً داخل المنظومة الفكرية و الدينية و التقليدية للفكر اليهودي بمختلف الفئات و الجماعات اليهودية .

يمكن أن نعتبر حركةَ التنوير حركة علمنة الجماعات اليهودية ، و إعدادها لتكون باستطاعتها ان تتكيف مع صيغة العالم الحديث والعلمانية الغربية . و قد استطاعت تلك الحركة منذ نشأتها حتى اواخر القرن التاسع عشر أن تمارس تأثيرها في الأوساط الدينية و الفكرية .

"ولقد تزايد التأثير العميق لحركة التنوير على يهود العالم الغربي كافةً إلى أن سادت مُثُلُها وتمت علمنتهم و تحديثهم ، فأصبحوا إما ملحدين أو لاأدريين أو مؤمنين بصياغات مخففة من اليهودية كاليهودية الاصلاحية . [1] "

و لا يمكن حقيقة اعتبارُ حركة التنوير حركة دينية ، و ذلك لأنها نشأت أساساً لتخفيف النزعة الدينية لدى الجماعات اليهودية ، و بالمقابل تقوية و إبراز النزعة العقلانية و تسليطها على الفكر التقليدي المستند إلى التراث الديني . فقامت حركة التنوير لتجعل العقل مصدراً وحيداً لمعرفة الحقائق و صياغة الحياة اليهودية عليه بدلاً من النصوص و المؤسسات الحاخامية التي كانت مصدر الحياة اليهودية بكل أبعادها منذ قرون طويلة . و حين نؤكد على أن التيار الإصلاحي قد نشأ متأثراً بأفكار و أدبيات الفكر المتنور، والإصلاح اليهودي تيار ديني علماني ، فيمكن أن نعدّ أولئك الإصلاحيين من المتنورين و الوسطيين ، الذين كانوا . مع تأثرهم بالفكر المتنور العلماني و إقرارهم بالإندماج و التخلي عن المفاهيم القومية بما فيها مفهوم الشعب المقدس . عندهم رغبة ذاتية للحفاظ على الديانة اليهودية من خلال التحفظ بمدلولاتها الدينية و اعتبارها ديانة لكل البشر كأية ديانة أخرى .

لتوضيح أفكار و مبادئ حركة التنوير اليهودية . التي تميزها عن باقي الحركات اليهودية بكل اتجاهاتها . نفضل أن نفصل عنها ضمن مجموعة من النقاط ، كل نقطة تبرز جانباً من جوانب الفكر اليهودي المتنور.

1. تبين أن حركة التنوير اليهودية كانت رد فعل للمفاهيم اليهودية المألوفة التي كان مصدرها النصوص الدينية اليهودية ، حيث من خلال تقديس هذه النصوص و اختزال طرق المعرفة في معرفتها تشكلت دكتاتورية دينية منعت منذ وجود اليهود التفكيرَ العقلي أو استخدامَ العقل أداةً لاكتشاف الحقيقة او المعرفة . لذلك قامت حركة التنوير أساساً بإعادة الهيبة و الأهمية للعقل في الأوساط اليهودية . و قد أفرطت الإستنارة اليهودية في تلك المسألة حين قررت أن العقل
   هو المصدر الوحيد للمعرفة . تقول موسوعة اليهود و اليهودية " : [1] تنطلق حركة التنوير اليهودي من الأفكار الأساسية في حركة الاستنارة الغربية مثل الايمان بالعقل باعتباره مصدراً أساسياً وربما وحيداً للمعرفة. "

إن النزعة العقلانية هي أقوى و أوضح نزعة عند المتنورين اليهود ، وقد دفعت كثيراً منهم إلى إلغاء المقوّمات و الأسس التي تقوم عليها اليهودية كديانة.

---

[1] المرجع نفسه ، مدخل (التنوير اليهودي: تأريخ).

[1] مدخل (التنوير اليهودي : تأريخ) ، المرجع السابق .

فمثلاً كان (لازاروس بنديفيد) " . [2] يذهب إلى أن الشعائر هي سبب ضعف اليهودية في عصره ، و نادى بإلغائها . كما طالب بالإبتعاد عن الشريعة الشفوية ، و بيّن أن الإيمان بالماشيح ليس إحدى العقائد الاساسية في اليهودية ، وان حصول اليهود على حقوقهم و مساواتهم بالأغيار هو في واقع الأمر عودة الماشيح . [3] " و كان المفكر هرتز هومبرج [4] طالب " بإلغاء منصب الحاخام و تدمير كل الكتابات الحاخامية و إلغاء الشريعة الشفوية ..[5] " هذه الدعوات و إن كانت مثالية و مستحيلة بالنسبة لليهود آنذاك إلا أنها انتشرت انتشاراً واسعاً و أثرت في عقول الكثيرين ممن كانوا منزعجين من الهيمنة الحاخامية ، و المفاهيم العنصرية في النصوص الدينية ، خاصة الشريعة الشفوية (التلمود) وربما اكبر دليل على تأثير هذه الدعوات هو بروز التيار الاصلاحي الذي نادى بإصلاح اليهودية و الإندماج في المجتمعات.

و نرى عقلانية التيار التنويري لدى مفكر آخر هو (صموئيل لوتساتو) " ، [6] فهو يحاول المزج بين العقل و الوحي كما يعرف اليهودية بانها عقيدة لا تتنافى مع العقل ، مع ان شعائرها مرسلة من الاله . و يرى لوتساتو ان العقيدة

---

[2]**لازاروس بنديـفيد) 1762–1832** : (أحد دعاة حركة التنوير بين يهود ألمانيا، وله كتابات في الفلسفة أحرزت ذيوعاً في وقتها ... كان يرى أن الطريقة الوحيدة لوقف تنصُّر اليهود هي اليهودية الإصلاحية. وقد تقبَّل بنديفيد فكرة نقد العهد القديم، وكان يذهب إلى أن الشعائر هي سبب ضعف اليهودية في عصره، ونادى بإلغائها. كما طالب بالابتعاد عن الشريعة الشفوية، وبيَّن أن الإيمان بالماشيَّح ليس إحدى العقائد الأساسية في اليهودية، وأن حصول اليهود على حقوقهم ومساواتهم بالأغيار هو في واقع الأمر عودة الماشيَّح . / موسوعة اليهود واليهودية ، م3 ، ج 1 ، ب5 ، مدخل (لازاروس بنديفيد 1762–1832) ().

[3]المرجع نفسه ، المدخل نفسه .

[4]**هرتز هومبرج) 1749–1841** : (تربوي ألماني يهودي من رواد حركة التنوير ودعاتها. وتأثر هومبرج بأفكار روسو في التربية ... كان عقلانياً لا يدرك أن اللحظة التاريخية تساهم في صياغة الإنسان . ودفعه رفضه اليهودية الحاخامية إلى أن يطرح اقتراحات ثورية صبيانية مستحيلة مثل إلغاء منصب الحاخام وتدمير كل الكتابات الحاخامية وإلغاء الشريعة الشفوية . موسوعة اليهود واليهودية ، م3 ، ج 1 ، ب5 ، مدخل (هرتز هومبرج) 1749–1841 ().

[5]المرجع نفسه ، المدخل نفسه .

[6]**صموئيل لوتساتو) 1800–1865** : (ويُعرَف أيضاً باسم (شادال)... مفكر إيطالي يهودي وُلد في تريسته لأسرة سفاردية

إيطالية ...عُيِّن أستاذاً في أول كلية حاخامية حديثة في العالم في بادوا، وظل في هذا المنصب طيلة حياته... نشر ديوان يهوذا اللاوي عام 1864، كما كتب أول تعليق نقدي على الكتاب المقدَّس وترجم أسفار موسى الخمسة والصلوات العبرية إلى الإيطالية ،

وكتب العديد منالكتيبات بالإيطالية والعبرية عن النحو والفلسفة والدراسات اللاهوتية، ونُشرت رسائله بعد موته في تسعة أجزاء/ .

موسوعة اليهود واليهودية ، م3 ، ج 1 ، ب5 ، مدخل (صموئيل لوتساتو) 1800–1865 ().

المطلقة في اليهودية هي الايمان بالاله الواحد ، فهي وحدها الملزمة لليهودي ، أما ما عداها فيمكن الأخذ و الرد بشأنه ، كما ان بوسع اليهود ان يختلفوا فيها بينهم بشأن كل القضايا الدينية الأخرى دون ان يعدوا مهرطقين . [1] "

2. إن أهم ما طالبت به حركة التنوير هو فكرة الإندماج ، اي اندماج الجماعات اليهودية في المجتمعات التي يعيشون معها . و لهذا قد عُرفت حركة التنوير بالتيار الإندماجي.

فمنذ نشأتها " كانت تنادي بأن على اليهود أن يحاولوا الحصول على حقوقهم المدنية كاملةً عن طريق الإندماج في المجتمعات التي يعيشون فيها ، وان يكون ولاؤهم الاول و الاخير للبلاد التي ينتمون إليها و ليس إلى (قوميتهم الدينية) التي لا تستند إلى سند عقلي أو موضوعي . [2] "

و طالما بقيت الجماعات اليهودية على المفاهيم القومية في الديانة اليهودية او على طبيعتها الإنعزالية ، فإن فكرة اندماجها في المجتمعات تبقى مستحيلة . لذلك قام مفكّرو حركة التنوير منذ البداية بإدخال المفاهيم و الأفكار الغربية الحديثة التي تطالب بنبذ الأفكار الغيبية و انفتاح المجتمعات الإنسانية ، إلى عقول أتباعهم من اليهود ، في محاولة لكسر هيمنة المفاهيم القومية أمام اليهودي حتى تتهيأ له أرضية مناسبة لانفتاحه نحو الآخرين من غير اليهود ، و من ثم الإندماج ، اي الخروج من العزلة . فقد كانت المفاهيم القومية . مثل (الشعب المقدس أو الأرض الموعودة) . و المفاهيم العنصرية . (مثل مفهوم الأغيار ، من اتباع الديانات الأخرى، و المجتمعات التي لا تنتمي إلى عرق يهودي كما يقولون) . وراء تشويه الشخصية اليهودية و جعلها غير طبيعية، بحيث انها مليئة بالأفكار العدائية و النزعات التفوقية المتغطرسة ، ما جعلها تنعزل عن باقي المجتمعات ، لذلك أول محاولة لكسر زنزانة الغيتو هي طمس هذه المفاهيم في عقلية الفرد اليهودي ، و جعْل هذا الفرد عقلانياً بالمفهوم الغربي .

ومن هذا المنطلق كان دعاة الإستنارة يرون أن اندماج الجماعات اليهودية ممكن " اذا ما تمكن اليهود من اكتساب مقومات الحضارة الغربية العلمانية . واذا ما قاموا بفصل الدين اليهودي عما يسمّى (بالقومية اليهودية) حتى يتلاءموا مع الدولة العلمانية القومية في أوروبا . [3] "

و قد كانت الدعوة للإندماج شملت جميع النواحي ، أي الإندماج بصورة شاملة . بحيث يترك اليهودي لغته وزيه التقليدي ، و يدين بالولاء للوطن مثل الآخرين تماماً ، اي ليس هناك وطن ديني آخر كما بشرت به النصوص الدينية ، تقول موسوعة اليهود و اليهودية " : [4] كان من القضايا الاساسية التي طرحتها حركة التنوير إشكالية اللغة اذ كانت الجماعات اليهويدية في شرق أوروبا تتحدث اليديشية . ولذا ، شجع دعاة التنوير الإندماج اللغوي ، فنادوا بما سمّوه (النقاء اللغوي) ذلك ان تنقية اللغة التي كان يتحدث بها اليهود كفيلة ، حسب تصورهم ، برفع مستواهم الحضاري ، ولذلك طالبوا بألاّ يستعمل اليهود اليديشية ، و أن يتعلموا بدلاً من ذلك اللغة الام سواء كانت الروسية او الالمانية او البولندية. كما دعوا إلى إحياء اللغة العبرية باعتبارها لغة التراث اليهودي الاصلي . "

يمكن القول بأن الدعوة للاندماج هي دعوة لتطبيع اليهود ، أي تطبيع الشخصية اليهودية ، بأن تكون شخصية طبيعية مندمجة ، بعد أن كانت شخصية غيتوية منطوية على نفسها و متمسكة بتراثها التقليدي و هويتها القومية الدينية . لذلك فإن حركة التنوير هي حركة تجريد الخصوصيات التقليدية عن الشخصية اليهودية ، لتكون متكيفة مع العصر الحديث ، وتصبح شخصية طبيعية منتمية إلى الوطن، متخلية عن المفاهيم القديمة التي فد حبست عقلَها ، اي بأن لا تعيش مع الاوهام و الخرافات، بل تخرج من قفصها الهامشي و تدخل عالم المجتمع و التعايش.

و هذا هو الهدف الحقيقي وراء عقلنة الجماعات اليهودية التي طالبت بها حركة التنوير..

---

[1] المرجع نفسه ، المدخل نفسه .

[2] شراب ، مجاهد على: الحركة الصهيونية حركة عنصرية ، في (الصهيونية والعنصرية)، المرجع السابق ، ج1، ص 208.

[3] المرجع نفسه ، ص 208.

[4] م3، ج1، ب5، مدخل (التنوير اليهودي: فكر) .

3. إن التيار التنويري على الرغم من أنه خروج عن المسار الديني التقليدي ، إلا أنه تيار يهودي له انتماء بشكل خاص بالتوراة. اما بخصوص باقي النصوص الدينية فانه يرفض التمسك بها . وهذه أكبر مسألة تميّز حركةَ التنوير عن كثير من الحركات اليهودية.

تقول موسوعة اليهود و اليهودية " : [1] هاجم دعاة التنوير التراث اليهودي الشفوي او الشريعة الشفوية و كتبها الدينية مثل التلمود... وأبقوا على التراث اليهودي المكتوب وحده. و ذهبوا إلى ان من حقهم العودة إلى التراث الأصلي نفسه بدون التقيد باليهودية الحاخامية ، كما هاجموا الحركات و الكتب الصوفية العديدة التي أفرزها التراث اليهودي ، مثل الحسيدية و كتب القبالاه. "

إذا نظرنا إلى النصوص الدينية اليهودية (خاصة التراث الشفوي) نرى انها تنطوي على كثير من العقائد و المفاهيم الخرافية و العنصرية و العدائية ، لذلك كان حتماً على مفكري حركة التنوير ان يقوموا بتهميش دور هذه النصوص في حياة الجماعات اليهودية، بل برفضها و اعتبارها نصوصاً خرافية لا تستند إلى أساس موضوعي و عقلي . و إذا لم يتم ذلك ، فإن كل محاولة لتحديث الحياة اليهودية أو علمنة اليهودية تنتهي بالفشل .

أول خطوة قام بها المفكرون اليهود في سبيل تحقيق هذا الهدف . أي إبعاد النصوص الدينية (خاصة التراث الشفوي) عن حياة الجماعات اليهودية . هي البدء بدراسة النصوص الدينية دراسة علمية توصيفية غير أيديولوجية . حيث من خلال دراسة هذه النصوص دراسةً مجردةً عن العواطف الدينية ستتجلى خرافية هذه النصوص و حقيقة كتابتها من قِبل البشر ، و بعد ذلك فإن قدسيتها بدون شك تسقط أمام اليهودي ، و بذلك تتهيأ الظروفُ المناسبة للمفكرين ذوي التوجه العلماني لأن يقوموا بدورهم في إبطال قدسية و مرجعية النصوص الدينية ، واذا تم خلق المسافة الروحية بين اليهود و النصوص الدينية ، فإن المفاهيم الدينية تفقد حيويتها وروحها ، وبعد ذلك تكون عملية علمنة و تحديث الحياة اليهودية ممكنة وفعالة .

و سميت هذه المحاولات فيما بعد بـ (علم اليهودية) ، و قد أصبح هذا العلم حقلاً خاصاً في دراسة اليهودية (نصوصها وتأريخها) ، وقد عمل في هذا الحقل حتى اليوم عدد كبير من المفكرين و الكتاب و الدارسين.

وقد كان (علم اليهودية) ضربةً قاسية للأفكار الخرافية الموجودة في اليهودية ، و انعطافاً فكرياً كبيراً ، من التبعية العمياء للنصوص إلى اتخاذ موقف نقدي علمي جدي تجاه هذه النصوص.

أي وضع دارسو علم اليهودية اكتشاف اليهودية على عاتقهم ، وهذا هو هدف إنشاء علم اليهودية ، وذلك لأنه " ستؤدي عملية اكتشاف اليهودية إلى اكتشاف جوهرها الحقيقي، و بالتالي يمكن التخلص من التراكمات الخرافية التلمودية التي علقت بها، ... وقد حاول هذا العلم أن يبيّن دنيوية و تأريخية التراث الديني اليهودي ، أي أنه نتاج ظروف تأريخية محدّدة ، و بالتالي نزع عنه أية قداسة او مطلقية، وهو ما فتح الطريق أمام إمكانية التحرر منه و رفضه و اكتشاف سوابق تاريخية داخله تبرر الاصلاح . [1] "

ومن هنا نرى أن دارسي هذا العلم قد أصبحوا من رواد اليهودية الإصلاحية فيما بعد . و من الممكن أن نقول إذا كانت اليهودية ديانةَ الجماعات اليهودية ، فإنها بالنسبة لعدد من اليهود (المتأثرين بالفكر العلماني التنور) لم تعد ديانة بعد ظهور علم اليهودية ، حيث قد حل هذا العلم محل الديانة اليهودية . فإذا كانت الشرائع و المفاهيم الموجودة في النصوص أسس الديانة اليهودية في السابق ، فانها بعد انتشار علم اليهودية ليست أسساً بل هي مواد خام دراسة الديانة ، والنتائج التي تفرزها هذه الدراسة هي الاسس التي يمكن في ضوئها ان ينظر إلى اليهودية، و بالتالي هي المعيار لكيفية التعامل مع اليهودية (الإتباع ، أم الرفض ، أم الإصلاح).

---

[1] المرجع نفسه ، المدخل نفسه .

[1] المرجع نفسه، المدخل نفسه .

من هنا يمكن أن نفهم مقولة المفكر اليهودي المتنور (موريتز ستاينشنايدر): [2]
"إن اليهودية قد ماتت ، وان علم اليهودية هو العلم الذي سيقوم بعملية دفنها. [3] "

4. إحدى القضايا الأساسية التي اهتم بمعالجتها دعاةُ الإستنارة اليهودية هي قضية التعليم والتربية. فأكبر تغيير أحدثه مفكرو الـ (هسكلاه) داخل الأنظمة التعليمية و التربوية هو تحديث نظام و تقنيات التعليم اليهودي ، وتغيير فلسفة التربية من خلال تغيير أهدافها و مناهجها.

فبعد أن كانت الدراسات و المناهج دينية بحتة ، و اقتصرت فلسفة الدراسة و التعليم فقط في إعداد الحاخامات ، و كان لا يسمح بدراسة العلوم الإنسانية او الدنيوية ، وقف دعاة الإستنارة وقفة صارمة حادة، وانتقدوا نظام التعليم الذي اقتصر على تناول العلوم الدينية و النصوص المقدسة، و قد نادوا " بأن تكون المدارس التلمودية العليا (يشيفا) مدارس لإعداد الحاخامات وحدهم ، و طالبوا اليهود بأن تتم العملية التعليمية خارج الإطار الديني و أن تشمل الجماهير كلها وليس الأرستقراطية الفكرية وحدها من الحاخامات و غيرهم . كما طالبوا إخوانهم في الدين بأن يرسلوا أولادهم إلى المدارس غير اليهودية حتى يتقنوا كل الفنون العلمانية مثل الهندسة و الزراعة ، و شجعوا ممارسة الاعمال اليدوية، كما دافعوا عن تعليم المرأة . [1] " فالتغيير الأكبر الذي أحدثه مفكرو التيار التنويري هو شيئان :

الأول هو : إدخال الدراسات غير الدينية في نظام التعليم اليهودي ، و ذلك بهدف انفتاح المتعلمين على الثقافات و الدراسات الحديثة ، و على العلوم التطبيقيةو التجريبية ، و كل ذلك سيؤدي حتماً إلى خلق نوع جديد من الحياة يتلائم و العصر الحديث.

و **الثاني** هو : الإهتمام بتعليم المرأة اليهودية التي عانت كثيراً من الويلات و التخلّف في كل النواحي تحت سلطة الأنظمة و المؤسسات الحاخامية بطول تأريخ الجماعات اليهودية في كل مكان .. فقد بذلت دعاة الإستنارة جهوداً حثيثة في سبيل تعليم البنات اليهودية و تثقيفهن بالثقافة أو الأفكار الغربية الحديثة ، و كانوا واقعيين في ذلك ، حيث لا يمكن التحدث عن التقدم و التطور بدون الإلتفات إلى دور المرأة في الحياة بكل جوانبها . وقد رأت محاولات و جهود دعاة الإستنارة نورَها في نهاية المطاف ، حيث " بدأت المدارس اليهودية العلمانية تظهر ، لأول مرة في تأريخ الجماعات اليهودية الأوروبية ، مع منتصف القرن التاسع عشر الميلادي ، وافتتحت أول مدرسة يهودية لتعليم المرأة في روسيا عام 1836 " [2] .

كانت محاولات تغيير النظام و آلية التعليم و التربية أهم و أكبر خطوة نحو إنجاز عملية تحديث الحياة اليهودية ، وبدونها لا يمكن تحقيق هذا الهدف . و رأينا أن مخططي عملية التغيير قد بدأوا أولاً بإزالة التلمود من موقعه المركزي في التعليم اليهودي ، فقد حرّروا التعليم من قبضة المؤسسات الدينية (هذا لا ينطبق على كل الجماعات اليهودية ، بل نقصد الأمكنة التي انتشرت فيها مُثُلُ الإستنارة بقوة ، كروسيا و كثير من الدول الغربية) أي جعلوا التعليم مفتوحاً ليشمل كل

---

[2]**موريتز ستاينشنايدر) 1816-1907** : (أحد مؤسسي علم اليهودية... وُلد في مورافيا، ودرس دراسات دينية ودنيوية، وأتقن عدداً من اللغات الأوربية من بينها الفرنسية والإيطالية كما أتقن العبرية...استقر في برلين عام 1845..انصب اهتمامه على دراسة علاقة اليهود بالحضارات الأخرى ، واهتم بشكل خاص بعلاقة اليهود بالحضارة العربية ./ موسوعة اليهود واليهودية ، م3 ، ج 1 ، ب5 ، مدخل (موريتز ستاينشنايدر) 1816-1907 () .

[3]المرجع نفسه ، المدخل نفسه .

[1]المرجع نفسه ، مدخل (التنويراليهودي: فكر) .

[2]المرجع نفسه ، المدخل نفسه.

العلوم و الدراسات ، وقد خصصوا في الوقت نفسه الدراسات التلمودية بدراسة النصوص و العلوم الدينية و إعداد الحاخامات فقط .

5. على الرغم من أن حركة التنوير نشأت لتخفّف النزعةَ الدينيةَ لدى الجماعات اليهودية ، إلا أنها لم ترفض الديانة اليهودية ، بل فسرتها تفسيراً جديداً يلائم وضع اليهود الجديد . هذا التفسير كان يؤكد على اعتبار الديانة اليهودية ديانةً مفتوحة لكل البشر و مبسوطةً لا ترتبط بالقومية اليهودية و لا بأرض الميعاد . أي بموجب هذا التفسير فإن اليهودية ديانةٌ كونية لهداية الناس جميعاً ، و بالتالي فإن الإله اليهودي هو إله البشر جميعاً و ليس إله اليهود فقط.

تقول موسوعة اليهود و اليهودية " [1]: مع تغيير حياة اليهود الإجتماعية و الإقتصادية ، أي بعد تحديثهم ، كان ضرورياً أن يتم تحديث الديانة نفسها حتى لا ينصرف عنها الشاب اليهودي الذي كان قد بدأ يتساءل عن مدى جدوى و جدية مصطلحات مثل (النفي) أو (صهيون) أو (العودة). [*]

وقد وجّه دعاةُ التنوير سهامَ نقدهم إلى التراث القومي الديني اليهودي ، فهاجموا فكرة الماشيح [**] و أسطورة العودة ، و حوّلوا فكرةَ جبل صهيون إلى مفهوم روحي أو إلى اسم المدينة الفاضلة التي لا وجود لها إلا بوصفها فكرة مثالية في قلب الإنسان . و أصبح الخلاص [***] هو انتشار العقل و العدالة بين الشعوب غير اليهودية ، ولم يعد مرهوناً بالعودة إلى أرض الميعاد . "

إذا نظرنا إلى تأريخ الجماعات اليهودية نرى ان تلك الجماعات قد عانت كثيراً من الويلات و الطرد و التشريد بسبب شيء واحد ، ألا وهو تمسكُها بالمفاهيم القومية أو نقول الديانة القومية . فبسبب ذلك التمسك كانت المسافة بين تلك الجماعات و المجتمعات التي تعيش فيها كبيرة و معمقة . لذلك كان لابد لتغيير وضع تلك الجماعات من طمس معالم التراث و البعد القومي الديني ، و هذا هو ما فعله دعاةُ التنوير بالضبط حين غلّبوا التفسير الثقافي الحضاري لليهودية على التفسير القومي.

أي اعتبروا اليهودية حضارة شاملة يشترك فيها كلُ البشر. و بذلك فإن دعاة التنوير اختاروا التكوين الثقافي و الحضاري لليهودية ، و قد تركوا التكوين القومي ، و ذلك بهدف تطبيع الديانة اليهودية ، أي إنقاذها من قبضة مجموعة تبدو كأنها (مجموعة من العصابة !) التي خصصت الديانة لنفسها باعتبارها مجموعةَ الله المختارة ! . و بذلك تركت تلك المجموعة مهمةَ التبشير (أي نشر الرسالة اليهودية) . و اعتبارها رسالة دينية حضارية مفتوحة لكل الناس .

هذا تغييرٌ جذريٌ كبير قام به دعاةُ التنوير ، تغييرٌ جاء لكي ينقذ اليهوديةَ من الرقعة الحاخامية المصغرة إلى دائرة واسعة كبيرة تشمل او تسمح لكل المجتمعات و الأعراق بالإشتراك فيها . و هذا التصور المنفتح لدعاة التنوير يأتي من أنهم

---

[1] المرجع نفسه ، المدخل نفسه.

[*] يعتبر اليهودُ طردَهم من فلسطين من قِبل الروم ، ومن ثم تشتتهم في بقاع الأرض المختلفة نفياً إلهياً وعقاباً منه بسبب انحرافهم عن عقيدتهم التوحيدية . ولذلك هم يعتبرون العالم (أي غير فلسطين) منفى لهم . وبالنسبة لكلمة (صهيون) و (العودة) فإننا شرحنا مدلولاتهما الدينية بصورة تفصيلية في عموم الدراسة ، أنظر مثلاً ص (210 . 215 و 223 . 229) من هذه الدراسة .

[**] فكرة الماشيح : هي عقيدة دينية ، أكدت عليها المؤسسات الدينية اليهودية عبر التأريخ . وهي تفترض أن المسيح سوف يبعثه الله لتخليص اليهود من النفي ، أي سيعيد شعب الله المختار (اليهود) إلى أرضه (أرتس يسرائيل ، فلسطين) . وبذلك ينتهي عصر النفي ، وتعود لليهود شوكتُهم وجلالهم .

[***] فكرة الخلاص مرادفة لفكرة الماشيح من حيث مدلولها الديني . حيث سيأتي خلاص اليهود بعد مجئ الماشيح (المسيح) . وفي العصر الحديث أخذت هذه الفكرة صبغة إنسانية جديدة ، إذ كان قد استعمل مصطلح (حل المشكلة اليهودية) إلى جانب (فكرة الخلاص) . أي إنهاء حالة النفي و الشتات .

" كانوا يرون أنفسهم أساساً ، بشراً لا يهوداً ، و طليعةً حضارةٍ إنسانيةٍ عالمية يبشرون بها بين اليهود الذين يتمسكون بحضارتهم المتخلفة. [1] "

من هنا يتضح أن حركة التنوير تفسر الديانة اليهودية تفسيراً ثقافياً و حضارياً ، أي تعتبرها جزءاً من الحضارة اليهودية الشاملة . بتعبير أدق ، إن التنوير اليهودي يحافظ على التكوين الديني لليهودية ، اي يؤكد الدين لكن باعتباره ثقافة ، لا باعتباره ديناً. و هذا يميز التنوير عن حركة (اليهودية الإصلاحية) Reform Judaism التي تؤكد الدين باعتباره ديناً..

إن محاولة المتنورين لطمس المفاهيم القومية و الأفكار الغيبية الخرافية في عقلية الجماعات اليهودية جاءت من أجل تحرر اليهودي من تلك القيود التي مزقته وجعلته متخلفاً منعزلاً حاقداً عدائياً .
لذلك منذ اللحظة الأولى طرحت حركة التنوير تعديلات جذرية في الدين اليهودي ، حيث سعت لتحقيق الخلاص بالإعتماد على الذات وعدم انتظار المسيح للعودة إلى صهيون.

هذه النقاط كانت أهم الأفكار الجوهرية لحركة التنوير ، وهي تميزها عن باقي الحركات اليهودية باعتبارها حركةً اندماجيةً علمانيةً . و من خلال هذه الأفكار تركت أثرها على الفكر اليهودي في القرن التاسع عشر ، وهذه الأفكار جوهرية تتضمن في تفاصيلها تغييرات كثيرة ، أي هناك أشياء كثيرة تحدث حين تطبق هذه الأفكار و تنقل إلى حيز الواقع .
فمثلاً إذا طبقت فكرة الإندماج . أي أثناء وجود الحركة في القرن التاسع عشر . والتخلي عن المفاهيم التلمودية الحاخامية التي كانت قد أصبحت من خصوصيات الديانة اليهودية ككل ماذا سيحصل ؟.

بدون شك ستسقط أجزاء كبيرة من التراث الديني التقليدي ، و التراث الشعبي والفكري أيضاً . وهكذا بالنسبة للأفكار و المباديء الأخرى . من هنا نفهم التحولات الكبيرة التي أحدثتها حركة التنوير في النصف الاول من القرن التاسع عشر ، و لولا الإنتكاسات التي تعرضت لها ، لكان من الممكن أن تسود مُثُلها كثيراً لدى الجماعات اليهودية ..

رابعاً : مصير حركة التنوير

بيّنا في السابق أن حركة التنوير انتشرت بصورة واسعة بين الجماعات اليهودية في البلدان الأوروبية و الروسية . و قد اصبحت بعض مُثُل و نماذج الهسكلاه ميزات فكرية و أخلاقية و ثقافية لبعضٍ من الجماعات اليهودية (خاصة الجماعات الغربية).

و قد كانت حركة اليهودية الاصلاحية ثمرة مباشرة لتلك الحركة ، وكانت ولدت في ألمانيا . إلا أن هذه الحركة فشلت في نهاية المطاف في أن تحقق أهدافها المرسومة . وكان انتكاس الحركة قد بدأ منذ أوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر و قد فقدت الحركة في بداية العقدين الأخيرين للقرن التاسع عشر . أي في عام 1880 كما بيناه في بداية تعريف الحركة . قدرتها و وجودها كتيار ثقافي فكري فعال له مؤسسات ورجال و منابر . ولكن ظلت بعض المُثُل التنويرية باقيةً على ألسنة المطالبين بالتحديث و العلمنة. secularising

إن أهم الأسباب التي تقف وراء سقوط حركة التنوير اليهودية هي- :

---

[1] موسوعة اليهود واليهودية ، م3 ، ج1، ب5 ، مدخل (دعاة التنوير اليهودي " المسكليم ") .

1. مقاومة المتشددين اليهود الذين كان لهم عقيدة ارثوذكسية متحجرة من امثال الحسيديين و الأرثوذكس ، بالاضافة إلى معارضة الحاخامات و الرأسماليين اليهود في غرب أوروبا الذين كانوا مستفيدين من بقاء الوضع على ما كان عليه قبل نشأة حركة التنوير. ومن الممكن ان نقول : إن مقاومة هؤلاء المغالين في التدين ترجع إلى سببين رئيسيين هما:

السبب الاول : خوفهم من اعتناق المندمجين اليهود للمسيحية . و بالفعل برزت هذه الظاهرة في أوساط اليهود المندمجين المتأثرين بحركة التنوير والاصلاح اليهودي . و ربما يرجع ذلك إلى محاولات مندلسون للتوفيق بين اليهودية و المسيحية ، و ذلك عن طريق التشديد على النقاط المشتركة بينهما ، مقدمة لتقليص الجفاء بين أتباع الديانتين.

يقول عبدالوهاب المسيري " : [1] كان من اليسير ، بل من المنطقي بالنسبة لليهود المندمجين المعتنقين للمذهب الإصلاحي أن يعتنقوا المسيحية . فأولاد موسى مندلسون و أولاد هرتزل [2] و أولاد فرايد لندر [3]كلهم اعتنقوا المسيحية... خلال ثلاثين سنة تحول نصف يهود برلين إلى المسيحية. "

السبب الثاني : خوفهم من أن يؤدي تنوير اليهود و علمنتهم و خروجهم من عزلتهم و تخليهم عن المباديء القومية مثل (الشعب المختار و الوعد بالأرض) إلى انتهاء حيوية الديانة اليهودية و اليهود أيضاً ، بل إلى موت اليهودية ، و في الحقيقة إن الديانة التي رُسمت لها خصوصياتُها من قبل هؤلاء المتشددين التلموديين تقوم على الأسس التي نادى المستتيرون و الإصلاحيون بتركها و حذفها و بالتالي فإن كل محاولة لحذف الأسس القومية و العنصرية و الخرافية لليهودية ، هي محاولة لخنق الديانة ككل و إماتتها.

.2مقاومة مفكري الصهونية الأوائل الذين كانوا يدعون إلى حل المسألة اليهودية من خلال إنشاء وطن قومي لليهود.

يقول الحاخام الروسي الصهيوني آحاد هعام " : [1] إن اليهودية اذ تخرج من أسوار الجيتو الإنعزالية تتعرض لخسارة كيانها الأصلي ، أو على الأقل وحدتها القومية ، و تصبح مهددة بالإنقسام إلى أكثر من نوع واحد من اليهودية ... و يكرر المفكر الألماني و الزعيم الصهيوني ماكس نوردو

---

[1] الأيديولوجية الصهيونية، المرجع السابق ، ج1 ، ص101 .

[2] إقرأ حياته وملخَصاً عن أفكاره في ص (288 . 299) من هذه الدراسة.

[3] إقرأ حياته في ص (160 . 161) من هذه الدراسة.

[1] إقرأ حياته في ص (261) من هذه الدراسة.

[*] (1849–1923)نفس الفكرة و النغمة في كتاباته إذ يقول : كانت كل العادات و أنماط السلوك اليهودية تهدف دون وعي إلى شيء واحد ، الحفاظ على اليهودية و ذلك بعدم الإختلاط بالأغيار حتى تحافظ على المجتمع اليهودي ، و لنستمر في تذكير الفرد اليهودي بأنه سيفقد و يهلك إن هو تخلّى عن شخصيته الفريدة . [2] " ...

و يرى المفكر الألماني الصهيوني موسى هس) 1812–1875 " : [3](إن الدين اليهودي قد أصبح مصيبة أكثر منه ديناً ... و ان دعاة التنوير من اليهود مخطئون ان انظنوا (أن باستطاعتهم النجاة من هذه المصيبة بالتنور أو التحول إلى المسيحية) ... و يرى هس أيضاً أن تعرض الديانة اليهودية لأنوار الثقافة الحديثة سيعرض لبها للخراب و الفساد فيقول : (حاول المتنورون ان يعرضوا المسرح اليهودي لضوء الثقافة الحديثة و ذلك بخرق القشرة الصلبة التي سلح الحاخامات اليهودية بها. لا يستطيع أحد حتى مندلسون العظيم ان يفعل هذا الشيء دون أن يخرب لب اليهودية الداخلي) . [4] "

من هنا تتضح معارضة و كراهية الصهاينة لفكرة الإندماج التي نادت بها حركة التنوير ، و للحركة نفسها بسبب ما دعت له من تحديث و علمنة الحياة اليهودية . و هذه المعارضة كانت من الأسباب الرئيسية في انتكاس حركة التنوير و سقوطها .

3.إرتداد بعض من دعاة التنوير عن الحركة ، و انتقادهم من فلسفة التنوير و الإصلاح الإندماجية. وهذا الإرتداد أدّى إلى انهيار حركة التنوير من الداخل.

"فإن بعضاً من الذين كانوا منخرطين في صميم حركة الأنوار اليهودية بات في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ينظر بعين النقد إلى حركة الاصلاح . و حجة هؤلاء النقاد ، رغم موقفهم المغالي في العلمانية على الصعيد الشخصي ، أن حركة الاصلاح كانت ستؤدي باليهود إلى الذوبان من خلال الانصهار . و لهذا السبب أخذوا يبحثون عن طرق أخرى يستطيع اليهود من خلالها أن يعايشوا العالَمين ، العالم الحديث و العالم اليهودي الخاص . [1] "

4. إن تراجع شعارات المساواة و الإخاء التي دعت لها الثورة الفرنسية 1789 ، و سيطرة الأفكار الرجعية على أوروبا مجدداً في أواخر القرن التاسع عشر ، و سيادة روح التعصب و العنصرية ، كانت سبباً آخر في

---

[*]**ماكس نوردو) 1849–1923 : (**مفكر يهودي ألماني، وزعيم صهيوني سياسي. اسمه الأصلي سيمون ماكسيميليان سودفيلد، وقد غيَّر اسمه إلى ماكس نوردو .. وُلد في المجر... وفي عام 1892، تعرَّف هرتزل إلى نوردو وفاتحه في

فكرة الدولة الصهيونية فوافق عليها ثم أصبح بعدها ساعد هرتزل الأيمن ... وبعد موت هرتزل، عُرضت عليه رئاسة المنظمة الصهيونية العالمية، ولكنه رفض ذلك لأسباب عدة من بينها أنه كان متزوجاً من مسيحية وآثر أن يظل مستشاراً سياسياً لحلفاء هرتزل...كان نوردو يعتبر نفسه تلميذاً لهرتزل ، ويصف كتابه (دولة اليهود) بأنه عمل عظيم ونبوءة وبأنه

"كتاب سيحل محل العهد القديم " ... من أهم مؤلفاته كتابه (أكاذيب حضارتنا التقليدية). / موسوعة اليهود واليهودية ، م6 ، ج 2

،ب9 ، مدخل (ماكس نوردو) 1849–1923 ().

[2]نقلاًعن المسيري ، عبدالوهاب : الايديولوجية الصهيونية ، المرجع السابق ، ج1 ، ص110–111.

[3]إقرأ موسى هس (حياته و أفكاره) في ص (278 . 283) من هذه الدراسة.

[4]المسيري ، الايديولوجية الصهيونية ، المرجع السابق ، ج1 ، ص111–112 .

[1]تايلور ، آلن : الصهيونية بين النظرية والتطبيق ، في (الصهيونية و العنصرية) ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 70.

مسألة تراجع حركة التنوير و سقوطها ، حيث لا يتيح مثل هذ الجو للأفكار التنويرية أن تظهر و تنمو ، و لا يمكن لليهود . أي الذين أرادوا الإندماج في المجتماعت و التعايش كمواطنين منتمين للوطن . أن يتعاملوا مع مثل هذا الواقع . الذي لا يسمح بوجود الآخر . على أسس حركة التنوير ..

تقول موسوعة اليهود و اليهودية " : [2] ساعد على انتكاس حركة التنوير في نهاية الامر ظهورُ القوميات الأوتوقراطية المتخلفة ... في روسيا و بولندا ، و من قبلهما في ألمانيا وهي قوميات لم تتبن مُثُلَ الإخاء و التسامح شأنها في هذا شأن القومية الفرنسية ، و إنما تبنت رؤيةً ثنائية حادة تقسم الناس إلى الأنا و الآخر ... ثم أدى تعثر التحديث في شرق أوربا و توقفه تقريباً عام 1881 إلى سحب الارض من تحت أقدام دعاة التنوير و تحوّل كثير من دعاة حركة التنوير إلى دعاة للعقيدة الصهيونية بسبب الظروف المواتية. "

5.إذا كانت تلك النقاط الأربع الماضية أسباباً موضوعيةً و خارجيةً ، فإن هناك سبباً ذاتياً يجب أن نشير إليه ، و هو وجود الطبيعة الإنعزالية بقوة في الشخصية اليهودية و نسيج الديانة اليهودية من خلال نصوصها . فبينما استطاع عدد لا بأس به من اليهود أن يتخلوا عن تلك الطبيعة بسبب هضم مثل الإستنارة الغربية و العلمانية ، و تجريد القداسة عن المفاهيم الدينية الخرافية التي تدعو إلى الانعزال عن الأغيار و كراهيتهم ، إلا أن أكثرية الجماعات اليهودية لم تستطع أن تترك فلسفة الأغيار و الإنعزال ، بل رسخت تلك الفلسفة في واقع حياتها المعاشة . و هذا من الممكن أن نقول : كان العاملَ الحاسمَ في فشل حركة التنوير..

المبحث الثاني : الإتجاهات الدينية .. الفكر الديني

المطلب الأول : الحسيدية(Hasidism)

المطلب الثاني : اليهودية الإصلاحية(Reform Judaism)

المطلب الثالث : اليهودية الأرثوذكسية(Orthodox Judaism)

المطلب الرابع : اليهودية المحافظة(Conservative Judaism)

[2]مدخل (التنوير اليهودي : تأريخ) ، المرجع السابق .

المطلب الأول

الحسيدية

Hasidism

لعلّ من أهم الظواهر التي برزت في تأريخ اليهود في شرق أوروبا خلال القرن الثامن عشر الميلادي هي ظهور حركة دينية جديدة عرفت باسم (الحسيدية) (بالعبرية " حسيدوت ") . هذه الحركة تركت أثرها في الأوساط اليهودية عموماً منذ القرن الثامن عشر و مروراً بالتاسع عشر و العشرين حتى الآن . صحيح أن ولادتها كانت في القرن الثامن عشر ، لكن تأثير هذه الحركة وامتدادها يشمل القرن التاسع عشر (فترة الدراسة) ، حيث لعبت دوراً كبيراً في توجيه الفكر الديني اليهودي خلال القرن التاسع عشر نحو تعميق المفاهيم الحلولية [1] و مفاهيم أخرى (مثل لاهوت الأرض و الشعب المقدس) ...

نحن في هذا المطلب نتناول قصة هذه الحركة عبر مجموعة من الفقرات .

أولاً : تعريفها و بداياتها

---

[1]هو المذهب القائل بأن كل شيء إلهي ، وأن الله و الطبيعة حقيقة واحدة ، و عندما نتحدث عن حلولية الفكر الحسيدي اليهودي ،

أو أي اتجاه يهودي آخر يتسم بنزعة الحلولية ، فإننا نقصد بها القناعة القائلة بأن الإله يحلّ في شعبه اليهودي أو أرض إسرائيل ،وهذه المفردات الثلاثة (الإله . الشعب . الأرض) تكّون لاهوت (عقيدة) الثالوث المقدس ./ أنظر الموسوعة الفلسفية المختصرة، مادة : مذهب الحلول ، ص 411.

ورد في موسوعة " اليهود واليهودية و الصهيونية [1] " أنّ الحسيدية مصطلح مشتق من الكلمة العبرية " حسيد " أي " تقي " و كلمة " حسيد " وردت في العهد القديم وهي تشير إلى " الرجل التقي الثابت على إخلاصه للإله و إيمانه به " ، و الحسيدية مصطلح يستخدم للإشارة إلى عدة فرق دينية في العصور القديمة و الوسطى .. و تحديداً كان في القرن الثاني عشر يستخدم للإشارة إلى الحركة الصوفية التي نشأت في ألمانيا ، ولكنه يستخدم في العصر الحديث للدلالة على الحركة الدينية الصوفية الحلولية التي أسّسها و تزعمها (بعل شيم طوف) ... [*] وقد بدأت الحركة في جنوب بولندا و قرى أوكرانيا في القرن الثامن عشر . و خصوصاً في مقاطعة " بودوليا. "

تشير دائرة المعارف البريطانية إلى هذه الحركة بأنها كانت ردّ فعلٍ ضد النظام الديني الأرثودكسي أو النظام التلمودي الحاخامي . و بدلاً من التأكيد على تعلّم التلمود و الأهتمام به فقد أكدت الحسيدية على العاطفة . كان (إسرائيل بن أليعازر) مؤسس الحركة في القرن الثامن عشر مؤمناً بسيطاً ميالاً إلى الأفكار الباطنية القبّالية . وقد جذّب حشود الناس البسطاء عن طريق المواعظ و الشروحات الباطنية من الكتب المقدسة [2] .

و كانت الحكايات التي تكلمت عن قدرته في علاج المرضى و ولائه الجبّار إلى الحاجات الروحية لعامّة الشعب قد كسبت له سمعة كبيرة حتى وُصف بأنّه صاحب المعجزات و قدّيس . لذلك كان الناس يدعوه (بعل شيم توف) أي " سيد الإسم الجديد " . فهو لم يرفض الإيمان اليهودي أو عاداته و تقاليده ، لكنّه أدخل عناصر جديدة إلى اليهودية بالإصرار على أنّ الدين الحقيقي هو معرفة لزوم الله في كلّ الخلق ، ووعي هذه الحقيقة يؤدي في الأخير إلى المشاركة مع الله ، وذلك يتم بشكل رئيس خلال الصلاة بالرغم من أن العبادة الحقيقية تتعلق بكلّ نشاط الحياة الإنسانية ، وكان بن أليعازر يؤكّد على أن

---

[1] موسوعة اليهود واليهودية ، م5 ، ج3 ، ب4 ، مدخل (حسيد) و (الحسيدية : تأريخ) ، بتصرف .

[*] **بعل شيم طوف) 1700–1760** : (هو التساديك الحسيدي إسرائيل بن إليعازر. وكان يُدعَى أيضاً (بشط)، وهي الأحرف الأولى من اسمه... ويكتنف الغموض حياة بعل شيم طوف، إذ أحاطته الروايات والمأثورات الشعبية بهالة من القداسة... وحسبما جاء فيما نشر عنه بعد وفاته، فإنه وُلد لأبوين فقيرين في جنوب بولندا، وقد تيتم في طفولته، ... وقد أمضى بعل شيم طوف شطراً من حياته متجولاً في بلدان كثيرة داخل بولندا وأوكرانيا يواسي المحتاجين ويشفي المرضى... ولم يترك بعل شيم
طوف أية كتابات باسمه ما عدا بضعة خطابات. ولكن تعاليمه الشفوية ظهرت مطبوعة بعد عشرين عاماً من موته، في ثمانينيات
القرن الثامن عشر، وظهرت القصص التي كانت تُتداوَل عنه عام 1814. ومن أهم الكتب عن أقواله وأفعاله والقصص التي نسجت حوله كتاب (مدائح بعل شيم طوف)./ موسوعة اليهود واليهودية ، م5 ، ج 3 ، ب4 ، مدخل (بعل شيم طوف) 1700–1760 ().

[2] للتفصيل أنظر ، Encyclopedia Britannica المرجع السابق ، مادّة. Hasidism :

التقوى أرفع شأناً من الثقافة ، وأن كلّ الرجال (فقراء كانوا أو جهلة) يمكن أن ينسجموا مع الله إذا كان عندهم حماس و قلب وثوق[3] ..

لم تنحصر الحركة الحسيدية في بولندا (مقاطعة بودوليا) بل انتشرت بشكل واسع ، حيث انتقلت من هذه المقاطعة " إلى وسط بولندا وليتوانيا وروسيا البيضاء ثم المناطق الشرقية من الإمبراطورية النمساوية المجرية : جاليشيا ، وبوكوفينا ، وترانسلفانيا ، وسلوفاكيا، فالمجر ورومانيا. ولكن أقصى تركيز لها كان في الأراضي البولندية التي ضمتها روسيا إليها . وقد انتشرت الحسيدية في بادئ الأمر في القرى بين أصحاب الحانات والتجار والريفيين والوكلاء الزراعيين ، ثم انتشرت في المدن الكبيرة حتى أصبحت عقيدة أغلبية الجماهير اليهودية في شرق أوربا بحلول عام 1815، بل يُقال إنها صارت عقيدة نصف يهود العالم آنذاك . [1] "

وكانت العوامل التي أدّت إلى ظهور الحسيدية في نهاية القرن الثامن عشر عديدة ، لكن أهم العوامل الرئيسة في تلك الفترة شيئان : .

الأول : هو جفاف النظام التعليمي التلمودي ، حيث لم تستطع اليهودية الحاخامية آنذاك أن تشبع حاجات اليهود الروحية و الدينية و النفسية . خاصة أنّهم كانوا يعانون من ويلات و اضطهادات و مشاكل نفسية و طردٍ و ركود إقتصادي شديد ، و كلّ ذلك كان بسبب أن بولندا كانت في تلك الفترة . نهاية القرن الثامن عشر . تعاني من أزمات إقتصادية كبيرة.

الثاني : هو الوجود القوي للحركة الصوفية القبالية اللوريانية العملية . حيث كان لها تأثير كبير في الوجدان اليهودي آنئذٍ . و إسرائيل بن أليعازر ذاته تأثّر كثيراً بالتراث القبالي عموماً و تفاعل مع التعاليم اللوريانية بصورة خاصة ، وقد أصبح الشخصية الرئيسة للعديد من الأساطير التي حيكت حول حياته و أعماله و معجزاته و كراماته[2] .

هكذا بدأت الحركة الحسيدية . و قد كانت " الحسيدية ، شأنها شأن كثير من الحركات الصوفية ، تحولت بالتدريج إلى بيروقراطية دينية ، وتحوَّل التساديك إلى وسيط ، وظهرت أُسَر الحسيديين الحاكمة التي توارث أعضاؤها القداسة . [3] "

---

[3]أنظر المرجع نفسه ، مادّة . Hasidism :

[1]موسوعة اليهود واليهودية ، مدخل (الحسيدية : تأريخ) ، المرجع السابق .

[2]القوى الدينية «الحريدية » غير الحزبية المعارضة للصهيونية (جماعات تكفير الدولة والانعزال الجيتوي)، بدون ذكر الباحث،

دراسة نشرت في الإنترنت ، www.qudsway.net ، الفصل الأول (الطائفة الحسيدية) ، المبحث الأول : نشأتها –اتجاهاتها .

وهي قد اعتمدت على مصادر عبرية موثوقة .

[3]موسوعة اليهود واليهودية ، م5 ، ج3، ب8 ، مدخل (القبّالاه : تأريخ) .

وكان لظهور حركة التنوير اليهودية (الهسكلاه) (والتنوير الأوروبى عموماً) تأثير كبير في انخفاض مستوى شعبية الحركة الحسيدية ، إلاّ أنّها لم تفقد قدرتها الكاملة و هيمنتها على عقلية بعض من اليهود الميّالين إلى التصوف .

ويجب أن نشير إلى أن الحركة الحسيدية لم تفرزاً تنظيماً موحداً ، و شكل أتباعها تجمعات محلية متعددة ، كل منها يتمتع باستقلالية نسبية ، مثل (حسيدية حبد) و (حسيدية برسلاف) و (حسيدية فشيسحا) ... الخ.

ونحن في هذه الدراسة لا نخوض في مسألة الحركات و التيارات المنبثقة من الحسيدية ، بل نركّز بالأساس على تصورات الحسيدية و تأثيراتها في الفكر اليهودي من خلال مبادئها ، و نحاول ان نستعمل مصطلح الحسيدية بدلاً من ذكر التيارات بذاتها . و سنكون على نفس المنهج بالنسبة للحركات اليهودية الأخرى ، حيث نذكر في بحث كل منها ما يتعلّق بمضمون دراستنا ، لأن ذكر التفاصيل . الأمور المتعلّقة بالحركات . ليس ضرورياً في مثل هذه الدراسة ، بل فقط التأثيرات و الإضافات التي أدخلتها الحركات اليهودية . الدينية و الفكرية والسياسية . في مفاهيم و أهداف الفكر اليهودي هي التي نتناولها في الدراسة .

لكن بالنسبة للحركة الحسيدية فإن ذكر وبحث حركة (حبد) شئ ضروري ، لأنها لديها نهج خاص بها و إن كانت في التفاصيل تتفق مبدئياً مع الحسيدية الأم .

حول هذه الحركة تشير دائرة المعارف البريطانية إلى أنها فرع من الحركة الدينية و الإجتماعية المعروفة بالحسيدية ، ويُشتق اسمه من الحروف الأولية لثلاث كلمات عبرية هي :

hokhma(الحكمة) ، و bina (الفهم والإدراك) ، و daat (المعرفة) . وهي تبنت المواضيع الحسيدية المشتركة مثل (الإلتصاق) ، devequt و (الحماس) ، hitlahavut و (الولاء) . Kawwanaلكنها ترفع أهمية الفكر في المساعي الروحية ، و زعماء هذا التيار يميلون إلى أن يكونوا معلّمين و أدلاّء روحيين بدلاً من عمّال و خالقي المعجزات [1] .

وتكتب موسوعة اليهود واليهودية عن حركة حبد فتقر بأنها أسّسها(شنياءور زلمان) [2] في روسيا البيضاء في قرية (لوبافيتش) . وأن الإختلاف بينها وبين الحسيدية الشعبية المعروفة يكمن في

---

[1] المرجع السابق ، مادّة ، Encyclopedia Britannica ، Habad: بتصرف .

[2] **زلمان شنياءور) 1747-1813** : (مؤسس حركة حبد المتفرعة من الحسيدية ... انضم إلى الحركة الحسيدية، وهو

في سن العشرين، وأصبح منظرها الأساسي... من أهم كتبه كتاب (هاتانيا) ، وهو كتاب حركة حبد الأساسي، ويضم تفسيرات للقبَّالاه... وقد حاول شنياءور زلمان أن يخفف من حدة الحلولية اللوريانية بعض الشيء بإدخال عنصر عقلي. ولكن رؤيته تظل ،

مع هذا، حلولية انعزالية متعالية / موسوعة اليهود واليهودية ، م5 ، ج 3 ، ب4 ، مدخل (زلمان شنياءور) 1747-1813 ().

أنها أقل عاطفيةً وأكثر فكريةً رغم صوفيتها و حلوليتها . فالتجليات العاطفية جاءت بعد التجليات الفكرية . كما أن حركة حبد تبتعد عن بعض المفاهيم الحسيدية المتطرفة مثل " التسامي عن طريق الغوص في الرذيلة " ، والنسق الفكري عند حبد نسق حلولي قبّالي .[3]

وتجدر الإشارة إلى أن حركة حبد لا تتجاهل دور العقل و تعاليم التوراة ، لذلك فقد كانت من أوائل الحركات الحسيدية الّتي بادرت إلى إنشاء مدارس دينية ، كما دافعت عن مصالح اليهود في كل مكان ، وتهتم الحركة بتقديم الخدمات الدينية والإجتماعية و الثقافية لأتباعها في كل مكان ، وأصبح لهذا التيار رموزه و قادته ، و مفاهيمه ، و أنظمته و منظماته .

في البداية . كما أشرنا إليها . نشأت في بيلوروسيا ، ثم انتقلت إلى لاتفيا ، ثم بولندا ، ثم الولايات المتحدة الأمريكية عام 1940 ، والآن يوجد أكبر تجمع للحركة في الولايات المتحدة الأمريكية ، ثم في إسرائيل[1] .

---

[3] المرجع نفسه ، م 5 ، ج 3 ، ب 4 ، مدخل (حبد " حركة ") .

[1] القوى الدينية «الحريدية » غير الحزبية المعارضة للصهيونية ..، المرجع السابق ، الفصل الأول (الطائفة الحسيدية) ، المبحث الأول : نشأتها –اتجاهاتها .

ثانياً : أهم أفكار و أعمال الحركة

منذ أن تم تحريف التوراة و كتب اليهود لأنفسهم نصوصاً دينيةً واعتبروا بعضها مكتوبة و بعضها الآخر شفويةً ، وأصبح الحاخامات أصحاب القداسة الدينية . و نظرت إليهم الجماعات اليهودية على مرّ التأريخ كوسطاء بينهم و بين الرب (يهوه) .

فمنذ الأسر البابلي (فترة الشروع بتدوين النصوص التوراتية) حتى الآن تراكمت عشرات الآلاف من هؤلاء الحاخامات الذين نظروا و شرّعوا اليهودية و أصبحت تنظيراتهم و تشريعاتهم هي السائدة أكثر من التوراة . والإنحراف العقيدي الأكبر قد ظهر مع ابتداء العصر الحديث خاصة ، حيث برزت أفكار و تيارات دينية في أوروبا الشرقية جعلت الديانة اليهودية أكثر وثنية و حلولية . فإن الفكرالديني اليهودي منذ العصر الحديث حتى وقتنا الحاضر عمل باتجاهات متعددة، وأنتج مفاهيم وتعاليم مختلفة .

إنّ أهمّ و أكبر هذه التيارات هي الحركة الحسيدية التي عمّقت المفاهيم الحلولية و أضافت عناصر جديدة تفرقها عن اليهودية الحاخامية التقليدية (التلمودية).

من الممكن أن نشير إلى هذه العناصر و مفاهيم أخرى رسّختها الحسيدية في الوجدان اليهودي ، إضافة إلى أهم النشاطات التي قامت بها ، ضمن نِقاط متتالية : .

1. *تعميق المفاهيم الحلولية و الخرافية في العقلية اليهودية.*

إن أهم الإتجاه الذي يمثل المحور الأساس بالنسبة للفكر الحسيدي هو الإتجاه الحلولي و الخرافي . أصلاً إن الحسيدية تعبير عن الطبقة الحلولية داخل التركيب الديني اليهودي الذي يمزج بين الشعب و الأرض و الإله .

ومن خلال القبالاه اللوريانية التي تشكل الإطار النظري الكامن للحسيدية ، ركّزت الحسيدية على تبعثر الشرارات الإلهية (نيتسوتسون) أى وجود الإله في كل مكان . و يظهر هذا في تأكيد بعل شيم طوف (مؤسس الحركة) وجود الإله ، أو الشرارات الإلهية فعلاً في النبات و الحيوانات ، وفي أيّ فعل إنساني ، بل في الخير و الشر أنفسهما.

ويرى الحسيديون أن العالم بمنزلة ثوب الإله ، صدر عنه و لكنه جزء منه ، تماماً مثل محارة الحيوان البحري المعروف بالحلزون ، قشرته الخارجية جزء لا يتجزأ منه . و بالتالي يؤمنون بأن الإله هو كلّ شيء و ماعدا ذلك وهم و باطل. [1]

والحسيدية تبلغ ذروة الحلولية حين جعلت فكرة التوحد مع الله و الإلتصاق به هدفها الأسمى . حيث " يرى الحسيديون أن الهدف من حياة الإنسان ليس فهم أو تغيير الكون و إنما الإلتصاق بالإله و التوحد معه و بإرادته المستقلة (ديفيقوت). [2] "

---

[1] أنظر موسوعة اليهود واليهودية ، م5 ، ج3 ، ب4 ، مدخل (الحسيدية و الحلولية) .

[2] المرجع نفسه ، المدخل نفسه .

إن التجربة الحسيدية هي الوصول إلى الفرح و النشوة ، لذلك نرى أنّها تؤكّد على الجانب العاطفي ، و كلّ ذلك من أجل الوصول إلى الذات الإلهية و الإلتصاق بها . وهي تهمل التعليم العقلي التلمودي ، والسبب في ذلك هو أن الله . حسب تصورهم . يتوجّه إلى الذين هم أصحاب القلب الفرح و هؤلاء هم الذين يتبعون دروب الوصول إلى النشوة و الفرح و التأمل وهذه الدروب فقط تنحصر في التجارب الدينية الصوفية الحسيدية . [1]

والزعماء الحسيديون عبر التأريخ يركّزون دائماً على ترسيخ هذا الجانب – الجانب الحلولي – في الأدبيات الحسيدية ، فمثلاً كان التساديك الحسيدي مناحم البراتسلافي (1772 – 1811) (تساديك في بودوليا وأوكرانيا ومؤسس فرقة براتسلاف الحسيدية) يرى : " أن الإنسان الذي يعرف كيف يتكيف مع إيقاع الكون يمكنه أن يفقد ذاته من خلاله ، ومن ثم يكشف الإله له نفسه من خلال المراحل المختلفة في الطبيعة فيستطيع الإنسان الإلتصاق به . و أرض إسرائيل تعطي الإنسان اليهودي الفرصة لهذا الإلتصاق بالإله . [2] "

كان التساديك ليفي إسحق بن مائير البيردشيفي (1740 – 1810) يعتقد أن الإله جزء لايتجزأ من الشعب اليهودي ، منفي معه و يتجول معه ، و العالم بأسره (الأرض و السماء) لم يخلقه الإله إلاّ من أجل هذا الشعب اليهودي ، بل إن الإله يأخذ في الشحوب و تحل محله إرادة الإنسان (اليهودي) و خصوصاً التساديك ، [3] فهو القناة الموصلة بين الإله و الشعب و مركز الكون . وقد اشتهر ليفي إسحق بأنّه من أكثر المدافعين عن الشعب اليهودي ضدّ الإله . فقد ورد عنه أنه قال : إسمع يا إلهنا ، إن أصدرت يوماً ما قراراً قاسياً ضد اليهود ، فنحن القادة التساديك لن ننفّذ أوامرك .. ومن أشهر القصص عنه أنّ استدعى الإله مرّة في محكمة دينية ليفسر هذا العذاب الذي يلحقه بشعبه المختار و لماذا يطلب من شعبه الكثير دائماً [4] .

وكان (شنياءور زلمان) مؤسِّس حركة حبد الحسيدية قد طوّر فكرة الإنكماش (تسيم تسوم) فذهب إلى أن الإله لا ينكمش داخل نفسه ، و إنما يتوارى وحسب ، حتى يبدو العالم وكأنه منفصل عنه ، ولكن الأمر ليس كذلك .

ويُقال إن زلمان قد قال وهو على فراش الموت إنه لم يعد يرى غرفةً أو أثاثاً ، وإنما الطاقة الإلهية وحسب ، و هي الحقيقة الحقة . كما يتردد في كتابات (حبد) عبارة حسيدية هي (بيطول هاييش) أي (نفي الوجود) وهي تعني أن العالم المادّي ليس له وجود حقيقي ، و أن هذا العالم هو

---

[1] القوى الدينية «الحريدية » غير الحزبية المعارضة للصهيونية ..، المرجع السابق ، الفصل الأول (الطائفة الحسيدية) ، المبحث الأول : نشأتها –اتجاهاتها .

[2] موسوعة اليهود واليهودية ، م 5 ، ج3 ، ب4 ، مدخل (مناحم البراتسلافي) .

[3] للتعرف على هذه الشخصية التي تعدّ بمثابة الحاخام بالنسبة لليهودية الحاخامية ، أنظر ص (134 .136) من هذه الدراسة.

[4] موسوعة اليهود واليهودية ، م5 ، ج3 ، ب4 ، مدخل (ليفي إسحق بن مائير البيردشيفي) ، بتصرف.

الإله ، و أن الحضور الإلهي يحلّ في مادّته ، كما تعني أيضاً أن على الإنسان أن يفني ذاته في الذات الإلهية تماماً [1] .

هكذا تغلبت المفاهيم الحلولية على فكر الحسيدين ، والذين اعتقدوا أن عبادة الإله يجب أن تتم بكلّ الطرق ، من خلال الجسد و الروح معاً ، مادام أنّه إله غير مفارق ، لايتجاوز الطبيعة و التأريخ. وحكي عن أحد زعماء الحسيدية أن افترض أنّ على المرء أن يشتهي كلّ الأشياء المادية ، ومنها المرأة حتى يصل إلى ذروة الروحانية . فالفرح الجسدي عند الحسيديين يؤدي إلى الفرح الروحي . و أن العبادة و الخلاص بالجسد يصلان إلى حدّ عبادة الإله من خلال العلاقات الجنسية .

والخرافة جانب آخر من الإتجاهات و التصورات للحركة الحسيدية ، إذ هي تحتوي قدراً كبيراً من الخرافات منها على سبيل المثال : إصرارها على أن القوة المقدسة كامنة في حروف اسم الرب (يهوه) . أو تأكيدها على عبادة الملائكة . أو ادّعاء دراويشها بأنهم قادرون على معرفة الأسرار الإلهية و التحكم في إرادتها ، أو على طرد الأرواح الشريرة من أجساد المرضى .

هذا بالإضافة إلى أنهم (الحسيديون) أصحاب الكثير مما يتسم بالبدائية و السخف مثل : اجتماعات الصلاة المرحة بصورة مخيفة ، و الصخب و الرقص العنيف ، والتمادي في الشراب . لكن ينبغي أن نشير إلى أن الحسيدية تحوي بعض العناصر الجميلة ذات المغزى ، فعلى سبيل المثال ، توجد بين الحسيديين الأخوة الحارة التي لاتقتصر فقط على الساعات المرحة السارة التي يقضونها في الصلاة المشتركة ، أو أثناء المشاركة في تناول الطعام . [2]

2. *شخصية الصديق (التساديك)*

كان لليهودية عبر القرون زعماء و فقهاء شرّعوا القوانين الفقهية و الدينية ، هؤلاء الفقهاء معروفون باسم (الحاخامات) . لكن لمّا ظهرت الطائفة الحسيدية – من إفرازت الفكر الديني اليهودي في أواخر القرن الثامن عشر – برزت أيضاً قوانين و تشريعات أخرى كانت لم تكن موجودة في السابق . إنّ أحد الأشياء الجديدة في الأدبيات الحسيدية هو ظهور زعماء روحيين لهذه الطائفة عُرف كلّ واحد منهم باسم (تساديك). Tzaddik

حول معنى كلمة (تساديك) اللغوي و حسب التصور الحسيدي أيضاً تشير موسوعة اليهود و اليهودية [3] إلى أنها " كلمة عبرية معناها (الرجل الصالح) أو (الصديق) ، وتعتبر كلمة (ربي) إسماً آخر للتساديك و معناها (السيد) ، كما كان يدعى أحياناً (أدمور) ... ويعتبر هذا التصور لقائد الجماعة من أهم أشكال التمرد الحسيدي على المؤسسة الدينية ... والتساديك حسب التصور الحسيدي

---

[1] المرجع نفسه ، مدخل (حبد " حركة ") ، بتصرف .

[2] المرجع نفسه ، المدخل نفسه ، و القوى الدينية «الحريدية » غير الحزبية المعارضة للصهيونية ..، المرجع السابق ، الفصل الأول (الطائفة الحسيدية) ، المبحث الأول : نشأتها –اتجاهاتها .

[3] موسوعة اليهود.. ، المرجع نفسه ، م5 ، ج3 ، ب4 ، مدخل (التسادبك " الصديق ") .

المتأثر بتصورات القبّالاه اللوريانية ، تعبير متطرف عن الرؤية الحلولية اليهودية . فهو أولاً شخص ذو قداسة خاصة يقف في منزلة لا تتلو إلا منزلة الإله ، وهو أحد التجليات النورانية العشرة (سفيروت)، أي أنه جزء من الإله . بل هو أحد العُمُد التي تستند إليها الدنيا، وهو أساس العالم (يسود). وأكثر من ذلك، فإن العالم خُلق من أجله "

في الحقيقة تعتبر فكرة (الصديق) أحد الأفكار الرئيسية في شريعة الحسيدية على المستويين الروحي و المادي على حد سواء . وحسب التصور الحسيدي فإن (الصديق) هو ذلك الشخص الذي يتمتع بخصال روحانية خاصة تؤهله لأن يقوم بدور (الرسول) أو (الوسيط) بين العوالم العليا و العوالم السفلى (الخالق و المخلوقات) . و تكمن قوته في إيمانه الهائل و دروشته الصوفية التي لايعلوه فيها أحد ، وقوة الصديق هي قوة هائلة ، وبإمكانه أن يؤثر على العوالم العليا بفضل صلاته و يستطيع أن يلغي الأحكام الإلهية . !

و يعتقد الحسيديون أن الخليقة كلّها خلقت من أجل (الصديق) ، وتحلّ عليه الروح القدس في (المنفى) و مكانة الصديق تفوق مكانة الملائكة . و يبدو حسب التصور الحسيدي أن التساديك لا يمارس تأثيره عن طريق دراسة التوراة ، بل عن طريق إيمانه و تأمّله الصوفي .

فقد نظر إلى هذا الزعيم الديني (أي (Tzaddik وسيطاً بين الرجل و الله ، وذلك لأن حياة Tzaddikكانت تعتبر تعبيراً حياً للتوراة . و سلوكه مهم بدرجة أكبر من مذهبه .[1]

و أكّدت الحسيدية على أن مهمة التساديك هي أن يقوم بقيادة جماعته ، وأن يربط بينها و بين السماء . فهو قادر أن يصبح حلقة الوصل بين الخالق و مخلوقاته ، وإذا كان التساديك حلقة الوصل ، فإن الجماهير تحتاج إليه احتياج الإله إليه، فهو الذي يأتي إليها بالشفاعة،وهو قادر على الإلتصاق بالإله (ديفيقوت) ، ومن خلال إلتصاقه هو بالإله تتمكن الجماهير هي الأخرى من تحقيق الإلتصاق بالخالق . وقد تعمّق هذا المفهوم حتى أصبح الإيمان بالإله هو الإيمان بقدرات التساديك العجائبية .من هنا نرى أن الحسيدية تدعو إلى تقديس التساديك فهو يشبه القدّيسين المسيحيين ، بينما كانت اليهودية التقليدية تدعو إلى احترام الحاخامات[2] .

وقد نسجت حكايات و أفكار خرافية كثيرة حول قدرة و مكانة التساديك . بحيث نرى أن الأفكار الخرافية هي السمة الأساسية لشخصية (الصديق) بل هي ركيزة أساسية إعتمدها التساديك لجذب الناس حول ذاته و لتقوية قداسته في العقلية الحسيدية .

فقد " ورد في أحد الكتب الحسيدية أن مجموعةً من الحسيديين كانوا في طريقهم بحراً إلى فلسطين ، حين هبت عاصفة هودت السفينة . وحينئذ جمع التساديك كل رعاياه و أمسك مخطوط التوراة ، وقال للإله :

---

[1] للتفصيل أنظر ، Encyclopedia Britannica المرجع السابق ، مادّة . Hasidism :

[2] أنظر موسوعة اليهود واليهودية ، مدخل (التساديك " الصديق ") ، المرجع السابق .

إذا كان قد تقرر في محكمة الأعالي أن نقضي نحبنا ، فإننا نعلم باعتبارنا محكمة الجماعة المقدسة ، أنّنا لا نوافق على هذا القرار . و قال الجميع (آمين) . فتوقفت العاصفة . [1] " !

هناك حكايات كثيرة على إيقاع هذه الحكاية تؤكّد على قدسية هذه الشخصية . حتى انعكست هذه الحكايات في الحياة الحسيدية العملية . فحين يبقى التساديك في غرفة خاصة خفية ، كان الحسيديم بعد الصلاة يمرّون أمامه ليباركهم بعد أن يؤدي صلاته على انفراد ! . و في أيام السبت و في المناسبات كان الحسيديم يتدفقون إلى بيت (الصديق) ، ويتناولون الطعام على مائدته و يتخطفون فضلات و فتات طعامه حتى تحلّ عليه البركة ، ولم يكن الحسيديم يذهبون إلى بيت (الصديق) من أجل الإبتهاج و الصلاة و متابعة التأملات الصوفية للصديق فقط ، بل كانوا يذهبون كذلك لأسباب دنيوية مثل تلقي المشورة من الصديق في شؤون التجارة و الإستثمارات ، والعلاج و الزواج . وقد كان أتباع الحسيدية يكرمون التساديك حتى بعد موته ، لأنه لا يعتبر ميتاً في نظرهم ، ويستمرّ في الوساطة بين (شعب إسرائيل) والرب و يُلغي الأحكام الإلهية السيئة . [2] !

وهكذا ، فإن شخصية التساديك الجديدة هذه قد أدّت إلى تغيير في قوى الزعامة اليهودية . وإن الفكر الديني اليهودي من خلال هذه الشخصية قد رسّخ الجوانب الحلولية و الخرافية في الوجدان اليهودي العام ممّا أدّى لى تبلور يهودية خاصة عرفت فيما بعد باليهودية الحسيدية . وقد حلّت شخصية (الصديق) عند الحسيديم (أتباع الحسيدية) محل العقيدة (التوراة) . بل إن التوراة نفسها قد انتقلت إلى شخصية (الصديق) بحيث شاع بين الحسيديم تصوّر يؤكّد على أن حديث التساديك توراة . ولذلك لم يكن عبثاً أن اعتبرت الحسيدية أن الإيمان بالصديق يُعتبر أهم من معرفة التوراة . !!

3. *تشريعات – أفكار عامّة*

إن الحسيدية لم تكن فقط طريقة صوفية جديدة ، بل أتت بتعاليم و تشريعات جديدة أيضاً . وقد غير الحسيديون قوانين دينية كذلك . و في الحقيقة إذا نظرنا إلى هذه الحركة الدينية فإنّنا نرى بوضوح تأثيراتها في جميع المجالات .

وقد كانت في القرن التاسع عشر إحدى المحطّات المركزية للفكر اليهودي . و تأثيراتها في مجال التشريعات اليهودية واضحة و قوية . فيما يتعلّق بالتشريعات و العبادات فإنّ الحركة الحسيدية قد أكّدت على عبادة الله و الملائكة . وفي الصلاة يقوم أصحاب هذه الطائفة بالرقص الصاخب العنيف و يتمادّون في الشراب . إضافة إلى ذلك فإنّ زعماء هذه الفرقة سنّوا تشريعات خاصةً بهم بما يتعلّق بطقوس الصلاة و الإنشاد والذبح الشرعي . فهم رفضوا طريقة الذبح الشرعي السائدة ، و أحلّوا محلّها طريقة أخرى للذبح مغايرة لما اعتمدتها اليهوديةُ الحاخامية ، وقد غيروا قوانين الصلاة التوراتية و التلمودية ، فهم يجيزون

---

[1] المرجع نفسه ، المدخل نفسه .

[2] أنظر المرجع نفسه ، المدخل نفسه.

الصلاة في أيّ مكان . أي أنهم قد انسحبوا من المعابد اليهودية القائمة ، إلاّ أنهم مع مرور الزمن طوّروا لأنفسهم أماكن خاصة بهم تسمّى بالعبرية (شبتليخ) و كانوا يمارسون فيها صلواتهم . وقد هاجم الحسيديون الحاخامات و طردوهم، ولكنّهم أحلّوا التساديك محل الحاخام. [1]

فضلاً عن كل ذلك فإن مفكّري الحسيدية يرون أن الأهمية لاتكمن في إقامة الشرائع بل في الصحوة الداخلية التي تسعى إلى البحث عن الذاتية . ويرون أن الهدف من حياة الإنسان ليس فهم أو تغيير الكون و إنّما الإلتصاق بالإله و التوحد معه و بإرادته المستقلّة (ديفيقيوت) . و نادوا بأنّ عبادة الإله يجب أن تتمّ بكل الطرق ، كما يجب أن نخدمه بكل شكل : بالجسد و الروح معاً مادام أنّه إله غيرُ مفارق ، لايتجاوز الطبيعة و التأريخ ، كامن في كلّ شئ ، حتى في مذاق الطعام و تدخين التبغ وفي العلاقات الجنسية و التجارية !! ومع ذلك فإن الحسيدي يختار طريقته بتعبد الخالق حسب إمكاناته أي الطريقة الّتي تتلائم مع قدراته الروحانة ومستواه العقلي والجسدي [2] .

و العبادات عند الحسيديم (أتباع الحسيدية) ليست خاليةً من الرقص و الأغاني و الموسيقى . فهم يعبّرون عن العبادة بهذه الأشياء . بل الرقص و الموسيقى جزء من ممارستهم الدينية . واعتبروها أيضاً جزءاً من التقوى و الصلاح و العبادة . وتجزم الأدبيات الحسيدية بأنّ أكثر المزامير التي تنسب إلى داود كانت تغنّي مع آلات موسيقية .ويعبّر الغناء و الرقص عند الحسيديم عن تماسك الجماعة و وحدتها . ويتصوّرون أن للغناء معنى تحلق فيه روح الإنسان إلى الآفاق العليا و ترتقي . وأن الرقص و الأغاني يطردان الرغبات و الأفكار الشريرة . [3]

إضافةً إلى العبادات أو التشريعات الفقهية ، فإن الحسيدية ابتكرت أيضاً أفكار اً و مفاهيم عامّة وأسهمت في تثبيت تصوّرات حسيدية خاصة في سايكولوجيا الفرد اليهودي ، نحن نحاول هنا أن نكتب عن أهمّ هذه الأفكار و التصورات من خلال نقاط : .

<u>أ : نظرتها إلى النصوص الدينية اليهودية :</u>

---

[1]القوى الدينية «الحريدية » غير الحزبية المعارضة للصهيونية ..، المرجع السابق ، الفصل الأول (الطائفة الحسيدية) ، المبحث الأول : نشأتها –اتجاهاتها ، بتصرف .

[2]للتفصيل حول المسائل العبادية و التشريعية في نظر الحركة االحسيدية التي كتبنا عنها ، أنظر مصطفى، حسن : حاخامات على خطى عزرا ، توراة مؤلّفة لخدمة الصهيونية ، نشرت بالإنترنت ، www. qudsway.com ، و انظر موسوعة اليهود واليهودية ، مدخل (الحسيدية والحلولية) ، المرجع السابق .

[3]أنظر القوى الدينية «الحريدية » غير الحزبية المعارضة للصهيونية ..، المرجع السابق ، الفصل الأول (الطائفة الحسيدية) ، المبحث الأول : نشأتها –اتجاهاتها .

إن الحسيدية تنطلق من أساس عاطفي و تصوفي و وجداني ، فهي أساساً ظهرت من أجل إعطاء معتنقيها النشوة و الفرح و السرور . لذلك لاترى فائدةً من الإنشغال بالأمور التعليمية و العقلية . من هذا المنطلق نستطيع أن نجزم بأن " الحسيدية ، في جانب من أهم جوانبها ، محاولة لكسر احتكار المؤسسة التلمودية للسلطة الدينية ، ومحاولة لحل مشكلة المعنى . وقد انعكس هذا التصادم ، على المستوى الفكري ، حين قام الحسيديون بالتقليل من شأن الدراسة التلمودية أو دراسة التوراة. فإذا كان الهدف من الحياة ليس الدراسة وإنما التأمل في الإله والالتصاق به والتوحد معه وعبادته بكل الطرق، فإن هذه العملية لابد أن تستغرق وقتاً طويلاً، وهو ما لا يترك للإنسان أي وقت لدراسة التوراة على الطريقة الحاخامية القديمة. كما أن التواصل المباشر مع الإله يطرح إمكانيةً أمام اليهود العاديين، ممن لا يتلقون تعليماً تلمودياً، لأن يحققوا الوصول والالتصاق (ديفيقوت). بل إن الجهل، في إطار التجربة الوجودية المباشرة، يصبح ميزة كبرى . [1] "

ويجب أن يقال إن الحسيدية لم تلغ التوراة أو التلمود، ولكن أهملتهما ولم تركّز عليهما كثيراً.. و حاولت أن تستعمل التأملات الصوفية و الفعاليات الإيمانية بدلاً منها لممارسة تأثيراتها . لذلك نراها تؤكّد على الإخلاص العاطفي المحض على حساب الجانب التعليمي و العقلي . إلاّ أنّ هذا الإتّجاه تضاءل تدريجياً خاصة حين قامت حركة حبد (إحدى الفرق المنبثقة من الحركة الحسيدية) ، حيث اتّجهت هذه الحركة اتّجاهاً صوفياً ذهنياً يعتمد على دراسة كل من القبّالاه و التلمود ، أي أنّها ربطت التصوف بالأمور الذهنية و العقلية من خلال الإهتمام بدراسة التلمود .

ب : عنصر البهجة و الفرح في الأدب الحسيدي [2] :

لقد أدخلت الحسيدية عنصر البهجة إلى قلوب معتنقيها في شرق أوروبا ، وبذلك أتاحت لهم القدرة على مواجهة التحديات و المشاكل . وقد اعتقد الحسيديون أن الإنسان يكون قريباً من الحضرة الإلهية فقط حين يكون سعيداً و مسروراً . بل أصبح الفرح هو الهدف للتجربة الدينية . وهو إعادة تعريف للتجربة الدينية تؤكّد العاطفة كوسيلة للوصول إلى الإله ، بدلاً من الشعائر و الدراسات التلمودية . فالإله (حسب تصور بعل شيم طوف) لايسمع الدعاء و لايقبل الصلاة إلاّ إذا نبعت من قلب فرح [3] .

وقد رسّخت الحسيدية البهجة و التفاؤل و الفرح في قلوب معتنقيها من خلال تصوّرات و قناعات أشاعتها بين كلّ طبقاتهم ، منها:

---

[1] موسوعة اليهود و اليهودية ، المرجع نفسه، مدخل (الحسيدية : تأريخ) .

[2] القوى الدينية «الحريدية » غير الحزبية المعارضة للصهيونية ..، المرجع السابق ، الفصل الأول (الطائفة الحسيدية) ، المبحث الأول : نشأتها –اتجاهاتها .

[3] للمزيد أنظر موسوعة اليهود و اليهودية ، مدخل (الحسيدية : تأريخ) ، المرجع السابق .

أنّها أكّدت أن كلّ من هو ليس متفقهاً يستطيع أن يشترك في الكيان الوجودي لشعب إسرائيل. وأن يشعر بالإقتراب من المخلص لشعب إسرائيل . وهذا يؤكّد لنا أن الحركة الحسيدية هي حركة الطبقات غير المتعلّمة . حيث كانت ركّزت على التجارب الصوفية و العاطفية التي تتلائم مع ميل و قدرة هذا النوع من الطبقات الإجتماعية. [1]

وهذه الحركة أكّدت أيضاً أن الإقتران بالصديق يملأ النفس بهجةً و سروراً ، لأن التساديك هو الذي يعطي الحياة طعماً و معنى .

وأشاعت الحسيدية أيضاً تصوراً يؤكّد على أن الحسيدي يبتهج لأنّه يؤمن بصلاته التي تقرّب الخلاص ، وعصر المسيح ، أو لأنّه يشعر في الصحبة الحسيدية بروح المساواة و عدم التمييز العنصري أو الديني . وهذه الصحبة عبارة عن إطار هرمي روحاني ، وتوجد فيه مساواة إجتماعية و دينية ، والفيصل فيه هو " التساديك " و ليس " الحاخامات " . وإن الغني و الفقير في الصحبة الحسيدية يتساويان بكونهما مرتبطين بالصديق " التساديك " . ولايتعإلى كل منهما على الآخر ، وكل فرد يعرف قدره و مرتبته الروحانية .. كل هذه التصورات و القناعات كانت وراء قدرة الحركة الحسيدية على إشاعة البهجة و النشوة بين الطبقات الحسيدية . [2]

ج : تخفيف إحساس اليهودي بغربته :

إن جانباً آخر من الجوانب التي أسهمت الحسيدية في إبرازها داخل الصفوف الحسيدية هو محاولتها كسر هيمنة الإحساس بالغربة عند اليهود . وقد عملت المؤسسات اليهودية السابقة على تقوية شعور الفرد اليهودي بوجوده في المنفى . أي الإحساس بأنه يعيش خارج وطنه (فلسطين) وذلك من أجل إبقاء مسألة الأرض الموعودة حيّة في ذاكرته ، لتكون مولّدة لإنتاج الطاقات لدى الفرد اليهودي التي يجب أن تستعمل من أجل إستعادة الأرض المقدسة (إسرائيل) التي وعد الله الشعب اليهودي بأن تكون له فقط .

و كانت هذه المحاولة مغايرةً تماماً لما عملت له اليهودية الحاخامية ، فقد كان " المفهوم الحاخامي التقليدي يؤكّد أن وجود اليهود في بلاد غير فلسطين هو عقاب لهم على ما اقترفوه من ذنوب . وقد كان هذا الإحساس بالذنب ثقيلاً ، فجاءت الحسيدية وأنكرت حقيقة الشر ، فالشر إن هو إلاّ اختفاء الخير و تشويهه ، بل إن الشر ليس إلاّ جسراً للوصول إلى الخير ، ويمكن تعديل الشر ليصبح خيراً . وقد ولّدت هذه الرؤية شكلاًمن أشكال القبول لدى اليهود لوضعهم البائس و الرضا عنه[1]. "

---

[1]أنظر القوى الدينية «الحريدية » غير الحزبية المعارضة للصهيونية ..، المرجع السابق ، الفصل الأول (الطائفة الحسيدية) ،

المبحث الأول : نشأتها –اتجاهاتها .

[2]المرجع نفسه ، الفصل الأول (الطائفة الحسيدية) ، المبحث الأول : نشأتها –اتجاهاتها .

[1]موسوعة اليهود واليهودية ، مدخل (الحسيدية و الحلولية) ، المرجع السابق .

د : مبدأ الخلاص :

إن الحسيدية تبنت فلسفة خاصة بها في مسألة الخلاص . وقد كان الخلاص عند اليهودية التلمودية تعبير عن الخلاص الإعجازي الذي يبدأ بظهور الماشيح (المسيح) . لذلك نرى أنّها روّجت في العصور القديمة و الحديثة أيضاً للفكرة الماشيحانية القائلة بأن خلاص الشعب اليهودي سوف يتحقق بوجود الماشيح نفسه . [2]

إلاّ أن هذه الفكرة تراجعت نسبياً على أيدي مفكّري الحسيدية (خاصة في القرن التاسع عشر) . حيث استطاعت الحسيدية أن تدمج ما بين المبدأ الشخصي والمبدأ القومي في مصطلح (الخلاص) ، وأكّدت أن الخلاص يبدأ بالسلوك اليومي للإنسان الذي يسبق الخلاص الإعجازي ، وأصبحت فكرة الهجرة إلى فلسطين تجسد العلاقة بين خلاص الفرد و خلاص الشعب[3] .

فالحسيدية لم ترفض فكرة الخلاص الإعجازي ، وإنّما اعتقدت بأنّ هناك خطوة ذاتية تسبق عملية الخلاص الإعجازي ، وهذه الخطوة هي البدء بالإصلاحات السلوكية الذاتية ، وتحقيق مبدأ الخلاص الذّاتي بالنسبة لكلّ فرد يهودي . وبعد ذلك سيكون ظهور الماشيح الخلاص النهائي . حيث يرجع للشعب اليهودي الأرض المقدسة بكاملها و عندئذٍ تقام الدولة اليهودية العالمية التي سوف تحكم العالم على ضوء التعاليم اليهودية و بقيادة السيد المسيح ، وأن القدس تكون العاصمة الأبدية لدولة إسرائيل العظمى ، وتكون مركز العالم الروحي و السياسي. [4]

وفي مطلع القرن العشرين شنت حركة حبد الحسيدية حملةً شعواء على الحركة الصهيونية ، بسبب أخذ الصهيونية بنظرية المراحل في مسألة الخُلاص ، حيث رأت حبد أن الصهيونية مبادرة سلبية لاستعجال النهاية ، واعتقدت أن على اليهود أن يظلوا في المنفى حتى يظهر المسيح المخلِّص ، فهو وحده المكلّف من قِبَل الرب بإنقاذ (الشعب اليهودي) و (العودة) به إلى أرضه لتأسيس (مملكة إسرائيل) . [5]

وكل هذه الآراء روّج لها الأدمور الخامس لحركة حبد وهو (شالوم دوف بر) (1866 . 1920) . إلا أن موقف حركة حبد تجاه الصهيونية في مسألة الخلاص قد تغير على يد الأدمور السابع

---

[2] أنظر القوى الدينية «الحريدية » غير الحزبية المعارضة للصهيونية ..، المرجع السابق ، الفصل الأول (الطائفة الحسيدية) ،

المبحث الأول : نشأتها –اتجاهاتها .

[3] للتفصيل أنظر ، Jewish Encyclopaedia المرجع السابق ، مادة . Hasidism :

[4] أنظر القوى الدينية «الحريدية » غير الحزبية المعارضة للصهيونية ..، المرجع السابق ، الفصل الأول (الطائفة الحسيدية) ،

المبحث الأول : نشأتها –اتجاهاتها .

[5] أنظر المرجع نفسه ، الفصل الأول (الطائفة الحسيدية) ، المبحث الأول : نشأتها –اتجاهاتها .

(مناحيم مندل شنيورسون) (1902 . 1994) في العقود الأخيرة من القرن العشرين . حيث راحت الحركة تقترب من الصهيونية و قد أعلن أن إنشاء الدولة فضل من الإله ، و التفاتة منه نحو اليهود ، من أجل خلاصهم . ومنذ وصول شنيورسون إلى رأس الحركة أصبح الإتجاه السياسي المتطرف هو الأساس في تفكيرها. [1]

وهكذا فإن (حبد) اتجهت فجأةً إلى الأخذ بنظرية المراحل الّتي تؤدّي إلى الخلاص ، ومن هنا توسّعت فكرة التعجيل بالخلاص في فكرهم .

وقد آمن كبار و زعماء الحسيدية بأن في إمكانهم التعجيل بالخلاص ، وفي الحقيقة إن الأدب الحسيدي مليء بالكثير من التفاصيل عن موعد الخلاص و وصف الحدث ذاته أو مسألة قدسية فلسطين (بالعبرية أرتس يسرائيل) ، حيث شاع تصوّر في جميع الأوساط الحسيدية يؤكّد على أن فلسطين هي الروح القدس ذاته . وهذا الأمر قد أدّى في الأخير إلى هجرة الحسيديين إلى فلسطين لنشر الشريعة الحسيدية ، ولإقامة مركز حسيدي في فلسطين . فضلاً عن أن الهجرات الحسيدية إلى فلسطين كانت نابعةً عن الرغبة الحسيدية في التعجيل بالخلاص عن طريق الهجرة إليها . [2]

إن اهتمام الحسيدية بالخلاص الذاتي . قبل تغلغل المفاهيم الفكرية و السياسية للحركة الصهيونية في صفوفها . يأتي في تصوّرنا بسبب إصرارها على إبراز الأساس الفردي الذي في اليهودية . وإنّ كلّ الطرق الصوفية بمختلف اتجاهاتها الدينية و الفلسفية تركّز دائماً على المجال الشخصي و الطابع الفردي في توجّهاتها . وذلك نابع عن أن التصوف بذاته مشروع ذاتي فردي ، يعمل في داخل النفس الإنسانية ، ويوجّه شعور و روح و رؤية الإنسان نحو الخالق و الطبيعة إلى التعمق في المدلولات العرفانية العليا . من هذا نرى أن الحسيدية أبرزت الأساس الفردي ، وقد أكّدت في هذا المجال أنّ الأهمية لاتكمن في إقامة (الشرائع) بل في الصحوة الداخلية التي تسعى إلى البحث عن الذات . ويتجلّى طابع الفردية في اختيار الطريقة التي يعبد بها الحسيدي الخالق ، حيث يختار الحسيدي هذه الطريقة حسب إمكاناته ، أي الطريقة التي تتلائم مع قدراته الروحانية ، ومستواه العقلي .

هـ : دور الحسيدية في الترويج لفكرة الصهيونية :

إن فكرة الصهيونية كانت شائعة في القرن التاسع عشر لدى المفكرين اليهود ، وبلغت ذروتها في الإنتشار عندما أُسّست الحركة الصهيونية أواخر القرن التاسع عشر 1897م (وهذا سنتناوله بالتفصيل فيما بعد) . والحسيدية بدورها شاركت في الترويج لفكرة الصهيونية .

---

[1] المرجع نفسه ، الفصل الأول (الطائفة الحسيدية) ، المبحث الأول : نشأتها –اتجاهاتها .

[2] المرجع نفسه ، الفصل الأول (الطائفة الحسيدية) ، المبحث الأول : نشأتها –اتجاهاتها .

وإن كانت حركة حبد الحسيدية في بداية القرن العشرين قد شنت حملةً نقدية حادةً ضدّ الصهيونية على يد بعض من مفكّريها على أساس أن الصهيونية مبادرة سلبية لاستعجال النهاية بما يتناقض مع التقاليد اليهودية المستقرة ، إلاّ أننا نركّز هنا على مسألة دور الحسيدية في ظهور الصهيونية و تقبل أفكارها من قِبَل عدد كبير من يهود شرق أوروبا ، وليس على موقف الحسيدية فيما بعد تأسيس الحركة ، (أي في القرن العشرين) . وأسهمت الحسيدية في صياغة الإستعداد الروحي و لفكري لدى الفرد اليهودي للتجاوب مع أفكار و مباديء الصهيونية .

تقول موسوعة اليهود و اليهودية " [1] : مما لا شك فيه أن الحسيدية قد ساهمت في إعداد بعض قطاعات جماهير شرق أوربا لتتقبل الأفكار الصهيونية العلمانية الغيبية ، عن طريق عزلها عن الحضارات التي كانت تعيش فيها ، وإشاعة الأفكار الصوفية الحلولية شبه الوثنية التي لا تتطلب أيَّ قدر من إعمال العقل أو الفهم أو الممارسة . ولكن هذا لا يعني أن الحسيدية مسؤولة عن ظهور الصهيونية ، فكل ما هناك أنها خلقت مناخاً فكرياً ودينياً مواتياً لظهورها . "

وقد صعدت هذه الحركة الدينية من حبّ اليهود لأرض إسرائيل ، ومن الكره لغير اليهود (الأغيار) ، وزادت من حدّة النزعة القومية . وهذه الأشياء تعدّ من المقومات التأسيسية للحركة الصهيونية . ممّا جعلها أحد عوامل الفكرة القومية اليهودية في القرن التاسع عشر .

لذلك فإن تأثّر الفكر الصهيوني بالأدبيات الحسيدية شيء واضح . و تذهب موسوعة اليهود واليهودية إلى أن معظم المفكرين و الزعماء الصهاينة إمّا نشأوا في بيئة حسيدية ، أو تعرّفوا إلى فكرها الحلولي بشكلٍ واعٍ أو غير واع . بل إن الصهيونية ضرب من (الحسيدية اللادينية) أو الحسيدية داخل إطار حلولية بدون إله [2] .

وتكتشف الموسوعة المذكورة تشابهات دقيقةً بين الحسيدية و الصهيونية من الممكن أن نلخّصها في نقاطٍ على النحو التالي : [3] .

1. إن الجماهير التي اتبعت كلاً من الصهيونية و الحسيدية كانت في وضع طبقيٍ متشابه ، أي جماهير توجد خارج التشكيلات الرأسمالية القومية بسبب الوظائف المالية و التجارية التي اضطلعت بها .

2. نجد أن جماهير الحسيدية شأنها شأن جماهير الصهيونية ، تتفق على حبّ صهيون الأرض التي تشكّل الميراث الذي سيمارسون فيه شيئاً من السلطة .

3. إن الحسيدية و الصهيونية تؤمنان بحلولية متطرفة تضفي قداسة على كلّ الأشياء اليهودية و تفصلها عن بقية العالم.

---

[1] م5 ، ج3 ، ب4 ، مدخل (الحسيدية والصهيونية) .

[2] أنظر المرجع نفسه ، المدخل نفسه .

[3] أنظر المرجع نفسه ، المدخل نفسه.

4.والصهيونية ، مثل الحسيدية ، حركة مشيحانية تهرب من حدود الواقع التأريخي المركّب إلى حالة من النشوة الصوفية ، تأخذ شكل أوهام عقائدية عن أرض الميعاد التي تنتظر اليهود . ومن هنا يعتقد المفكر الصهيوني (مارتن بوبر) [1] أنّه لا يمكن بعث اليهودية دون الحماس الحسيدي ، بل يرى أنّ الرواد الصهاينة قد بعثوا هذا الحماس.

5.ومع كلّ هذه التشابهات بين الحسيدية و الصهيونية فإنّ الحركتين تظلاّن في نهاية الأمر مستقلّتين و وذاتي طوابع خاصة بهما . فالحسيدية تظلّ حركةً صوفيةً حلولية واعية بأنها حركة صوفية ، ولاتتجاوز أفعالُها نطاقَ الفرد المؤمن بها و أفعاله الخاصة ، أمّا سلوكه العام فقد ظلّ خاضعاً إلى حدّ كبير لمقاييس المجتمع .

أمّا الصهيونية ، فهي حركة علمانية ذات طابع عملي حرفي . كما أنّ الفكرة الصهيونية لاتنصرف إلى السلوك الشخصي لليهودي وإنّما إلى سلوكه السياسي . ولكي تتحقق الصهيونية ، لابدّ أن تتجاوز حدودها الذاتية لتبتلع فلسطين ، وتطرد الفلسطينيين بحيث يتحوّل حبّ صهيون إلى استعمار استيطاني ..

---

[1] **مارتن بوبر) 1878–1965 : (**مفكر ألماني يهودي حلولي ... كان لا يؤمن باليهودية الحاخامية أو بضرورة تطبيق

الشريعة، ولم يقرأ التلمود على الإطلاق. ومع هذا، فإنه يُعَدُّ من أهم المفكرين الدينيين اليهود في القرن العشرين. وهو من دعاة

التصوف اليهودي. ويُعتبر بوبر أحد كبار مفسري العهد القديم، وأحد أهم مفكري الصهيونية ذات الديباجات الثقافية. وُلد في فيينا،

وأمضى صباه في جاليشيا عند جده حيث اتصل بالحركة الحسيدية التي لعبت دوراً حاسماً في تطوره الديني (الصوفي) والفلسفي

والسياسي...انضم إلى المنظمة الصهيونية عند تأسيسها عام 1898 وعمل رئيساً لتحرير جريدة دي فيلت الناطقة بلسان الحركة الصهوينة...وفي عام 1916، أسس مجلة اليهودي التي كانت تُعَدُّ من أهم المجلات الفكرية اليهودية ...شغل بوبر منصب أستاذ فلسفة الدين اليهودي والأخلاق في جامعة فرانكفورت في الفترة 24 . 1933، وأسس معهد الدراسات اليهودية فيها . من أهم مؤلفاته : (أنا وأنت) ، (العقيدة النبوية) ، (موسى) ، (نوعان من الإيمان) ، (خوف الإله) . / موسوعة اليهود واليهودية ، م5 ، ج

، 3ب8 ، مدخل (مارتن بوبر) 1878–1965 ().

ثالثاً : اليهودية الحاخامية و الحسيدية .. الفروق و الإنتقادات

اليهودية الحاخامية هي اليهودية التقليدية التي اعتمدت على تعاليم التلمود و إرشادات الحاخامات ، ومن هنا يقال لها (اليهودية الحاخامية التلمودية) . هذه اليهودية قد هيمنت على الإتجاهات الأخرى لليهودية . أي الإتجاه التوراتي أو القبالي . و إن كنا في بعض العصور نرى تفوق الإتجاه القبالي خاصة في القرن الخامس و السادس ، إلاّ أن التلمود كان بصورة عامّة مهيمناً على أفكار اليهود و كان المصدر الأقوى للديانة اليهودية .

وحين برزت الحركة الدينية الحسيدية ظهرت أيضاً مفاهيم و تشريعات أخرى كانت بمثابة فروق أساسية بين اليهودية الحاخامية و الحسيدية . من الممكن أن نشير إلى أهم هذه الفروق بين الطرفين ملخَصَةً فيما يلي : .

1 . التساديك عند الحسيديين هو وسيط بينهم و بين الرب ، ولكن الحاخام عند اليهودية الحاخامية هو مرشد و موجّه .

2 . الإيمان بالتساديك هو إيمان دون اعتراضات أو أسئلة أو شكوك ، أمّا عند الحاخاميين فمن الممكن على الأقل مناقشة الحاخام و توجيه الأسئلة إليه.

3 . الحسيديون يركّزون على عبادة الرب ، وإقامة الشعائر الصوفية و الصلوات ، وعلى العاطفة و المسائل الروحانية.

4 . الحسيدي يعيش كلّ أيّام حياته ضمن طائفته الّتي تزوّده بكل احتياجاته ، حيث توجد هناك مؤسسات تعليمية و سوق تعاونية ، وتجمعات سكنية خاصة . أمّا اليهودي التلمودي فهو يعيش حياة فردية عادية ، ومنذ أن ينهى تعليمه الديني ينفصل عملياً عن عالم مدرسته الدينية و يتحوّل إلى شخص مستقلّ عادي [1] .

إضافة إلى هذه الفروق الأساسية ، فإن الحسيدية قد واجهت معارضة عنيفة من (اليهودية الحاخامية) . وأطلق الحسيديم على المعارضين إسم (المتنجّديم) أي المعارضين .

فهؤلاء المعارضون كانوا أعضاء المؤسسة الحاخامية و قد تصدّوا للحركة الحسيدية . وهذه المعارضة تتجلّى ضمن انتقادات جعلتها المؤسسة الحاخامية أسباب معارضتها للحسيدية ، وكان هذا الصراع أُطلق عليه إسم الصراع بين " المتصوفين والتشريعيين " . وقد احتدم هذا الصراع لمدّة نحو أربعين عاماً (1772 – 1815 م) بين " المتنجديم " و " الحسيديم " ولكن حدّته خفت بالتدريج اعتباراً من بداية القرن التاسع عشر ، على الرغم من أن دلائله مازالت مستمرة حتى الآن . [2]

---

[1] للتفصيل حول الفروق بين الحسيدية و اليهودية التلمودية أنظر القوى الدينية «الحريدية » غير الحزبية المعارضة للصهيونية..، المرجع السابق ، الفصل الأول (الطائفة الحسيدية) ، المبحث الأول : نشأتها –اتجاهاتها .

[2] المرجع نفسه ، الفصل الأول (الطائفة الحسيدية) ، المبحث الأول : نشأتها –اتجاهاتها .

وقد كانت أهم و أبرز الدعاوى . و هذه الدعاوى تُعد بمثابة التطورات التي أتت بها الحركةُ الحسيدية ، و أضافتْها إلى الفكر الديني اليهودي . الّتي هاجم وانتقد " المتنجديم " بسببها " الحسيديم " مايلي : .

1. وجود اتجاهات حلولية متطرفة شديدة الوضوح داخل الحسيدية .

2. الإفراط في الشراب و الصياح من أجل التخلّص من الكآبة و الحزن .

3. تبديد الأموال و السعي وراء الربح غير الشرعي والعادل .

4. موقف الحسيدية من الشر . حيث قال الحسيديون : إن الشر غير موجود ، فالشر نفسه قد التصقت به الشرارات الإلهية ، وهي رؤية حلولية تتنافى تماماً مع التمييز بين الخير و الشر .

5. وقد اعترض المتنجديم أيضاً على دور و مهمة التساديك لدى الحسيديم في الشفاعة عند الإله وفي الوساطة بينه وبين المخلوقات ، وفي تمتعه بقوى خارقة ، وأفكار أخرى حوله تتسق مع الفكر الحلولي ، وقد اعتبر المعارضون أن وصف التساديك بأنّه " توراة حيّة " من شأنه أن يؤدي إلى تصغير سلطة التوراة التقليدية و التقليل من أهميتها ..

6. إهمال دراسة التوراة وتحقير دارسي التلمود ، وهو أكثر العوامل إغضاباً للمتنجديم ، وذلك لأن التوراة و التلمود في نظر اليهودية الحاخامية هما الهدف الأساسي من وجود اليهود . وقد هدّدت الحسيدية سلم القيم اليهودية الّتي على رأسها قيمة دراسة التوراة .

7. وقد اعترض المتنجديم على أن الحسيديين يكرّسون وقتاً طويلاً في الإعداد العاطفي و النفسي للعبادة ، بل يهملون العبادة نفسها ، وأنّهم يهملون مضمون الصلوات ويحولونها إلى وسيلة لتوليد حالة من الشطحة الصوفية . ويذهب المتنجديم إلى أن الأغاني الّتي يغنيها الحسيديون ، والرقصات الّتي يؤدونها أمرٌ غير لائق تماماً .

8. إعترض المتنجديم أيضاً على التعديلات الشعائرية المختلفة التي كان الحسيديون يحاولون عن طريقها تحقيق قدر من الإستقلال عن المؤسّسة الحاخامية ، ومن هذه التعديلات : .

أ . التعديل الذي أُدخل على الذبح الشرعي ، والقيام بالذّبح بسكاكين غير مسنونة جيداً.

ب . و تأسيس معابد يهودية خاصة من قبل الحسيديم .

ج . تغيير الزّي اليهودي التقليدي .

د . التعديل الّذي أُدخل على الصّلاة ، فإن الحسيديين يجتمعون للصّلاة فرادى في حال كانت اليهودية الأرثوذكسية الحاخامية تستلزم لصحة الصلاة اجتماع عشرة أفراد ، أو كان الحسيديون يستخفون بطقوس الصلاة ، حيث كانوا لا يهتمون بمواعيد الصلاة ، و يصلون في صخب ، و يحركون أجسامهم ... الخ[1] .

---

[1] أنظر المرجع نفسه ، الفصل الأول (الطائفة الحسيدية) ، المبحث الأول : نشأتها –اتجاهاتها ، و موسوعة اليهود و اليهودية ، م5 ، ج3 ، ب4 ، مدخل (المعارضون " متنجديم ") .

فهذه الإعتراضات هي أهم ما تبلورت في فكر المتنجديم تجاه الحسيديين ، و هى الإضافات التي أتت بها الحركة الحسيدية ، ووجهت بها الفكر الديني اليهودي منذ قيامها في أواخر القرن الثامن عشر حتى ما بعد تأسيس الدولة الصهيونية . " ورغم الإنقسامات و الخلافات بين الحسيدية و اليهودية الحاخامية ، فقد وحدوا صفوفهم في النهاية بسبب انتشار العلمانية ، و مُثُل الإستنارة و التنوير و النزعات الثورية بين اليهود. [1] "

و تشير دائرة المعارف البريطانية إلى أنه رغم معارضة المؤسسة الحاخامية للحسيدية ، فإن الحركة استمرت بلا كلل ، و كسب العديد من الزعماء الحسيديين صيتاً كبيراً و كانت معارضة (متنجديم) اصرت على البقاء حتّى انتشار وتمركز الهسكلاه (حركة التنوير اليهودية) في أوربا الشرقية عام 1830 م . و الحركة الحسيدية اصيبت بالتدهور عندما ماتت أعداد ضخمة من اليهود الأوربيين الشرقيين على يد النازيين [2] أثناء الحرب العالمية الثانية ، [3] و قد قامت بضعة من الزعماء الروحيين Tzaddiqim)) بالهجرة إلى إسرائيل أو الولايات المتحدة و كسبوا عدداً من الأتباع الجدد . و كانت أكثر الطائفة نجاحاً هي طائفة لوبافيتش التي ترأس زعامتها مناحيم ميندل شنيورسون (1950 – 1994) الروسي المولد . و كان الفيلسوف (مارتن بوبر) بين الآخرين في موضوع إنعاش الحركة الحسيدية ، و كان بوبر عمل كثيراً في سبيل أن تترجم الحسيدية (Hasidism) إلى الجيل الجديد [4] .

والحسيدية في إسرائيل الآن لديها مفاهيم و تعاليم خاصة بها و قد ازدادت المفاهيم و تغيرت أو تطورت مع مرور الزمن .

و باختصار هى تتبنى فلسفةً خاصةً بها تختلف مع الإتجاهات الأخرى ، و إن كانت جميعاً تتفق في بعض المسائل القومية و السياسية .

---

[1] موسوعة اليهود و اليهودية ، المرجع نفسه ، مدخل (الحسيدية : تأريخ) .

[2] نازي (Nazi) إسم أطلق على الألمان أعضاء الحزب التقدمي الإشتراكي (National Socialiste) وزعيم الحزب النازي هو أدولف هتلر ، دكتاتور و رئيس أعلى للدولة الألمانية، ولد في 1889 و خاض بالدولة الألمانية عباب الحرب الكونية الثانية .. توارى وضاع أثره في خراب برلين 1945./ المنجد في الأدب و العلوم ،مادتا : (نازى) و (هتلر . (

[3] هي الحرب الكونية المعروفة التي ابتدأت سنة1939 و انتهت في 1945 ، تجابه فيها ابتداء من 1 / أيلول 1939 بولونيا و

فرنسا و بريطانيا ثم روسيا(حزيران 1941) و الولايات المتحدة (كانون الأول 1941) و الصين من جهة ، و ألمانيا و إيطاليا

مع دول أوروبا الوسطى (المجر ، رومانيا، بلغاريا ، يوغسلافيا) ثم اليابان (كانون الأول 1941). انتهت بهزيمة إيطاليا و ألمانيا و اليابان (1945) . / المنجد في الأدب و العلوم ،المرجع السابق، مادة : حرب .

[4] أنظر Encyclopedia Britannica ، المرجع السابق ، مادة . Hasidism

رابعاً : أثر الحركة في الفكر اليهودي

تركت الحركة الحسيدية أثراً عميقاً في الفكر اليهودي خلال القرن التاسع عشر . خاصةً في بداية هذا القرن . وقد كان جوهر رسالتها حماية الوجود اليهودي من خلال تعاليمها الَتي أصرت على إعداد اليهود روحياً و نفسياً ، لتكون هذه الخطوة مقدمة لقدوم " المسيح المخلِّص " و بذلك يطلع الخلاص النهائي . و قد أكدَت هذه الحركة على الحلولية المتطرفة و رموزها الشعبية الثرية الَتي تروي عطش الجماهير اليهودية الفقيرة الَتي استبعدت من جانب المؤسسة الحاخامية ، و كانت الحسيدية تحاول أن تحقق لهم قسطاً و لو ضئيلاً من الحرية و من المشاركة في السلطة . [1]

هذا بالنسبة لتأثير الحسيدية في أحوال الجاليات اليهودية ، أما بالنسبة للفكر اليهودي فإنَها قد كانت بمثابة نقطة التعارض الكبير مع الفكر الحاخامي التلمودي الجاف . و قد تصدت بضراوة لهيمنة المؤسسة الحاخامية على السلطة الفكرية و التشريعية . و استطاعت أن تكسر العزلة التلمودية الّتي خلقتها اليهودية الحاخامية و فرضتها على الأوساط الفكرية اليهودية بل فتحت آفاقاً جديدة من خلال التركيز على الجانب العاطفي و الروحي للفرد اليهودي.

ومن خلال نظرتها الحلولية قد عمّقت المفاهيم الحلولية في الفكر اليهودي و شرَعت لها و جعلتها أساس التصوف اليهودي، وبذلك ولد تراث حسيدي خاص في التصوف ما جعل المعارضين الحاخاميين ينكرون الحسيدية من أساسها و يتصدَون لها .

وهذه الحركة – الَتي نشأت بالإعتماد على الجانب العاطفي المحض . قد تحلَت . خاصةً بعد بروز حركة حبد . بالأمور الذهنية و العقلية و استطاعت أن تخرج بين العاطفة و الذهن ما جعلها تبدو كفلسفة يهودية خاصة و ليست كحركة صوفية شطحية فحسب . هذه الحركة كانت في الفترة مابين أواخر القرن الثامن عشر و بدايات القرن التاسع عشر (1772 – 1815) ذات أعمق تأثير في العقلية اليهودية السائدة ، إلاّ أنها بعد التطورات السياسية و الإجتماعية و الإقتصادية الَتي أصابت أوربا عامّة و التجمعات اليهودية خاصة في القرن التاسع عشر قد تضائل دورها و أدَت الأحوال المتغيرة إلى تعثر مسيرة الحركة الحسيدية ، و قد توقف امتدادها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وانغلقت على نفسها خاصة بعد زحف حركة التنوير اليهودية (الهسكلاه) و تقوية دورها وانتشار مُثُلها و رموزاتها في الأوساط اليهودية عموماً ، حيث كانت قد اتجهت عكس الإتجاهات الدينية السائدة ، بل عملت على الأكثر على الجانب الإجتماعي و الشعبي .

وفي القرن العشرين أثّر صعود النازية في ألمانيا الّذي أصاب المعاقل الحسيدية بالدمار ، و قيامُ دولة اسرائيل على الحركة الحسيدية و زادا من تقوقعهاعلى الرغم من المحاولات الجبارة الّتي بذلها كبار

---

[1] أنظر موسوعة اليهود و اليهودية ، مدخل (الحسيدية : تأريخ) ، المرجع السابق .

المفكرين الحسيديين (ومن إبرزهم " مارتن بوبر ") في سبيل إنعاش الحركة الحسيدية عبر صياغة مفاهيم حسيدية معاصرة . [1]

إلاّ أن ذلك لايعني انتهاء الحركة بل يعني تضائل دورها بسبب بروز أفكار جديدة متعارضة معها .

و تأثير هذه الحركة واضح و قوي في العقل اليهودي المعاصر " ففرويد العالم النمساوي اليهودي [*]كان مهتمّاً بالحسيدية القبالية ، و من هنا كانت نظرياته في الجنس ، وفي علاقة الذات بالكون . كما أن أدب كافكا [**] متأثر أيضاً ، و يظهر تأثيرها واضحاً تماماً في اعمال مارتن بوبر و فلسفته الّتي توصف بأنّها (حسيدية جديدة) لأن الإله حسب هذه الفلسفة لا يحلّ في مخلوقاته و يؤثر فيها وحسب ، بل إنّ مخلوقاته تؤثّر فيه بدورها ،ولذا يكتسب كلّ فعل ، مهما تدنى ، دلالة كونية .[2] "

---

[1]أنظر القوى الدينية «الحريدية » غير الحزبية المعارضة للصهيونية..، المرجع السابق ، الفصل الأول (الطائفة الحسيدية) ،

المبحث الأول : نشأتها –اتجاهاتها . المرجع السابق ، نقلاً عن Encyclopydia Judaica , vol 7 . p . 1014 .

[*]ولد عام 1856 وعمر طويلاً حتى مات في عام 1938 ،وهو يهودي نمساوي ، كان يعمل طبيباً ثم تخصص في معالجة الأمراض العصبيه و النفسية ، ، وأنشاء عيادة خاصة للإشراف على علاج مرضاه و دراسة أحوالهم عن كثب ، ثم استنبط من دراساته تصوراً خاصاً للنفس البشرية و تركيبها . يُعتبر من أكبر علماء النفس . وقد ألّف نحو ثلاثين كتاباً في الدراسات النفسية، من أهمها : (الذات و الذات السفلى) و (الطواطم و المحرمات)و (تفسير الأحلام) و (ثلاث مقالات في النظرية الجنسية)/. قطب ، محمد : مذاهب فكرية معاصرة ، المرجع السابق ، ص ص 107 ، 108 .

[**]وُلِد (فرانز كافكا) في 3 يوليو 1883م (في مدينة براغ عاصمة التشيك) ومات في نفس اليوم ... بعد 41 عامًا في نفس المدينة.. كان كافكا منتميًا إلى يهود الطبقة الوسطى التي تتحدث الألمانية، وقرب دخوله المدرسة أرسله أبوه " هرمان " تاجر التحف الثري إلى المدرسة الحكومية، ثم إلى الجامعة الألمانية في براغ ليدرس القانون... عاش " كافكا " معظم حياته في عزلة، فالتشيك يرونه ألمانيًّا، والألمان يرونه يهوديًّا، واليهود الأصوليون يرونه علمانيًّا، أما الإحساس الأعلى بالعزلة لدى كافكا فكان بسبب علاقته المتوترة دائمًا بمن حوله سواء أبوه أو أمه أو المجتمع ككل، لقد كان يشعر بالقهر، لكنه لم يكن يسعى لتغيير هذا القهر وإنما يكتفي فقط بفضحه وتعريته.. في عام 1912 كتب روايتين شهيرتين بعنوان: «التحولات، والمحاكمة، وفي عام 1922، أي قبل موته بسنتين ألف كافكا رائعته: القلعة (أو القصر) وفي عام 1924 مات بمرض السل . / الدويك ، وسام : كافكا.. صهيوني يلون العالم بالسواد!! ، في الإنترنت ، شبكة (إسلام أون لاين). 26/06/2002، www.islamonline.net

[2]موسوعة اليهود و اليهودية ، م5 ، ج3 ، ب4 ، مدخل (أثر الحسيدية في الوجدان اليهودى المعاصر).

المطلب الثاني

اليهودية الإصلاحية

Reform Judaism

أولاً : تعريفها و بداياتُها

في تعريف هذه الحركة تقول موسوعة اليهود و اليهودية [1] : " فرقة دينية يهودية حديثة ظهرت في منتصف القرن التاسع عشر في ألمانيا ، وانتشرت منها إلى بقية أنحاء العالم ، وخصوصاً الولايات المتحدة . وهي تُسمَّى أيضاً «اليهودية الليبرالية» و«اليهودية التقدمية» . وهذه المصطلحات ليست مترادفة تماماً ، إذ يُستخدَم أحياناً مصطلح «اليهودية الليبرالية» للإشارة إلى اليهودية الإصلاحية التي حاولت أن تحتفظ بشيء من التراث . كما استُخدم المصطلح نفسه للإشارة إلى حركة دينية أسسها كلود مونتفيوري في إنجلترا عام 1901، وكانت متطرفة في محاولاتها الإصلاحية . أما مصطلح «اليهودية التقدمية» فهو مصطلح عام يشير إلى التيارات الإصلاحية كافة " .

و في تفسيرها تقول بريتانيكا أنّها [2] : " حركة دينية عدّلت أو تركت العديد من الإعتقادات اليهودية التقليدية و قوانين و ممارسات . في محاولة لكي تكيّف اليهودية إلى الشروط الثقافية و السياسية و الإجتماعية المتغيرة للعالم الحديث . و اليهودية الإصلاحية تضع نفسها في موقع الخلاف مع اليهودية الأرثوذكسية التقليدية بتحدّيها القوة الملزمة للطقوس و القوانين و العادات الّتي أنزلت في التوراة و في بعض كتب ذات أصل ربّاني (مثل التلمود) . و قد بدأت الحركة في وقت مبكر من القرن التاسع عشر في ألمانيا ، بنداءآت أطلقها رجال غير متخصصين لتجديد الدين اليهودي و الطقوس الأخرى ، و ذلك بتحرير اليهود من (الغيتو) " .

نجد في التعريفين لكلّ من (موسوعة اليهود و اليهودية) و (دائرة المعارف البريطانية) أن الأول يحدّد منتصف القرن التاسع عشر زمن بروز الحركة ، و الثاني يحدّد بدايات التاسع عشر . و لتوضيح ذلك نقول : إن دائرة المعارف البريطانية تقصد النداءات الأولية و التحركات الفردية الأساسية قبل بلورة الحركة . و موسوعة اليهود تعتبر في تعريفها للحركة زمن تكوينها كحركة أو فرقة لها أهداف و استراتيجيات و ذلك قد حدث في منتصف القرن التاسع عشر خاصة حين بدأت المؤتمرات اليهودية الإصلاحية (و سنبين موضوع المؤتمرات بالتفصيل فيما بعد) .

---

[1] المرجع نفسه ، م5 ، ج3 ، ب5 ، مدخل (اليهودية الإصلاحية : تأريخ) .

[2] المرجع السابق ، مادّة . Reform Judaism :

و حول بدايات الحركة الإصلاحية تشير دائرة المعارف البريطانية إلى أن إسرائيل جاكوبسون [1] (1768–1828) كان رائد الحركة الإصلاحية اليهودية . أسّس مدرسة إبداعية في زيزن (في مقاطعة برونزويك) بألمانيا عام 1801 . و قد حمل هناك خدمات الإصلاح الأولى في عام 1809 . و كانت عظاتُهُ بالألمانية بدلاً من اللغة العبرية ، و سمح للرجال و النساء بالجلوس معاً سوياً . و قد حذف جاكوبسون كلّ الإشارات الّتي تبشر بمسيح شخصي يعود لكي يعيد إسرائيل كأمّة .
و هكذا حمل جاكوبسون الحملات الإصلاحية في برلين عام 1815 ، و من هناك انتشرت ممارسات الإصلاح و بلغت الدنمارك ، و هامبورغ ، و ليبزيج ، و فينا ، و براغ . و بالرغم من المنع و التهميش من قبل الحكومة البروسية إستجابةً لضغط الزعماء الأرثوذكس ، الاّ أن حركة الإصلاح لم تخنق بل استمرت في الإنتشار [2] .

و قد كانت حركة الإصلاح اليهودية في ألمانيا ثمرةً مباشرةً لحركة الإستنارة اليهودية (الهسكلاه) ، حيث انتشرت مثُلُها و رموزها في الوسط اليهودي في أوائل القرن التاسع عشر . فضلاً عن تأثير التنوير الأوربي (Pozatvism) عموماً ، و أنّ ألمانيا كانت مهد الإصلاح المسيحي أيضاً ، حيث برز الإصلاح الديني فيها على يد مارتن لوثر . و بذلك تكون ألمانيا منطلق الإصلاح المسيحي و اليهودي أيضاً .

و قد جاءت اليهودية الإصلاحية بالأساس رداً على حالة الجدل الّتي سادت يهود أوربا حول الخروج من عقلية الغيتو ، و رداً على العقيدة التلمودية التقليدية . و الإصلاح اليهودي في ألمانيا ركّز في البداية " على السمات الجمالية للعبادة ، و أصبح مؤسّساتياً في 1840 ، و بالرغم من أنّه كان فاشلاً في أغلب أوربا ، إلاّ انّه استورد بسهولة إلى الولايات المتحدة ... و في حين واصل البعض من اليهود الأوروبيين – بشكل خاص اليهود الحسيديم (أتباع الحركة الحسيدية) – رفض عملية التغريب Westernization كلّياً ، بقى معظمهم أرثوذكسياً في دينهم ، و غربياً في أساليبهم و ثقافاتهم " [3] .

كانت حركة الإصلاح الديني تهدف إلى إنعاش الجانب الديني على حساب الجانب القومي عند اليهود ، و ذلك أخطر عرقلة أمام الهوية اليهودية الّتي نادت بها المؤسّسات اليهودية سابقاً ، و هذه الهوية تمثل الرؤية القومية و الإثنية لدى اليهود ، حيثُ كانوا قد اعتادوا قبل بروز الفكر الإصلاحي على شعارات و أهداف مثل الشعب المختار أو تكوين الدولة اليهودية في فلسطين أو قدوم المسيح المنتظر ، فجاءت الحركة الإصلاحية اليهودية لتقف بوجه كل هذه الأمنيات و المميزات للجماعات اليهودية ، و قد دعت أتباع الديانة اليهودية إلى ترك هذه الأهداف و الإندماج في أوطانهم و التخلي كلياً عن مفهوم الشعب المقدس الذي كان السبب الرئيسي لتمسك الجماعات اليهودية بالطبيعة الإنعزالية ، والبقاء داخل

---

[1] للتعرف على حياة جاكوبسون الذي كان رائد الفكر الإصلاحي اليهودى ، أنظر ص (161) من هذه الدراسة .

[2] للتفصيل أنظر ، Encyclopedia Britannica المرجع السابق ، مادّة . Reform Judaism :

[3] المرجع نفسه ، مادّةReform Judaism : .

غيتواتها . و قد دعت إلى " نبذ التفسيرات و الطقوس و المعتقدات الجامدة ، و تهيئة الفرد اليهودي لحياة جديدة بوصفه مواطناً في البلد الذي يولد و يعيش فيه " [1] .

و هذا الإصلاح قد بدأ " حين لاحَظ كثير من قيادات اليهود انصراف الشباب تدريجياً عن المعبد وعن الشعائر اليهودية بسبب جمودها وأشكالها التي اعتبروها بدائية متخلفة ، فأخذوا في إدخال بعض التعديلات ذات الطابع الجمالي ، من بينها تحويل المعبد من مكان يلتقي فيه اليهود للحديث والشجار إلى مكان للتعبد يتطلب التقوى والورع . وبدأت المواعظ الدينية تُلقَى بلغة الوطن الأم ، وتغيَّر موضوعها ، فبدلاً من أن تدور حول تفسير دقائق الشريعة ، أصبحت تهدف إلى إنارة المصلين على المستوى الروحي ... وقد قام إسرائيل جيكوبسون بأول محاولة للإصلاح في المعبد الملحق بمدرسته عام 1810 ، ثم في بيته عام 1815 ، ثم افتتح أول معبد إصلاحي في هامبورج عام 1818 " [2] .

كانت الحركة الإصلاحية اليهودية تهدف إلى الملائمة بين الديانة اليهودية و معطيات الحضارة الغربية الجديدة . و كان الدافع الأساسي لهذه الحركة هو رغبة اليهود في اللحاق بركب العصر ، و كان من شعارات هذه الحركة : (إنّ الدّنيا كلّها تتغير من حولنا فلماذا نتخلف نحن ؟!) .

و قد تطورت هذه الحركة اليهودية على يد جيل من المفكرين من أحبار اليهود الّذين كانوا يرون : (أن جوهر اليهودية ليست أشكالها و لاحتّى شريعتها ، و لكن جوهرها هو أخلاقها) ، و قد وجدت هذه الحركة ضجة كبيرة وسط اليهود ، حتّى إنّ بعضهم كان يرى أن موت اليهودية هو تطويعُها لمبادئ العصر و إلى هذا التطور المتحرر من كلّ قيد [3] .

إن فلسفة إصلاح الدين سواء في الإصلاح المسيحي أو اليهودي أو الإسلامي هي إيجاد التآلف بين إيمان الآباء و بين أفكار العالم الحديث و منطلقاته المتطورة .

يقول أحد كتاب الغرب ممن عملوا في سبيل تحقيق هذه الظاهرة ، و هو (جون راندال) في كتابه : (تكوين العقل الحديث) : " إن الّذين دعوا أنفسهم بالمتدينين الأحرار في كلّ فرقة دينية سواء بين البروتستانت أو اليهود ، أو حتى الكاثوليك قد ذهبوا إلى القول بأنّه . و إن كان للدين أن يشكّل حقيقة حية ، و إذاكان له أن يظلّ تعبيراً دائماً عن الحاجات الدينية للجنس البشري . فلابدّ له أن يتمثل الحقيقة و المعرفة الجديدتين ، و أن يتآلف مع الشروط المتغيرة في العصر الحديث من فكرية واجتماعية " [4] .

هناك أسباب عديدة لظهور الحركة الإصلاحية في اليهودية ، بعضها تتمثل في محاولات و قناعات زعماء الفكر الإصلاحي . لكن عموماً نستطيع أن نحدّد أهم الأسباب لظهور الحركة الإصلاحية في ألمانيا منتصف القرن التاسع عشر ، على النحو التالي : .

---

[1] بديعة أمين : الصهيونية ليست حركة قومية ، المرجع السابق ، ص 72 .

[2] موسوعة اليهود واليهودية ، مدخل (اليهودية الإصلاحية : تأريخ) ، المرجع السابق .

[3] أنظر الناصر ، محمد حامد : المدرسة العصرانية .. مفهومها و نشأتها .. خصائصها و مزاعهما ، مجلة (البيان) العدد 137 / 138 ، في موقعها على الإنترنت . www. Alsakifah.org

[4] نقلاً عن المرجع نفسه .

1. أزمة اليهودية الحاخامية أو التلمودية الّتي ارتبطت بوضع اليهود في أوربا قبل الثورة الصناعية . فقد فشلت اليهودية كنسق ديني في التكيّف مع الأوضاع الّتي نشأت في المجتمع الغربي ابتداء من الثورة التجارية و استمرت حتى الثورة الصناعية و بعدها ، ثم واجهت أزمة حادّة مع تصاعد معدلات العلمنة .

2. ظهور فكرة الدولة القومية الحديثة في أوروبا بعد الثورة الفرنسية . فقد كانت الدولة القومية الحديثة عرضت الإعتاق السياسي على اليهود شريطة أن يكون انتماؤهم الكامل لها وحدها ، و أن يندمجوا في المجتمع سياسياً و اقتصادياً و ثقافياً و لغوياً ، و هو ماكان يتعارض و بشكل حاد مع اليهودية الحاخامية الّتي عرّفت الهوية اليهودية تعريفاً دينياً إثنياً ، و أحياناً عرقياً ، و جعلت الإنتماء اليهودي ذات طابع قومي ، و لكن يتفق مع الفكر الإصلاحي الّذي هو استجابة لهذا العرض من الدول القومية الحديثة .

3. ظهور حركة التنوير اليهودية . حيث كانت اليهودية الإصلاحية ثمرة مباشرة لهذه الحركة الّتي برزت نفسها أيضاً متأثرة بالتنوير الأوروبي .

4. لقد تأثّر زعماء الحركة الإصلاحية اليهودية بدرجة كبيرة بالأفكار والممارسات الدينية المسيحية البروتستانتية في ألمانيا ، موطن الإصلاح المسيحي . فقد كانت المسيحية في ألمانيا بعد الإصلاح الديني تعيش بنفس إصلاحي و قد انتشرت مُثُل حركة الإصلاح في ألمانيا بل في أوروبا الغربية عموماً ، و كان لهذا الإنتشار تأثير واضح على اليهود الّذين كانوا يتطلّعون إلى نافذة إصلاحية تأتي من ورائها أوضاع جديدة تعالج وضعهم الديني و الوطني و الإجتماعي [(1)] .

هذا بالنسبة لأسباب ظهور الفكر الإصلاحي عند اليهود . و حين ظهرت اليهودية الإصلاحية حركةً واضحةَ المعالم والتعاليم تصدت لها اليهودية التقليدية و حاولت شجبها . لكن في البداية حين كانت الإصلاحات ذات طابع شكلي و جمالي و كانت قد قام بها أعضاء ليسوا جزءاً من المؤسسة الدينية ، لم تثر ردة فعل حادّة عند التقليديين برغم اعتراضهم على كثير منها . و لكن حين بدأت التغييرات تكتسب طابعاً عقائدياً و اتّجهت نحو اصلاح العقيدة نفسها ، فقد تغيرت أيضاً طبيعة رد الفعل ، و هو ما ادّى في نهاية الأمر إلى انقسام اليهودية المعاصرة إلى فرق متعددة لايعترف الأرثوذكس فيها بيهودية الآخرين .

و كان التعليم في السابق دينياً تقليدياً بحتاً ، لكن لما بدأت الممارسات الإصلاحية خاصة مع نهاية القرن التاسع عشر فتحت حكومات فرنسا و النمسا و روسيا مدارس ذات مناهج مختلطة دينية و دنيوية . و قد التف شباب كثيرون حول المفكرين الدينيين الداعين إلى الإصلاح ، مثل : أبراهام جايجر ،

[(1)] للتفصيل حول هذه الأسباب كلها ، أنظر موسوعة اليهود واليهودية ، مدخل (اليهودية الإصلاحية : تأريخ) المرجع السابق.

و صمويل هولدهايم ، و كاوفمان كولر [1] ، الّذين يرجع إليهم الفضل في وضع أسس اليهودية الإصلاحية . و تحولّت مسألة تحديث الدين اليهودي أو إصلاحه إلى قضية أساسية في الأوساط اليهودية ، ثم تبلورت الأمور كثيراً حين دعت أبرشية برسلاو المفكر اليهودي الإصلاحي (جايجر) ليكون حاخاماً لها 1839 . و حينما نشرت الطبعة الثانية من كتاب صلوات اليهودية الإصلاحية عام 1841 ، رأى الأرثوذكس أن الوضع أصبح لايحتمل الإنتظار ، و خصوصاً أن جايجر كان من كبار دعاة مدرسة نقد العهد القديم و من مؤسسي علم اليهودية [2] .

هكذا بدأت الإصلاحات اليهودية ، و قد انتشرت في كثير من الدول الغربية . لكن ثقلها انتقل من ألمانيا إلى الولايات المتحدة خاصة بعد هجرات اليهود في النصف الثاني من القرن التاسع عشر من جميع أوروبا إلى أمريكا .

فازدادت قوة اليهودية الإصلاحية هناك حيث كانت الولايات المتحدة مناخاً ملائماً لأفكار الإصلاحيين ، فقد اندمج المهاجرون الألمان في المجتمع الأمريكي ، و كانوا قد تلقوا أفكار الإصلاحيين الّتي كانت تلائم وضعهم الجديد ، فضلاً عن قبول اليهود الأمريكيين أنفسهم التيار الإصلاحي .

ثانياً : أهم أفكار و أعمال اليهودية الإصلاحية

قيمة اليهودية الإصلاحية تكمن في الأفكار أو الأعمال الّتي عملت كثيراً في سبيل تحقيقها . و هذه الأفكار هي إسهامات هامّة في جميع المجالات اليهودية ، و هي تعد بمثابة عرقلة كبيرة أمام مسيرة الفكر الديني التقليدي اليهودي . حيث نرى في كثير منها إنكسار هيبة الهوية اليهودية التقليدية الّتي احتفظت بها قروناً طويلةً المؤسسات اليهودية المختلفة، من خلال خلق غيتوات فكرية و جغرافية. نحاول أن نلخّص أهمّ الأفكار الّتي تختلف من حيث الرؤية عن الإعتقادات اليهودية الحاخامية السابقة (أي قبل

[1] للتعرف على حياة هؤلاء المفكرين أنظر ص (163 ، 162 ، 165) . حسب ترتيب الأسماء أعلاه . من هذه الدراسة.

[2] أنظر موسوعة اليهود و اليهودية ، مدخل (اليهودية الإصلاحية : تأريخ) ، المرجع السابق .

بروز اليهودية الإصلاحية) الّتي تستند إليها اليهودية الإصلاحية كأسس و قواعد لها ، و ذلك ضمن نقاط : .[1]

1 . حاولت اليهودية الإصلاحية حلّ اشكالية الحلول الإلهي في الشعب اليهودي و في مؤسساته القومية ، فمثل هذا الحلول يجعل منهم شعباً مقدساً ملتفاً حول نفسه و منعزلاً عن الآخرين .

و إذاكان هذا أمراً مقبولاً داخل إطار المجتمع التقليدي المبني على الإرادة الذاتية للأقلّيات ، فإنّه مع ظهور الدولة القومية أمر غير مقبول ، إذ ترى هذه الدولة نفسها مطلقاً فهي مرجعية ذاتها لاتقبل مرجعية متجاوزةً لها . لذلك أصبح من الصعب أن تتعايش نقطتان مطلقتان داخل المجتمع الواحد ، و لذا كان على أعضاء الجماعات اليهودية أن يتعاملوا بشكل أو بآخر مع الحلولية اليهودية التقليدية ، وكان عليهم التوصل إلى صيغة حديثة لليهودية يمكنها التعايش مع الدولة القومية الحديثة المطلقة . لذلك تصدى الاصلاحيون لفكرة الشعب المقدس الذى يأخذ قداسته من الحلول الإلهى فيه حسب القناعة اليهودية التقليدية ، ونادوا بالتخلي عن هذه الفكرة كلياً .

2 . إن جوهر مشروع اليهودية الاصلاحية هو محاولة نزع القداسة عن كثير من المعتقدات الدينية اليهودية ووضعها فى إطار تأريخى ، وذلك حتى يتسنى التمييز بين ماهو مطلق ومتحرر من الزمان والمكان وبين ماهو نسبى ومرتبط بهما .

وهى عملية نجم عنها تضيق نطاق المطلق والمقدس وتوسيع نطاق النسبى ، حيث يتمكن أعضاء الجماعات اليهودية المشاركة فى الايمان بالمطلقات القومية والصناعية والمادية فى مجتمعاتهم الحديثة . لذلك نرى أن الإصلاحيين عدلوا فكرة التوراة ، إذ رأوا أن التوراة مجرد نصوص أوحى الإله بها للعبرانيين الأوّليين ، و لذا يجب احترامها كرؤى عميقة ، و لكنّها يجب أن تتكيّف مع العصور المختلفة . أي يصبح للقانون الإلهي (الشريعة) السلطة و الحق ، طالما كانت أوضاع الحياة الّتي جاء لمعالجتها مستمرة ، و عندما تتغيّر الأوضاع يجب أن ينسخ القانون ، حتى و إن كان الإله صاحبَه و مشرّعه ، أى أن الشريعة فقدت سلطتها الإلزامية المطلقة و أصبحت روح العصر النقطة المرجعية و الركيزة النهائية .

3 . و الإصلاحيون لا يعترفون بالشريعة الشفوية ، فهم ينكرون سلطة التلمود ، و التوراة أيضاً .
و يقرّون الشعائر و العبادات بمجموعة من المؤتمرات و البيانات الّتي تتم الموافقة عليها بالتصويت و الإنتخابات بالطرق الديموقراطية .

4 . حاول الإصلاحيون تأكيد الجانب العقائدي و الأخلاقي على حساب الجانب الشعائري أو القرباني ، فهم يرون أن اليهودية الحاخامية تدور في إطار الشعائر المرتبطة بالدولة اليهودية و الهيكل ، و الّتي لم تعد لها أية فعالية أو شرعية .. و ركّزوا على الجوهر الأخلاقي للتوراة وكذلك الجوهر الأخلاقي لبعض جوانب التلمود ، مهملين التحريمات المختلفة الّتي ينص عليها القانون

---

[1] أعددت هذه النقاط نقلاً عن المرجع نفسه ، م5 ، ج3 ، ب5 ، مدخل (اليهودية الإصلاحية : الفكر الديني) و (اليهودية الإصلاحية و الصهيونية). و استفدت أيضاً من مصادر أخرى مكتوبة في الهامش .

اليهودي ، و خصوصاً القوانين المتعلّقة بالطعام و الكهانة ، وقد سمحوا (مؤخراً) بترسيم حاخامات إناث .

5 . وقد حقق الإصلاحيون استبعاد العناصر القومية الموجودة في الدين اليهودي و الّتي تؤكّد قداسة اليهود " فحاولت اليهودية الإصلاحية فصل الجانب شبه القومي في اليهودية عن الجانب الديني الروحي و الإبقاء على الجانب الأخير وحده ، حتى لاينعزل اليهود عن الأمم الأخرى . و كانت اليهودية الإصلاحية بعد ماناداتها بحذف جميع الإشارات إلى خصوصية (الشعب اليهودي) بما في ذلك طقوسه الدينية وعقيدته و أخلاقه و أدبه ، و مطالبته بالتخلّي عن فكرة الشعب المختار كليةً . و قد حاولت تعميق ولاء اليهودي للوطن الّذي يعيش فيه حتى يتحقق للمواطن اليهودي الإنتماء القومي الكامل و الإندماج السوي ، وقد حقق اليهود بالفعل قسطاً كبيراً من الإندماج في فرنسا و إنجلترا (دون أن يفقدوا مايميزهم كيهود) " [1] .

هذا أكبر مشروع حققته اليهودية الإصلاحية ، فقد اعتبر هذا المشروع اليهود كحاملي رسالة دينية أخلاقية عازمين على نشرها في العالم حتى يستطيع من يشاء أن يؤمن بها .

كما أكّد الإصلاحيون أيضاً على أن اليهود شُتتوا في أطراف الأرض ليحققوا رسالتهم بين البشر ، و أن النفي وسيلة لتقريبهم من الآخرين و ليس لعزلهم عنهم . بالطبع هذا تحول كبير ، إذ يجعل اليهود يخرجون من معازلهم ليختلطوا بالناس . فقد كان في السابق خاصة في الأدب التلمودي يُعتبر غير اليهود دنائس وحيوانات ! أمّا في الفكر الإصلاحي فإنّ التعامل مع البشر و الإندماج في المجتمعات يُعتبر شرطاً أساسياً لنشر الرسالة اليهودية .

فقد كان جوهر اليهودية المتعصبة . قبل بروز الفكر الإصلاحي . هو الإعتقاد باستعادة إسرائيل ، و كان يُنظَر إلى الشتات (الدياسبورا) كعقاب إلهي ، و كان يُعتقَد بأن الشعب اليهودي مختار و مقدّس ، و أن المسيح سينبعث من إسرائيل و يعيد اليهود إلى المكان الّذي وعدوا به .

لذلك فإن التخلّي عن القومية أو الجنس هو خسران لليهودية . و لذا ، فقد كانت الديانة اليهودية مرتبطة تماماً بالمفاهيم القومية و العرقية .

لذا فقد قوبل المشروعُ الإصلاحي و أُسسُ اليهودية الإصلاحية بمعارضة عنيفة و استنكار شديد من قِبل التقليديين و المتعصبين . و لكن العقل و المنطق كان بجانب المصلحين ، و لاشك أنّه لولا تدخل عوامل أخرى لكانت المشكلة اليهودية في طريقها إلى الحلّ المرضى .

و كان مؤتمر الأحبار بفرانكفورت سنة 1845 قد أعلن بأن (كل مطالب العودة لأرض آبائنا و استعادة دولة يهودية يجب أن تحذف من صلواتنا) . و استطاع الأحبار الألمان و الأمريكان المتحركون

---

[1] شراب ، مجاهد علي : الحركة الصهيونية حركة عنصرية ، في(الصهيونية والعنصرية)، المرجع السابق، ج1 ، ص 208 .

على طريق الحرية الجديدة النظر إلى التشتت على أنّه نعمة ، و أصبحوا يعتقدون بإمكان فصل اليهود عن القومية اليهودية و الجنس اليهودي [1] .

" قد كانت حركة الإصلاح و مشروعها الإندماجي تجري بصورة كبيرة و سريعة إلى درجة جعلت جاكوب كلاتزكين الزعيم الصهيوني (1882–1948) [*] يقول : (إنني أعتقد أن الإندماج الكلّي لشعبنا ممكن . ان الإندماج يسري بسرعة أعظم أبداً بين قطاعات شعبنا و أن تأثيره يصبح أبداً أكثر عمقاً) " [2] .

من هنا يتضح مدى تأثير هذه الحركة الإصلاحية في الأوساط اليهودية ، و كاد مشروعها أن يقضي على الهوية الّتي تآلفت معها الديانة اليهودية قروناً طويلةً . و قد وصل تأثير الإصلاحيين إلى حدّ " كان اليهودي الّذي ينادي بإصلاح اليهودية في الولايات المتحدة يقول : (هذا البلد هو فلسطيني ، و هذه المدينة هي قدسي ، و هذا المعبد هو هيكلي) نعم ، قيل هذا في أوّل كنيس يهودي إصلاحي أقيم في تشارلستون سنة 1841 . ولكن اليهود الروس المتعصبين لم يكونوا مطلقاً يفكرون في يهودية ليس لها (حياة قومية) . فقد عملت المعازل (الغيتو) على إبقائهم شعباً منعزلاً ، و بذلك حافظوا على الديانة اليهودية وكان الحفاظ على الديانة اليهودية عندهم يحتم المحافظة على اليهودية كعنصر و شعب ، لأنّه لو ماتت القومية اليهودية لا اختفت العنصرية اليهودية بالضرورة ، ومعها الديانة اليهودية " [3].

---

[1] للتفصيل أنظر : تنّي ، جاك : الأخوة الزائفة (القصة المذهلة للمكائد والديبلوماسية الخبيثة لإخضاع البشرية و السيطرة عليها) ، ترجمة : أحمد اليازوري ، الفصل الثاني . الفشل في إصلاح اليهودية ، نشرت في الإنترنت ، مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية و الإستراتيجية ، www.asharqalarabi.org.uk .

[*] **جيكوب كلاتزكين) 1882–1948** : (كاتب روسي صهيوني ... وُلد في بولندا ...حصل على الدكتوراه من جامعة برن . كان

كلاتزكين نشيطاً ككاتب في الدوريات العبرية... وساهم في تحرير الموسوعة اليهودية، كما عمل مديراً للمكتب الرئيسي للصندوق

القومي اليهودي بين عامي 1915 و1919، ثم استقر في سويسرا بعد عام 1933. وبعد أن تسلَّم النازيون الحكم في ألمانيا، سافر

إلى أمريكا (عام 1941)، ثم عاد (بعد نهاية الحرب) إلى سويسرا حيث وافته المنية... وجُمعت أهم كتاباته في كتابه تخوم،

ومن أهم أعماله أيضاً معجم للمصطلحات الفلسفية العبرية، ومختارات من الفلاسفة الذين يكتبون بالعبرية والفلاسفة العرب في

العصر الوسيط ./ موسوعة اليهود واليهودية ، م6 ، ج 2 ، ب9 ، مدخل (جيكوب كلاتزكين) 1882–1948 ().

[2] نقلاً عن بديعة أمين : المرجع السابق ، ص 73 .

[3] تنّي ، جاك : الأخوة الزائفة ، المرجع السابق ، الفصل الثاني . الفشل في إصلاح اليهودية.

و كما أشرنا في السابق فإن فكرة الإندماج الّتي نادت بها اليهودية الإصلاحية لم تصل إلى هدفها المطلوب ، خاصة في روسيا أو أوروبا الشرقية ، وقد كانت هذه النكسة في بلدان شرق أوروبا " بسبب ظهور القوميات الأتوقراطية فيها ،و بسبب سرعة معدّل تطور الرأسماليات المحلّية ، الأمر الّذي لم يتح فرصة التأقلم و التكيّف لليهود المرتبطين بأشكال إنتاجية إقطاعية . إلى جانب هذا كان يهود شرق أوروبا من أكثر القطاعات الإنسانية تخلّفاً و غيبيةً ، الأمر الّذي أعاقهم عن الإستجابة الخلاقة في معظم الأحيان للوضع الجديد " [1] .

6 . إن اليهودية الإصلاحية ، في محاولتها تطوير اليهودية ، إنتهى بها الأمر إلى أن خلعت النسبية على كلّ العقائد و نزعت القداسة عن كلّ شيء ، أي أنّها في محاولتها إدخال عنصر النسبية الإنسانية و التهرّب من الحلولية ، سقطت في نسبية تأريخية كاملة بحيث أسقطت كلّ الشعائر و كلّ العقائد تقريباً .

7 . إنّ اليهودية الإصلاحية قد تحولت إلى مايشبه دين العقل الطبيعي (الربوبيّة) ، فهي تؤمن بوجود قوة عظمى تعبر عن شيءٍ باهت شاحب شخصي تطلق عليه كلمة " الرّب " .

8 . على المستوى الفكري ، أعاد الإصلاحيّون تفسير اليهودية على أساس عقلي ، و أعادوا دراسة العهد القديم على أُسس علمية . و قد نادوا بأنّ الدّين اليهودي أو العقيدة الموسوية (وهي التسمية الأثيرة لديهم) تستند إلى قيم أخلاقية تشبه قيم الأديان الأخرى .

9 . أنكر الإصلاحيّون فكرة البعث و الجنة و النار ، و أحلّوا محلّها فكرة خلود الرّوح .

10 . قد ازداد التكيّف مع روح العصر تطرفاً ، و لذا نجد أنّ اليهودية الإصلاحية قبلت الشواذ جنسياً كيهود ثمّ رسّمت بعض الشّواذ جنسياً حاخامات ، و أسّست للشّواذ جنسياً معابد إصلاحية معترفاً بها من قبل المؤسّسة الإصلاحية .

11 . و أضفى الإصلاحيّون على فكرة العودة و الماشيّح (أي المسيح) طابعاً إنسانياً ، إذ رفض ممثلوهم في مؤتمر بتسبرج فكرة العودة الشخصية للماشيّح المخلّص ،و أحلّوا محلّها فكرة العصر المشيحاني ، وهي فكرة تربط بين العقيد المشيحانية و روح العصر .

فالعصر المشيحاني هو العصر الّذي سيحلّ فيه السّلام و الكمال و يأتي الخلاص إلى كلّ الجنس البشري ، و ينتشر العمران و الإصلاح ، و يتم كلّ هذا من خلال التقدّم العلمي و الحضاري . ففكرة عودة المسيح هنا فصلت تماماً عن الشعب اليهودي و عن شخص المسيح و ارتبطت بكلّ البشر و بالعلم الحديث .

12 . فضلاً عن الإضافات الفكرية فإنّ اليهودية الإصلاحية أدخلت تعديلات تشريعية و فقهية كان أهمّها : .

أ . إلغاء الصلوات ذات الطابع القومي اليهودي ، و جعلوا لغة الصلاة الألمانية (ثمّ الإنجليزية والولايات المتحدّة) لا العبرية ، و ذلك من أجل التوفيق مع روح العصر و المكان .

---

[1] شراب ، مجاهد علي ، في (الصهيونية والعنصرية) ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 208 – 209.

ب . أبطلوا كلّ الفوارق بين الكهنة و اللاويين و بقية اليهود .

ج . أدخلوا الموسيقى و الأناشيد الجماعية .

د . سمحوا باختلاط الجنسين في الصلوات .

هـ . منعوا تغطية الرأس أثناء الصلاة أو استخدام شال الصلاة " tallit " ، و قد تأثّروا في ذلك بالصلوات البروتستانتية .

و . قام بعض من الإصلاحيين ببناء بيت للعبادة أطلقوا عليه اسم (الهيكل) ، و كانت تلك أول مرة يُستخدم فيها هذا المصطلح ، لأنّه لم يكن يُطلق إلاّ على الهيكل الموجود في القدس .

ومعنى ذلك أن الإصلاحيين بتسميتهم معبدهم هذه التسمية الجديدة ، كانوا يحاولون تعميق ولاء اليهودي إلى الوطن الّذي يعيش فيه .

ز . و قد تُركت العبادة العامّة اليومية ، كما سُمح بالعمل في يوم السبت . و قد أُلغيت قوانين غذائية " kashrut " كانت تُطبق قبل بروز الحركة الإصلاحية [1] .

13 . و قد رفضت اليهودية الإصلاحية الحركة الصهيونية و مشاريعها الفكرية . و كان من المنطقي أن تعادي (بنزعتها الإندماجية) الحركة الصهيونية ، إذ كانت الصهيونية ذات نزعة قومية ، وقد مجدت الغيتو و التلمود ، و حافظت على النطاق الضيق للحلولية اليهودية التقليدية . و قد عدّ الإصلاحيون عدداً من المؤتمرات للتعبير عن رفضهم للصهيونية ، كما أنهم رفضوا وعد بلفور في 1917 ، و كلّ المحاولات السياسية الّتي تنطلق من فكرة (الشعب اليهودي) .

" و في عام 1919 ، و بعد سنتين من صدور إعلان بلفور ، و قبل انعقاد مؤتمر السلام الّذي كان من المقرّر أن يبحث المسألة اليهودية و فلسطين ، قدم النائب الأمريكي اليهودي كان (Kahn) عريضة باسم ثلاثين شخصية يهودية إلى الرئيس الأمريكي (ويلسن) ، أعرب فيها عن معارضة اليهود الصهيونية و مشروع إنشاء دولة يهودية في فلسطين " [2].

وقد ظلّت هذه العداوة قائمة زمناً طويلاً في الولايات المتحدة . و لكن اليهود في الغرب جزء لا يتجزأ من المصالح الإقتصادية و السياسية لبلادهم ، و من محيطها الحضاري و التأريخي ، و هذه البلاد في مجموعها تشجع المشروع الصهيوني ، و لذا لم يكن من الممكن أن تستمّر الفكرة أو العقيدة الإصلاحية في مقاومة الواقع الإمبريالي الغربي الممالىء للصهيونية . لذلك فد تخلّت اليهودية الإصلاحية بالتدريج عن رؤيتها الليبرالية ، و أخذت في تعديل رؤيتها بشكل يتواءم مع الرؤية الصهيونية . و " العام 1935 كان بداية انهيار التيار الإصلاحي ، وقد جاء في البيان الختامي للمؤتمر المركزي له : (... كانت المقررات التي اتخذها المؤتمر المركزي للحاخامات الأمريكيين تصب في الخط المعارض للصهيونية ، إلا أننا مقتنعون بأن القبول بالبرنامج الصهيوني أو رفضه يجب أن يترك أمره للحرية الشخصية لأعضاء المؤتمر . لذلك فإن المؤتمر لن يأخذ أي موقف من موضوع الصهيونية) ، وفي العام 1937 في مؤتمر كولومبس ، جاء في البند الخامس من البيان الختامي :

---

[1] للمزيد حول هذه النقطة (12) ، أنظر ، Encyclopedia Britannica المرجع السابق ، مادّة . Reform Judaism :

[2] بديعة أمين ، المرجع السابق ، ص 72-73 .

(إن اليهودية هي الروح ، وإسرائيل الجسد) ، وأضاف البيان : (يجب على كل يهودي تقديم العون لبناء فلسطين وطناً لليهود، لا من أجل أن تكون مأوى للمستضعفين فحسب بل لتكون مركزاً للحضارة اليهودية والحياة الروحية) " [1] .

"التحول نحو الصهيونية تعزز داخل التيار الإصلاحي ، وأعلن اتحاد الأبرشيات العبرية الأمريكية التابع للتيار الإصلاحي في بيان له صدر عام 1937 : (إننا نرى يد العناية الإلهية في فتح أبواب فلسطين أمام الشعب اليهودي ، في حين أن الجزء الأكبر من اليهود بحاجة ماسة إلى مأوى ووطن ليكون رمزاً للعقائد والحضارة التي يؤمن بها اليهود ، لقد آن الأوان كي يتضافر كل اليهود بغض النظر عن خلافاتهم العقائدية، ويوحدوا جهودهم ، من أجل إقامة الوطن اليهودي في فلسطين ، كما نطلب من أبناء رعيتنا تقديم الدعم المادي والمعنوي لإعادة بناء فلسطين) " [2] .

ففي تقديس أرض فلسطين . الّذي رحّب به مؤتمر كولومبوس . برّر الإصلاحيون أن مصدر قداستها ليس العهد بين الشعب و الإله ، و انما الشعب اليهودي نفسه .

و في عودتهم إلى التراث اليهودي برّروا أن الأنبياء كانوا يؤيّدون الإتجاه القومي الديني دون أن يتخلوا عن الدفاع عن الأخلاقيات الإنسانية العالمية ، و دون أن يجدوا ايّ تناقض بين الموقفين أي أن الإصلاحيين تقبّلوا الموقفين : الإنعزالي و العالمي دون تساؤل ، و باستخدام مقياسين مختلفين : **أحدهما** يجعل اليهودية قوميةً بالنسبة للمستوطنين الصهاينة و الإسرائيليين ، و **الآخر** يجعلها ديناً و تراثاً روحانياً بالنسبة للمنفيين الّذين لا يريدون مغادرة المنفى بسبب سعادتهم البالغة به ! .

تشير دائرة المعارف البريطانية إلى أن محاولة الصهيونية لخلق أمّة يهودية مستقلّة قد كانت نقطة الجدال بينها و بين حركة الإصلاح ، و بتأسيس دولة إسرائيل عام 1948 ، رجعت عدّة مباديء أساسية في اليهودية الإصلاحية إلى الوراء بشكل مثير ، وقد كان أحبار الإصلاح في السنة نفسها دعموا إستعمال العادات و المراسيم التقليدية و الإستعمال االطقوسي لـ (اللغة العبرية) [3] .

و قد تزايد النفوذ الصهيوني داخل معسكر اليهودية الإصلاحية إلى درجة أن الإتحاد العالمي لليهودية التقدمية (أي الإصلاحية) عقد مؤتمره السنوي الخامس عشر في مدينة القدس للمرة الأولى عام 1968 ، و ذلك عقب عدوان 1967 و في غمرة الحماس القومي الّذي اكتسح يهود العالم نتيجة للإنتصار الإسرائيلي في حربها مع العرب .

ثالثاً : رموز الفكر الإصلاحي اليهودي في القرن التاسع عشر

هناك زعماء إصلاحيون قد وضعوا الأسس الفكرية الإصلاحية اليهودية ، و قادوا مسيرة الفكر الإصلاحي في الأوساط اليهودية . هؤلاء الزعماء نقصد بهم الّذين تركوا بصمتهم في الخريطة الفكرية لليهودية الإصلاحية ، أي الّذين يعدّون رموزاً في المشروع الإصلاحي .

فقد كان المفكرون المصلحون قد بذلوا جهوداً حثيثة باتجاه إصلاح اليهودية ، و قد التفّ حولهم شبّان ومثقفون يهود لما كان عندهم من مفاهيم دينية جديدة . و معظم هؤلاء المفكرين كان لديهم خلفية

---

[1] ناصر، علي : العلاقة اليهودية الصهيونية الأمريكية (1850–1950) ، ، مجلة (الوحدة الإسلامية) السنة الثانية – العدد الخامس عشر – ذو القعدة / ذو الحجة 1423 هـ – شباط (فبراير) 2003 م . تصدر عن (تجمع العلماء المسلمين في لبنان) ، في موقعها على الإنترنت www.Alwahdaalislamyia.net .

[2] المرجع نفسه .

[3] أنظر ، Encyclopedia Britannica المرجع السابق ، مادّة. Reform Judaism :

دينية ، و كانوا علماء دينيين و عارفين بالثقافة اليهودية التقليدية . و مع ذلك فقد انفتحوا على المفاهيم الغربية الجديدة الّتي شاعت في أوروبا الغربية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر مع بروز أفكار علمانية و حداثية . إن الأفكار الإصلاحية التي أشرنا إليها سابقاً كانت وليدة أعمال هؤلاء المفكرين كلهم ، و تُعد من آرائهم أيضاً ، إلا أن هناك بعض الأعمال الخاصة لهؤلاء المفكرين كانت قد أثّرت في تطوير الفكر الإصلاحي اليهودي . و نحن هدفُنا في الإشارة إلى حياة هؤلاء المفكرين كان توضيحَ هذه الأعمال الخاصة ، فضلاً عن أهمية المعرفة بحياة زعماء الإصلاح .

نحن هنا ندرج قائمة بأسماء أهمّ الرموز الفكرية من المصلحين اليهود الّذين يرجع اليهم الفضل في انتشار و تقوية الإصلاح اليهودي ، و فيما يلي تعريف ملخّص لحياتهم و أهمّ أعمالهم [1] : .

1. ديفيد فرايدلانــدر) 1834-1750 David Freidlander (

زعيم يهودي إصلاحي، وُلد في ألمانيا حيث أسس مصنعاً للحرير. وهو أحد مؤسسي مدرسة برلين الحرة (عام 1778) التي أصبحت نموذجاً للمدارس العلمانية اليهودية . حارب فرايدلاندر ليحصل أعضاء الجماعات اليهودية على حقوقهم المدنية في بروسيا .

وبعد موت صديقه الحميم موسى مندلسون ، تولّى زعامةَ حركة التنوير اليهودية ، وكان أول يهودي يُنتخَب لمجلس مدينة برلين عام 1809. وقد كان فرايدلاندر يهدف إلى اندماج اليهود بشكل كامل في الأمم التي يعيشون بين ظهرانيها ، و لذلك فإنه كان يطالب اليهود بالتخلي عن التلمود وبعض الشعائر اليهودية التي تعوق هذا الإندماج ، كما طالبهم باتخاذ الألمانية ، لا العبرية ولا اليديشية ، لغةً لهم . بل إنه كان أحد المفكرين اليهود القلائل الذين نادوا بالتخلي عن عقيدة الماشيَّح التي تسببت في عزل اليهود عن العالم غير اليهودي .

وكان فرايدلاندر يرى أن المسألة اليهودية في شرق أوربا لا يمكن حلُها إلا عن طريق الإصلاحات التي تؤدي إلى الإندماج. كما أعرب فرايدلاندر في خطاب له عن استعداد عددٍ كبيرٍ من يهود برلين لأن يتقبلوا المسيحية إذا لم يُطلَب منهم الإيمانُ بعقائد تتنافى مع العقل (مثل عقيدة الابن) .

2 . **إسرائيل جاكوبسون) 1828-1768** Israel Jacobson (

رائد اليهودية الإصلاحية. كان جاكوبسون رئيس المجلس اليهودي في مملكة وستفاليا النابليونية، كما كان من كبار المموّلين. عمل من أجل إصلاح التعليم اليهودي وطقوس المعبد اليهودي. أسس في زيزن (في مقاطعة برونزويك) مدرسةً إبداعية للطلبة اليهود والمسيحيين عام 1801 .

وفي عام 1810 هيأ بيته ليكون معبداً يهودياً إصلاحياً على غرار الكنائس البروتستانتية ، وكانت تُلقَى فيه العظات بالألمانية. وقد حمل هناك خدمات الإصلاح الأولى في 1809، واستعمل في الطقوس والعبادات اللغة الألمانية بدلاً من العبرية ؛ وسمح للرجال والنساء بالجلوس معاً سوياً .

---

[1] نقلنا حياة المفكرين الإصلاحيين عن : موسوعة اليهود و اليهودية ، م5 ، ج3 ، ب5 (اليهودية الإصلاحية) ، و Encyclopedia Britannica ، المرجع نفسه ، مادّة. Reform Judaism :

و حذف جاكوبسون كلَّ الإشارات إلى مسيح منتظر شخصي يعيد إسرائيل كأمة .. في البداية بدأ بالإصلاح في برلين في 1815؛ ومن هناك نُشرتْ ممارساتُ الإصلاح اليهودي ووصلتْ إلى الدنمارك، هامبورغ، ليبزيج ، فينا ، وبراغ . و بالرغم من المنع الّذي مارسته الحكومةُ البروسيةُ ضدّ الإصلاحيين تحت ضغط الزعماء الأرثوذكسيين التقليديين ، إلا أن الحركة لم تخنق بعد . وبنى جاكوبسون أول معبد إصلاحي في هامبورغ عام 1818، كما نشر كتاباً جديداً للصلوات .

3 . ليـوبولد زونـز) 1886-1794 Leopold Zunz (

عالم ألماني . مؤسسُ علْم اليهودية ، وأول من استخدم المناهجَ الأدبية والتأريخية الحديثة في دراسة الكتابات اليهودية . وكان زونز يؤمن بأن إصلاح اليهودية يجب أن يحتفظ بما يُسمَّى «الهوية اليهودية التأريخية الأساسية»، وهي هوية لا تتخذ شكلاً جامداً ، وإنما هي قوة حيوية متطورة. وفي كتابه أحاديث اليهود الدينية، حاول أن يبرهن على هذه النظرية، فبيَّن أن اليهودية تواءمت دائماً مع متطلبات الزمان والمكان، ولكن التغيير الذي كان يطرأ عليها لم يغيِّر جوهرها نفسه. والواقع أن موقفه لا يختلف في أساسياته عن موقف اليهودية المحافظة. وبالفعل ، نجده يقف موقفاً وسطياً معتدلاً في المعركة الدائرة بين اليهودية الإصلاحية واليهودية الأرثوذكسية .

4 **. صـمويل هولدهايم) 1860-1806** Samuel Holdheim (

زعيم اليهودية الإصلاحية. تلقَّى تعليماً تقليدياً، وترأس منذ عام 1847 الجماعة الإصلاحية في برلين. ويُعَدُّ هولدهايم من أشد الإصلاحيين تطرفاً وثورية ، فقد كان يؤمن إيماناً عميقاً بفكرة التقدم ، ولذا فقد طالب بأن تتكيف اليهودية مع الأوضاع الجديدة في المجتمعات الغربية الحديثة بإدخال تغييرات أساسية تنادي بالاحتفال بيوم السبت في يوم الأحد ، كما طالب بالسماح لبعض الفئات بالعمل فيه ، وإلغاء اليوم الثاني من الأعياد ، وعدم التمسك بالختان ، و رفض قوانين الزواج اليهودية و الطلاق ، و قد اعتقد بأنّ مثل هذه الرموز سقطت خارج الوظائف الأخلاقية والمذهبية لليهودية وأُلغِيت بقوانين الحال والعصر الجديد ، و أنّ الجوانب الشعائريةَ انتهت بسقوط الهيكل.
ولذا ، ينبغي التخلي عن كل ما له علاقة بالهيكل أو بالدولة اليهودية القديمة . واتّفق مع أبراهام جايجر (1810-1874) بأنّ التوحيد والأخلاق هما المعايير الرئيسية لليهودية الأصيلة . كلاهما شعر بأنّ اليهودية يجب أن تتنفس بإيمانٍ نامٍ بشكل ثابت ، ومتوافق مع روح العصر .

5 . سولومون فورمستشر) 1808 - 1889 Solomon Formstecher (

حاخام ومفكر ديني ألماني يهودي ، وأحدُ قادة حركة اليهودية الإصلاحية. اشترك في المؤتمرات الحاخامية المختلفة التي تناولت قضيةَ اليهوديةَ في العصر الحديث ، وكتَبَ عدةَ دراساتٍ عن فلسفة الدين ، ويُعَدُّ مؤلَّفَه (ديانة الفكر) 1841 أهمَّ مؤلفاته الّتي يصف فيها اليهوديةَ بأنها ليست ديانةً طبيعية (أي

متمركزة حول الطبيعة) وإنما ديانة فكر عالمية ترى أن الإله يتجاوز الطبيعة ، وأنه الحقيقة المطلقة ومصدرُ القيم .

وإذا كانت الديانة عموماً هي طموح الإنسان لأن يكون له عالمه الخاص من القيم ، فإن ديانةَ الفكر هي طموحه لتجسيد المثال الأخلاقي المطلق . والأمة اليهودية هي الّتي تقوم بهذه العملية ، فهي تجسيد للمطلق في التأريخ .

فهي التي بدأت بالتوحيد . بل إنه يرى أن المسيحية والإسلام إنْ هما إلا أداتان للأمة اليهودية تستخدمهما للقضاء على ديانات الطبيعة الوثنية التي تؤمن بالخالق لا كمبدأ مطلق متجاوز للطبيعة وإنما كمبدأ طبيعيّ .

6 . ديفيد آينهورن) 1879−1809 David Einhorn (

حاخام يهودي إصلاحي من أصل ألماني . عُرف بآرائه الثورية ، فطالب بإدخال اللغة الألمانية في الصلاة ، وأنكر أيةَ سلطةٍ مقدَّسةٍ للتلمود . هاجَر إلى الولايات المتحدة عام 1855، وهو العام الذي عقد فيه (إسحق وايز) مؤتمرَ الحاخامات في كليفلاند ، والّذي اتّخذ قرارات إصلاحية معتدلة تهدف إلى خلق نوع من الوحدة بين الاتجاهات الإصلاحية المختلفة. وقد اعتبر أينهورن هذا خيانةً للاتجاه الإصلاحي ، فهاجم قراراتِ المؤتمر، وبذا بدأت العداوة المريرة بينه وبين وايز.

وقد شرح أينهورن أفكاره في مجلّته التي كانت تَصدُر بالألمانية (1856 . 1862)، وفي كتاب الصلوات الّذي ألّفه (وكان يُعَدُّ كتاباً جديداً تماماً لا علاقة له بكتب الصلوات المعروفة) .

هاجم أينهورن مؤسسةَ العبودية في الولايات المتحدة ودعاة الحفاظ عليها ، فاضطر إلى الفرار عام 1861 من بلتيمور، ومنها إلى نيويورك حيث أصبح حاخامَ معبد بيت إيل الشهير. وقد كان له تأثيرٌ واضحٌ على مقررات مؤتمر فيلادلفيا الحاخامي عام 1869، كما أن أفكاره تركت أثراً عميقاً في اليهودية الإصلاحية من خلال زوج ابنته كاوفمان كولر واضعِ مقررات مؤتمر بتسبرغ الشهيرة . كما أن كتابَ الصلوات الذي وضعه ترك أثراً واضحاً في كتاب الصلوات الذي تبنته الحركةُ الإصلاحية في الولايات المتحدة .

7 . أبراهام جايجر) 1874−1810 Abraham Geiger (

عالِمٌ يهودي ألماني ، كان أحد الزعماء البارزين لحركة الإصلاح و تَزعَّم الحركة اليهودية الإصلاحية في ألمانيا. حاول أن يُدخلَ على اليهودية مفاهيمَ معاصرةً أقلّ قَبَليةً وأكثر عالميةً من المفاهيم السائدة في عصره ، ودعا إلى عقد أول مؤتمر للحاخامات الإصلاحيين عام 1837، وأسّس في برلين مدرسةً لدراسة علم اليهودية ، واستمرّ في التدريس فيها حتى وفاته .

وقد ذهب جايجر إلى أن اليهودية دين له رسالة عالمية شاملة وليست مقصورة على شعب من الشعوب . و استنتج بأنّ جوهرَ اليهودية هو الإعتقادُ بالله الحقيقي الواحد ، و ممارسةُ المبادئ الأخلاقية

الصحيحة إلى الأبد ، وإيصالُ هذه الحقائق إلى كلّ أمم العالم . ولذلك كلِه ، فقد ركّز هجومَه على فكرة الختان ، وقوانينِ الطعام ، وعلى عقيدة الشعب المختار ، وعلى تصوُّر أنّ اليهود يكوِّنون شعباً عالمياً ومقدّساً ، وعلى استخدامِ العبرية في المعبد اليهودي . كما هاجم كلَ المفاهيم ذات النزعة الدينية الخصوصية .

ومع هذا ، كان جايجر يحاول قدر استطاعته ، على عكس هولدهايم ، أن تكون التغييرات إصلاحيةً وليست ثوريةً ، وأن تكون لها سوابقُ تاريخيةٌ ، وأن تكونَ ذاتَ جذور في التراث (ومن هنا كان اهتمامه بالدراسة التأريخية النقدية اليهودية) .

وتظهر روحُه الإصلاحية في كتاب الصلوات الذي نشره عام 1854 حيث اختفت كل الإشارات إلى العودة لأرض الميعاد وفكرة الاختيار. ومن أهم أعماله ، بعض الدراسات التأريخية الخاصة بتطوّر اليهودية والعهد القديم وترجماته ، كما كتب دراسةً في أعمال المفكِرين اليهوديين موسى بن ميمون ويهودا اللاوي .

8. إسحق ماير وايز) 1819-1900 Isaac Mayer Wise)

مهاجر ألماني إلى الولايات المتّحدة ، زعيم اليهودية الإصلاحية فيها ، وأهمُ مؤسسيها ، و كان السبب الرئيسي في النجاح القوي والباهر لليهودية الإصلاحية في الولايات المتّحدة .. وُلد في بوهيميا بـ (تشيكوسلوفاكيا) ، وتأثّر بأفكار حركة الإستنارة الفرنسية .

هاجر إلى الولايات المتحدة عام 1846، وعند وصوله أصبح حاخاماً في مدينة أولباني في ولاية نيويورك حيث أدخل كثيراً من الإصلاحات على الصلاة اليهودية ، مثل السماح بالاختلاط بين الجنسين . ثم قبل وايز منصب حاخام في سنسناتي في ولاية أوهايو الأمريكية عام 1854 وبقي فيها بقية حياته. وبعد وصوله مباشرة، بدأ في نشر مجلة الإسرائيلي التي عُرفت فيما بعد باسم الإسرائيلي الأمريكي ، وكانت تُصدر ملحقاً بالألمانية.

وفي عام 1855، نجح في عقد مؤتمر لزعماء اليهودية الأمريكية ، ومن بينهم الأرثوذكس، بهدف إقامة سلطة دينية ، أو مجلس ديني موحَّد . ولكن المحاولة فشلت لأن الأرثوذكس لم يثقوا في نواياه ، أما الإصلاحيون فهاجموه بسبب عدم وضوحه. وقد حاول وايز مرةً أخرى أن يحتفظ بالوحدة في صفوف يهود أمريكا ، فنشر عام 1856 كتابَ صلاة بعنوان (منهاج أمريكي) ، ولكنه رُفض أيضاً من الطرفين . وأثناء الحرب الأهلية، أخذ وايز موقفاً ممالئاً لدعاة الحفاظ على مؤسسة العبودية . وقد ساهم في إقامة مؤسسات اليهودية الإصلاحية ، وهي : إتحاد الأبرشيات العبرية الأمريكية Union of American Hebrew Congregationsفي مدينة سنسناتي بولاية أوهايو الأمريكية عام 1873، وهو هيئة يهودية إصلاحية كانت تضم معابد يهودية كثيرة .

و كلّية الاتحاد العبري Hebrew Union College عام 1875 التي عُيِّن رئيساً لها حتى وفاته ، وكانت هذه الكلية معهداً دينياً يهودياً في سنسناتي بولاية أوهايو الأمريكية لدعم اليهودية الإصلاحية في الولايات المتحدة بتعليم وإعداد أحبار الإصلاح ، وقد دفَعَها فعلاً إلى الأمام .

و المؤتمر المركزي للحاخامات الأمريكيين Central Conference of American Rabbis عام 1889 . وكان هذا المؤتمر منظمةً تضمّ الحاخاماتِ الإصلاحيينَ في الولايات المتحدة وكندا. وقد ساهمت هذه المنظمة في إعداد كُتب صلوات للجماعات اليهودية التي تتبع اليهودية الإصلاحية ، وهي كتب تتَّسم باختفاء النزعة القومية والبُعد عن استخدام اللغة العبرية . وكان المؤتمر في بادئ الأمر محايداً بل معادياً للصهيونية .

وفي الثلاثينيات من القرن العشرين ، بدأ المؤتمر يغيّر اتجاهه ، ويتّخذ موقفاً أكثر تفهماً وتعاطفاً مع الحركة الصهيونية ، حتى أعلن برنامج كولومبوس عام 1947 الّذي أكّد أنّ من واجب كلِ يهوديٍ أن يساهم في تعمير فلسطين ، لا كملجأ للمحتاجين وحسب بل كمركز لليهودية في العالم . وقد انعكس هذا الاتجاه الفكري الجديد على التعديلات القومية التي أُدخلت على كتب الصلوات التي أصدرها المؤتمر مؤخراً. ولا يزال المؤتمر يطالب بفصل الدين عن الدولة في الولايات المتحدة وإسرائيل .

9 . صمويل هيرش) 1815–1889 Samuel Hirsch (

حاخام ومؤلِّف ألماني يهودي ، وأحدُ أعلام حركة اليهودية الإصلاحية . تَلَقَّى تعليمه في ألمانيا حيث عمل فيها حاخاماً عام 1841، ولكنّه اضطر إلى الاستقالة بعد عامين بسبب أفكار ه الإصلاحية المتطرفة . وقد عيّنه ملك هولندا حاخاماً أكبر لدوقية لوكسمبورغ ، فاستمر في عمله لمدة عشرين عاماً (وقد انتهز هيرش هذه الفرصة وكتَبَ عدةَ دراساتٍ علمية واشترك في عديد من المؤتمرات الحاخامية حيث دافع عن الإصلاح الديني) .

وفي عام 1886 انتقل هيرش إلى الولايات المتحدة ليعمل حاخاماً لأبرشية اليهود الإصلاحيين في فلادلفيا ، وترأّس المؤتمر الأول لأحبار الإصلاح الأمريكيين الّذي عقد في هذه المدينة عام 1869، والذي وضع مبادئ اليهودية الإصلاحية .

وأبرز نظرياته هي: أنّ الإنسان لا يعي نفسَه كذات إلا عندما يعي حريتَه ، وتظل هذه الحرية تصوراً لا يتحقق إلا في حالة الإيمان بالإله من خلال ديانة منزّلة . فإذا عَقَد لواء السيادة لطبيعته وحواسه على تفكيره وقلبه ، فإنّه يفقد حريته ويجعلها لاحقة وخاضعة لطبيعته . وهذا ما حدث في الديانات الوثنية التي جعلت الطبيعةَ المطلقة مبدأً ، بعكس الديانات المنزلة التي أضفت كرامة على الإنسان وجعلته مسئولاً ومن ثم حراً ، وليس الإله فيها إلا واهب ومريد هذه الحرية، فهو يريد للإنسان أن يكون حراً لأنه يريده أن يكون مسؤولاً.

وأعلن هيرش قناعته بأن اليهود يجب أن لا يحاولوا العودة إلى فلسطين ، و رفض أيضاً الإعتقاد بالإحياء الجسماني بعد الموت . **ورغم أن** هيرش أحد دعاة الإصلاح الديني والإندماج ، إلا أن مقولاته التحليلية الأساسية (تفوُّق النسق الديني اليهودي – استمرار الشعب اليهودي كمعجزة إلهية) مقولات صهيونية تماماً بل إنها مقولات حلولية أبعد ما تكون عن التوحيد. ولعل هذه المقولات الكامنة هي التي تفسر صهينة اليهودية الإصلاحية نفسها فيما بعد حتى أصبح لها ممثلون في الحركة الصهيونية وإسرائيل .

10 . كوفمــان كولــر) 1843–1926 Kaufmann Kohler (

أحد زعماء اليهودية الإصلاحية . وُلد وتلقَّى دراسته في ألمانيا ، ثم استقر في الولايات المتحدة عام 1869. وعمل حاخاماً للجماعة الإصلاحية في شيكاغو ونيويورك إلى أن عُيِّن رئيساً لكلية الاتحاد العبري عام 1903، وظل في هذا المنصب ثمانية عشر عاماً .

وكان كولر الشخصيةَ الأساسية في مؤتمر بتسبرغ الإصلاحي حيث تم تَبنِّي قراراته الإصلاحية الشهيرة .

كان كولر كاتباً كثير الإنتاج في حقلَي الفلسفة واللاهوت ، وكان معارضاً قوياً للصهيونية. وقد أسهم في تطور اليهودية الإصلاحية في الولايات المتحدة ، وكان يُعَد العالِم الإصلاحي الأساسي. اشترك في تحرير الترجمة اليهودية الأمريكية للعهد القديم ، وفي الموسوعة اليهودية (القديمة التي صدرت في أوائل القرن العشرين). وله دراسةٌ منهجيةٌ تاريخية للاهوت اليهودي تُعَدُّ من أهمّ أعماله.

11 . كــلود مونتفيـوري) 1858–1938 Claude Montefiore (

عالِم دين يهودي . تلقى تعليمَه في أكسفورد ، ثم في مدرسة علْم اليهودية في برلين، حتى يصبح حاخاماً إصلاحياً. وفي عام 1888 ألقى مجموعةَ محاضرات عن عقيدة العبرانيين القدامي، ونُشرت هذه المحاضرات في العام نفسه تحت عنوان (محاضرات عن أصل الدين وتطوره كما تتبدَّى في عقيدة إسرائيل القديمة) .

ويُعتبَر مونتفيوري مؤسِسَ اليهودية الليبرالية (وهي الصياغة المتطرفة لليهودية الإصلاحية)، وأسَّس الاتحاد الديني اليهودي (1902) الذي تطوَّر ليصبح الاتحاد الليبرالي اليهودي. وكان مونتفيوري رئيسَ المعبد اليهودي الليبرالي في لندن (1911) ، وانتُخب رئيساً للاتحاد الدولي لليهودية التقدمية (1926) . وظل في هذا المنصب حتى وفاته .

كما أسَّس مونتفيوري مع العَالِم الكاثوليكي البارون فون هيوجل جماعةَ لندن لدراسة الدين ، وهي جماعة من العلماء كانوا يجتمعون بشكل دوري لمناقشة أبحاثهم في الدين . وقد توجَّه مونتفيوري للقضايا التي يثيرها نقد العهد القديم، فذهب إلى أنّ الدراسات الحديثة أثبتت بما لا يقبل الشك أن أسفار موسى الخمسة لا تعود إلى أيام موسى أي أنها ليست موحى بها، ولكن هذا لا يعني التخلي عن الشريعة وعن فكرة القانون لأن الإنسان يكتشف القانون داخله، والوحي يكشف له ما بداخله، أي أن الفرد يصبح

المرجعية والمنطلق. وبالفعل نجد أن اليهودية الليبرالية تحاول تكييف العقيدة اليهودية وتطويعها لتناسب احتياجات اليهودي النفسية والأخلاقية .

ولذا حاول مونتفيوري أن يطوِّر اليهودية حتى تظهر " يهودية جديدة تتخلص من عقائد الماضي، ومع هذا تتمسك بالأخلاق النبيلة ". وكان مونتفيوري يرى أن اليهودية الليبرالية تهدف إلى الوصول إلى العالمية وإلى أن تقلل من أهمية العناصر العرْقية والقومية في اليهودية .

ويَصدُر مونتفيوري عن إيمان بالإله الواحد، و يرى أن المفهوم اليهودي للإله وعلاقته بالإنسان وعلاقة الدين بالأخلاق قريب للغاية من المفهوم المسيحي، قريب ولكنه ليس مترادفاً معه. ويتحدد تميُّز اليهودية في أن الإله كامن في الطبيعة والتأريخ ومنزه عنهما في آن واحد .

ومع هذا كان مونتفيوري يميل كثيراً إلى العقيدة المسيحية. وكانت دراساته في مجملها تهدف إلى تعميق فهم المسيحيين للتراث اليهودي وتعميق فهم اليهود لتعاليم المسيح. بل يبدو أنه كان يتطلع إلى اليوم الذي تظهر فيه عقيدة جديدة تضم الجوانب الإيجابية في كل من المسيحية واليهودية والديانات الأخرى. بل إن مونتفيوري كان يرى أن ثمة جوانب إيجابية في الأخلاقيات المسيحية غير موجودة في الأخلاقيات اليهودية وأن ثمة عنصراً صوفياً يوجد في الأناجيل لا يوجد في العهد القديم. وقد كان المسيح معلماً عظيماً ولكنه لم يكن مقدَّساً. ولذا، عارض مونتفيوري أية محاولة لوضع العهد الجديد على قدم المساواة مع العهد القديم أو قراءة أجزاء من العهد الجديد في الصلوات اليهودية .

أما فيما يتصل بموقفه من الصهيونية، فإن كلود مونتفيوري يذهب إلى أن اليهودية هي أساساً انتماء ديني وليست انتماءً قومياً سياسياً. فالدين في تصوَّره ، أمرٌ في غاية الخطورة والأهمية ، حيث إنه يملأ حياة المشتغلين به فلا يترك لهم أي وقت للاشتغال بأي شيء آخر، سياسياً كان أو قومياً، وبذا أصبح اليهود " مملكة من الكهنة. "

يرى مونتفيوري أن رؤية اليهودية العالمية الشاملة جعلت من الصعب عليها أن تظل عقيدة قومية يحتكرها عنصرٌ أو جنسٌ لنفسه، ولذا فقدت الأمة التي تؤمن بها هويتها كأمة (بالمعنى السياسي) وتحولت إلى جماعة دينية. وقد دعَّم هذا الاتجاه إيمانَ اليهود بأن الإله واحد وأنه رب للعالمين لا يتحيّز لشعب على حساب الآخر. لكل هذا، عارض مونتفيوري بشدة كلاًّ من الصهيونية ووعد بلفور. ولمونتفيوري مؤلفاتٌ عدةٌ من أهمها الخطوط الأساسية لليهودية الليبرالية (1920)، و العهد القديم وما بعده (1923)، و مختارات حاخامية) 1938 . (

رابعاً : المؤتمرات الحاخامية .. صياغة المنطلقات الإصلاحية

" المؤتمرات الحاخامية Rabbinical conferences هي مجموعة من المؤتمرات الّتي عقدت في ألمانيا ، في منتصف القرن التاسع عشر ، لمحاولة التصدّي للمشاكل الناجمة عن التحديث و إعتاق اليهود و تساقط الغيتو و تصاعد معدلات العلمنة . و كلّها أمور أدّت إلى تفاقم أزمة اليهودية . وقد عقد أبراهام جايجر مؤتمراً عام 1837 في (وايسبادن) لمناقشة آرائه في الإصلاح الديني ، و لكنّه لم يتوصل إلى أية نتائج عملية " [1] .

هذه المؤتمرات كانت بدافع متابعة الأوضاع الجديدة الّتي بدأت في الأوساط اليهودية بسبب انتشار المفاهيم الغربية الجديدة من العلمانية و الإلحادية و الإنسانية ....الخ ، فضلاً عن انتشار مُثُل الإستنارة الفرنسية و اليهودية ، و انتشار أفكار الإصلاحيين ، لذلك نرى أنهم فرضوا مشاريعهم على المؤتمرين و فازوا في المؤتمرات ، إذ جعلوها تصبّ في مصلحة الأسس الإصلاحية الّتي أدخلوها في الأوساط اليهودية . لذلك تُعَد هذه المؤتمرات بمثابة صياغة منطلقات الحركة الإصلاحية اليهودية صياغة شرعية من خلال إجماع أهم الحاخامات اليهود آنذاك على قرارات المؤتمرات .

و المؤتمرات هي ما يأتي : .

1. مؤتمر برونزويك (12–19 يونيه 1844) . و قد حضره (24) حاخاماً معظمهم من الإصلاحيين ، من بينهم جايجر و هولدهايم . و كان ضمن قراراته إلغاء صلاة كلّ النذور ، و تأكيد أن اليهود يعتبرون البلاد الّتي يعيشون فيها أوطانهم و بلاد آبائهم . و وافق المؤتمر على الزواج المختلط شريطة أن يكون النسل يهودياً .

2. مؤتمر فرانكفورت (6–28 يوليه 1845) .وقد حضره (38) حاخاماً يمثلون أفكار اً إصلاحيةً و محافظة . و قد بدأت الإختلافات بين التقليديين و الإصلاحيين . فتم الإتفاق على ضرورة الإحتفاظ بالعبرية في الصلاة ، و لكن الفريقين اختلفا حول حجم الجزء العبري . و قد نجح الإصلاحيون في فرض موقفهم ، كما نجحوا في اتخاذ قرارٍ بشأن إلغاء الأدعية الخاصة باستعادة العبادة القربانية .

3. مؤتمر برسلاو (13–24 يوليه 1846) . وقد حضره (22) حاخاماً ، كلّهم إصلاحيون تقريباً . وقد اتخذ المؤتمر عدّة قرارات كانت تعديلات في بعض تشريعات و عادات يهودية

[1] موسوعة اليهود و اليهودية ، م5 ، ج3 ، ب5، مدخل (المؤتمرات الحاخامية) .

قديمة . حيثُ عدّل المؤتمر قوانين السبت و خفّف من حدّتها ، بالذات بالنسبة إلى الجنود والموظفين العموميين . و قد أُلغي اليوم الثاني في الأعياد . وحاول المؤتمر أن يعدّل طريقة الختان بحيث تتفق و قواعد الصحة الحديثة . و قد أُبطلت بعض عادات عند اليهود مثل : تمزيق الملابس ، و الجلوس على الأرض إعلاناً للحداد ، وإطلاق اللحية . وقد توقفت المؤتمرات بعد ذلك في ألمانيا ، و لكنّها استمرت في الولايات المتحدّة الّتي أصبحت أهم مركز لليهودية الإصلاحية .

4. مؤتمر فيلادلفيا (3–6 نوفمبر 1869) . و قد حضره (12) حاخاماً إصلاحياً ، و اُتخذت قرارات بضرورة إنهاء بقايا التفرقة بين الكهنة و اليهود العاديين ، و تأكيد رسالة إسرائيل للعالم ، و قبول الشُتات أي انتشار الجماعات اليهودية في العالم ، لا باعتباره عقاباً و إنّما كوسيلة لإنجاز هذه الرسالة . وقد أنكر المؤتمر فكرة البعث ، و أصروا على أن تكون الصلاة بلغة الوطن .

5. مؤتمر بتسبرغ بألمانيا (16–18 نوفمبر 1885) . وقد حضره (18) حاخاماً إصلاحياً . و هو المؤتمر الّذي أصدر قرارات بتسبرغ الشهيرة الّتي أصبحت تشكل إطار و أساس اليهودية الإصلاحية . و هذه القرارات قد رفضت الشعائر الإحتفالية الّتي لم يعُد لها معنى أخلاقي . و أشارت القرارات إلى أنّه لايوجد أيُ شيءٍ في روح اليهودية أو قوانينها يمنع من أن تتمّ احتفالات نهاية الأسبوع يوم الأحد بدلاً من السبت (إذا رأت الجماعة ذلك) [1] .

هذا المؤتمر قد أعلن مباديء أخرى كانت أهم الأهداف و الأفكار الإستراتيجية لليهودية الإصلاحية .

و هذه المباديء أصدرها المؤتمر ضمن إعلان أساسي دعا للإيمان به ، و كان أهمها : .

أ . إننا نعتبر اليهودية تمثل أسمى إدراك للمفهوم الإلهي، كما تعلمنا كتبنا المقدسة، وكما تعهد لذلك المعلمون اليهود. وتؤكد بأن اليهودية قد حفظت وسط الصراعات والمحن المستمرة.. هذه هي الفكرة الإلهية كحقيقة دينية رئيسية للجنس البشري .

ب . نحن نقدر ما يسجله الكتاب المقدس من تكريس الشعب اليهودي لرسالته وهي خدمة الله الأوحد، ونوقره كأعلى مصدر للإرشاد الديني والأخلاقي. وإننا نعتبر أن الاكتشافات الحديثة للأبحاث العلمية في عالم الطبيعة والتأريخ لا تعادي مبادئ اليهودية، باعتبار أن الكتاب المقدس يعكس الآراء البدائية لعصره ، ويعبر عن مفهوم العناية الإلهية والعدل إزاء الإنسان بأوصاف إعجازية .

ج . إننا نرى في التشريع الموسوي نظام تدريب للشعب اليهودي على رسالته أثناء حياته الطبيعية في فلسطين. واليوم لا نقبل إلا بالقوانين الأخلاقية فقط كملزم لنا، ولا نحافظ إلا على الطقوس التي تنعش وتقدس حياتنا ، ولكننا نرفض كل ما لا يتمشى مع آراء وعادات المدنية الحديثة .

---

[1] إن المعلومات الواردة حول هذه المؤتمرات كلّها مأخوذة من المرجع نفسه ، المدخل نفسه.

د . لسنا نعتبر أنفسنا أمةً بعد اليوم ، بل جماعة دينية ، ولذا فنحن لا نتوقع العودة إلى فلسطين ولا عبادة التضحية تحت حكم أبناء (هارون) ولا استعادة أي من القوانين الخاصة بالدولة اليهودية .

هـ . لما كانت المسيحية والإسلام ديانتين وليدتين عن اليهودية فإننا نقدر رسالتيهما الإلهيتين لنشر التوحيد والحقيقة الأخلاقية . وإننا نعترف بأن روح الإنسانية العريضة لعصرنا حليفة لنا وتحقق أماني كل من يعمل معنا لإرساء سلطان رسالتنا، ولذا فنحن نمدّ يد الزمالة الحقة المستقيمة لكل الناس.

و . نحن كذلك نؤكد على الاعتقاد اليهودي بأن روح الإنسان خالدة ، ونرى في الاعتقاد بالبعث الجسدي ، والجنة والنار، وهذه أفكار لا جذور لها في اليهودية ، كمكاني إقامة أبدية للجزاء والعقاب[1] .

المطلب الثالث

اليهودية الأرثوذكسية

Orthodox Judaism

أولاً : تعريفها وبداياتها

(1) نقلاً عن تني ، جاك : الأخوة الزائفة ، المرجع السابق ، الفصل الثاني . الفشل في إصلاح اليهودية .

تقول دائرة المعارف البريطانية : " كلمة (أرثوذكس) Orthodox اصلها يوناني من كلمة Orthodoxosبمعنى (الرأي الصحيح) أو (العقيدة الملتزمة) . وكانت تستعمل للاشارة إلى المذهب الحقيقي و أتباعه مقابل المذاهب البدعية او الضلالية و أتباعهم . والكلمة كانت قد استعملت أولاً في مسيحية القرن الرابع من قبل اليونانيين . [1] "

وتقول موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: " مصطلح (ارثوذكس) مصطلح مسيحي يعني (الإعتقاد الصحيح) وقد استخدم لأول مرة في احدى المجلات الألمانية عام 1795، للاشارة إلى اليهود المتمسكين بالشريعة. [2] "

والمدلول اللغوي للكلمة هو " الخط المستقيم أو الرأي الصحيح . أما المعنى الإصطلاحي للكلمة فهو غير ذلك بالطبع ، إنه يعني النواة العقائدية الصلبة والمغلقة على ذاتها لدين ما أو لأيديولوجية ما أو لاتجاه سياسي ما ، والتي ترفض كل ما يقع خارجها باعتبار انه ضلال وهرطقة. ويحتل هذا المصطلح مكانة مركزية في علوم الأديان وفي العلوم الإنسانية بشكل عام: كأن نقول الأرثوذكسية المسيحية ، او اليهودية ، او الإسلامية ... بل ويمكن التحدث عن الأرثوذكسية الماركسية.... الخ . [3] "

ومن الممكن أن نستخدم مصطلح (الدوغمائية) Dogmatisme بنفس المعنى، وهذا المصطلح يترجم إلى اللغة العربية بكلمة (العقائدية) وفي توضيح معناها الدقيق تضاف اليه كلمة (الضيقة او المغلقة)، فيقال (العقائدية الضيقة او المغلقة). فهذا المعنى قريب جداً بل ونفس الشىء لمعنى (الأرثوذكسية) ، [4] لذلك فحين نشير إلى الأرثوذكسية اليهودية ، فإننا نقصد التيار الدوغمائي في الفكر اليهودي .

فقد كانت الأرثوذكسية كما يتضح من خلال التعريف اللغوي لها تتجه نحو تعميق المفاهيم التقليدية المألوفة وتمجيد تصورات الآباء الدينية التي تتسم بالبدائية وقوة التمسك بالشعائر الدينية. وكانت منذ بروزها كتيار ديني متطرف رد فعل رجعي للحركات التنويرية والاصلاحية اليهودية. لذلك كان اول من استعمل كلمة (أرثوذكس) كصفة لطائفة خاصة من اليهود اوائل القرن التاسع عشر هو

" الإصلاحيون ، ناعتين بها الاشخاص الذين كانوا يعارضون في دعوتهم إلى الإصلاح . الا ان اول من قدم الموقف الأرثوذكسي وشرحه ودافع عنه هو الحاخام (سمسون رفائيل هرش) (1808–1888). وهذه الملة تؤمن بالتوراة والتلمود والتراث الشفهي لأربابهم، بوصفها نظاما للدين والدنيا، وقد نشأت وانتشرت هذه الملة في اوساط يهود اوربا الغربيين والشرقيين . [1] "

---

[1] Encyclopedia Britannica ، المرجع السابق ، مادّة. Orthodox :

[2] م5، ج3، ب6، مدخل (اليهودية الأرثوذكسية: تأريخ).

[3] أركون، محمد: من فيصل التفرقة إلى فصل المقال... أين هو الفكر الاسلامي المعاصر، ترجمة وتعليق: هاشم صالح، دار الساقي ، بدون سنة ومكان الطبع، ص 9–10 .

[4] انظر المرجع نفسه، ص10 .

[1] عيسى، أ. د. نديم: دار الحاخامية في إسرائيل، المرجعية الدينية العليا في اسرائيل (الستراتيجية والوسائل)، في كتاب: مستقبل الحركة الصهيونية والمشروع الحضاري العربي، مجموعة باحثين (بحوث ومناقشات الندوات الفكرية السياسية التي نظمها بيت الحكمة في بغداد 12–14 ايلول/ سبتمبر 1999، بيت الحكمة– بغداد 2001، ط1، ص 179.

فى تعريف هذا التيار الدينى تقول موسوعة اليهود واليهودية " : [2] (اليهودية الأرثوذكسية) ويشار اليها باعتبارها (الاصولية اليهودية)حينما تطبق داخل الدولة الصهيونية.. فرقة دينية يهودية حديثة ظهرت فى اوائل القرن التاسع عشر، وجاءت ردَ فعل للتيارات التنويرية و الإصلاحية بين اليهود. وتعتبر الأرثوذكسية الامتداد الحديث لليهودية الحاخامية التلمودية. "

فالأرثوذكسية عودةٌ نحو الخلف ، حيث الأصولية والتحجرّ في المعتقدات . وعودةٌ إلى المعازل الجغرافية (الغيتو) والفكرية. فتصدّت هذه الحركة الدينية لكلّ المشاريع الإصلاحية والحداثية الّتى أتت بها الإستنارة اليهودية وحركة الإصلاح. و مرة أخرى أعادت هذه الحركة اليهودَ إلى المفاهيم المألوفة مثل (الشعب المقدس) و(الأرض المقدسة) و (وعودة الماشيّح) و ... الخ وإلى المدرسة الحرفية والتقديسية للنصوص الدينية اليهودية .

فقد كانت دينَ أولئك اليهود الّذين يلتزمون بصرامة بالإعتقادات والممارسات التقليدية. فاليهودي الأرثوذكسي يرفض بشكلٍ حازم أن يقبل موقفَ اليهودية الإصلاحية حيال التوراة والكتب المقدسة الأخرى حيث كانت ترى أنّ هذه الكتب المقدسة لا تحتوي فقط على المبادئ الأخلاقية الصحيحة، بل تخضع للنواحي التأريخية والثقافية أثناء دراستها وتتكيّف مع هذه النواحي أيضاً ، أو يجب أن تتحكم الحقائق التأريخية والمفاهيم الثقافية الجديدة في تحديد مدلولاتها الفكرية والروحية . وأنّ تفسيرات النصوص الدينية تُنبذ بشكلٍ شرعي إذا لم تستطع أن تتأقلم مع الأزمنة الحديثة. بل بخلاف ذلك، فإنّ اليهودية الأرثوذكسية نشأت لتُثبت مركزية القانون المكتوب والقانون الشفهي معاً، وتُعلن أيضاً أنّهما يبقيان المعيارين الموحّدين للحياة اليهودية في كلّ العصور .. [3]

في الحقيقة إن الأدب الأرثوذكسي اليهودي كان وارث اليهودية الحاخامية التقليدية التّي تمسكت بقوة في تأريخ الجماعات اليهودية بالشعائر الدينية التقليدية والنصوص اليهودية عموماً. وكانت اليهودية الحاخامية التلمودية الصيغة الدينية والفكرية التّي سادت بين الجماعات اليهودية الأساسية في الغرب منذ العصور الوسطى أو منذ أن شرع بكتابة التلمود حتى نهايات القرن الثامن عشر.

إن اليهودية الأرثوذكسية تعتبر من أهم التيارات الدينية داخل اليهودية، ولها منذ نشأتها تأثير واضح على العقل اليهودي . وإن كانت الحركات الإصلاحية عند اليهود خروجاً عن المألوف والتقاليد المتوارثة من السلف ، فإن الأرثوذكسية هي التيار الطبيعي التقليدي الّذي يتواءم مع تطلّعات وعادات الجماعات اليهودية. وفي الحقيقة إنّ الأدب الأرثوذكسي هو التمثيل الأفضل والأوضح لطريقة التفكير اليهودي منذ أن دوّنت النصوصُ اليهوديةُ وانتشرت شرائعها وتعاليمُها، وهو يعدّ من إفرازات العقلية اليهودية الأصيلة . أمّا التيارات والحركات الّتي نادت بدمج اليهود في المجتمعات الإنسانية المختلفة، ونادت بالتخلّي عن فكرة الشعب المقدس الّتي هي صلبُ الديانة اليهودية، فإنّها لا تمثّل حقيقة هذه الديانة، بل هي خروج عن التعاليم الأساسية الغالبة في النصوص والأدبيات اليهودية.

---

[2]مدخل (اليهودية الارثوذكسية: تأريخ) ، المرجع السابق .

[3]للتفصيل أنظر ، Encyclopedia Britannica مادّة. Orthodox Judaism :

إنّ قائد هذه الحركة هو " (سمسون هيرش) ...(Samson Hirsch (1808 – 1888 وهو حاخام ألماني ... تلّقى تعليماً دينياً كاملاً ودرس التلمود مع والده ، وكان من أوائل الثائرين ضدّ اليهودية الإصلاحية. أصبح عام 1851 حاخام الجماعة الأرثوذكسية في فرانكفورت الّتي عزلت نفسها عن الجماعة الإصلاحية، لأنّه كان يرى أنّها ستؤدي إلى انحلال اليهودية، وإلى إفراغها من محتواها، وطرح بدلاً من ذلك شعار (التوراة والمعرفة العلمانية) ... وقد طالب هيرش اليهود الأرثوذكس بأن ينظموا أنفسهم في جماعة مستقلة ومنفصلة، وأن يرفضوا التحالف مع الجماعات اليهودية الأخرى ، أو الإختلاط بها، إذا هي رفضت مثلهم وعقائدهم . وقد ضمّن هيرش كتابه تسعة عشر خطاباً عن اليهودية معظم أفكاره . والكتاب دفاع عن اليهودية ضدّ الهجمات الّتي يوجهها ضدّها دعاة الإصلاح والتحديث. [1] "

واليهود الأرثوذكس يختلفون فيما بينهم في بعض الأمور الّتي تتعلّق بالثقافة الحديثة وموضوع التجديد في الفكر الديني. وهذا الإختلاف كان قد وقع " بين اليهود الأرثوذكس في شرق أوروبا، والأرثوذكس في ألمانيا وغرب أوروبا. [2] "

موضوع الإختلاف بين الأرثوذكس الشرقيين والآخرين الغربيين في أوروبا يعكس باعتقادي اختلاف نوعية الحياة والنمط الفكري بين يهود هذين المكانين .

فقد " وجد اليهود في أوروبا الشرقية خلال تلك الحقبة الّتي كانوا قد طردوا فيها من معظم بلدان أوروبا الغربية، حلاً آنياً لمشكلتهم، جعل بمقدورهم أن يحتلّوا نفس المواقع الإقتصادية – الإجتماعية الّتي كانوا يحتلونها في أوطانهم القديمة، وأن يستمروا في أداء نفس الوظيفة الإقتصادية الّتي كانوا يمارسونها في غربي القارة... ففيما كانت أوروبا الغربية تندفع مسرعةً نحو مراحل متقدمة من النظام الرأسمالي، كانت أوروبا الشرقية ما تزال تتنفس برئة إقطاعية ، وكانت علاقات الإنتاج تستند إلى النظام التبادلي الّذي يجري على أساس المقايضة . وهكذا .. حين بدأت جموع اليهود تتّجه نحو روسيا وبولونيا ، كانت كمن عاد إلى بيت قديم. [1] "

واستطاع اليهود الوافدون أن يحتلوا مراكز إقتصادية كبيرة في بلدان شرق أوربا. فقد كانوا في تلك البلدان " يتمتعون بامتيازات لم يكن يحلم بمثلها الملايين من جماهير أوربا الشرقية حيث أدت المكانة الّتي كانوا يحتلّونها في عالم المال والإقتصاد إلى ان يشكّلوا دولةً ضمن دولة. [2] "

ففي مثل هذا المناخ المادّي لا يستطيع اليهودي – الّذي يهتم بالمصالح الإقتصادية أكثر من إهتمامه بأمور أخرى – أن ينشغل بقضية مراجعة الأفكار الدينية السائدة، بل هو يتركها كما هي. فضلاً عن أن المفاهيم التقليدية تخدمه أكثر بكثير من الناحية الإقتصادية ... إضافة إلى كل ذلك فإن يهود

---

[1] موسوعة اليهود واليهودية ، م5، ج3، ب6، مدخل (سمسون هيرش " 1808 – 1888 ").

[2] المرجع نفسه، مدخل (اليهودية الأرثوذكسية: تأريخ).

[1] بديعة أمين: الصهيونية ليست حركة قومية، المرجع السابق، ص ص 74 – 75.

[2] المرجع نفسه، ص77.

أوربا الشرقية كانوا تحت تأثير عميق من الأدبيات القبالية والحسيدية. أمّا اليهود الغربيون (خاصة الألمان) فقد كانوا تآلفوا مع النظم الرأسمالية الغربية، والحياة التقدمية. فضلاً عن تأثرهم بمُثُل و رموز الإصلاح المسيحي واليهودي التي بدأت تنتشر من ألمانيا إلى الدول المجاورة لها. وقد كان للتيار الإصلاحي تأثير عميق في التفكير اليهودي في ألمانيا. لذلك أرجع إلى أصل الموضوع وهو سبب اختلاف الأرثوذكس الشرقيين و الغربيين من اوربا ، وأقول : إن اختلافهم كان بسبب اختلاف البيئة الإقتصادية والسياسية والفكرية.

وهذا الإختلاف أدّى إلى تبلور مجموعة خاصة من الأرثوذكس أطلقت عليها (الأرثوذكسية الجديدة) orthodoxy . . Neoوهي فرقة معتدلة وكانت نظرتها للثقافة الجديدة أكثر إيجابية، وكانت " تقبل مقولات اليهودية الأرثوذكسية الدينية والأخلاقية، ولكنّها تأخذ موقفاً وسطاً في بعض المسائل التفصيلية مثل ارتداء الأزياء الحديثة وحلاقة الذقن وقص السوالف . [3] " وقد أقرت استعمال اللهجات الأوروبية في الخطب والدعوات الدينية. [4]

هذه هي بداية الحركة الأرثوذكسية الدينية. وحين بدأت هجرات اليهود من شرق أوربا إلى الولايات المتحدة الأمريكية تتصاعد، فقد أثرت تلك الهجرات في نفوس اليهود الأرثوذكس للهجرة إلى العالم الجديد (أمريكا) ، وبدأوا بالهجرة . وكان المهاجرون الأرثوذكس من يهود اليديشية " [1] الّذين كانوا لا يتحدّثون إلاّ اليديشية ، والّذين لم يكونوا قد تعرّفوا إلى أفكار حركة التنوير والإستنارة. وحينما حضر هؤلاء إلى أمريكا، وجدوا أن اليهودية السائدة فيها هي اليهودية الإصلاحية نتاج حركة الإستنارة، والّتي يسيطر عليها العنصر الألماني المندمج الثري الّذي كان يكن الإحتقار ليهود اليديشية. فأسّس الأرثوذكس (إتحاد

---

[3]موسوعة اليهود واليهودية ، م5، ج3، ب6، مدخل (الأرثوذكسية الجديدة).

[4]أنظر ، Encyclopedia Britannica مادّة. Orthodox Judaism :

[1]**يهود اليديشية** : هم (يهود شرق أوربا) . يقصد بهم عادةً الجماعات اليهودية الموجودة في شرق ألمانيا ، (في بولندا وروسيا) . أي هم يهود رومانيا وتشيكوسلوفاكيا و جاليشيا و ليتوانيا و هنغاريا و بلغاريا و بولندا و روسيا حالياً .

ويهود اليديشية يشكلون أغلبية يهود العالم ، وتعود أصولهم إلى القرن الثاني عشر .. حين بدأت تهاجر جماعات من اليهود الألمان ، مع التجار الألمان ، واستوطنت بولندا بدعوة من حكامها لتشجيع حركة التجارة وحملت معها لغتها وثقافتها الألمانية . وقد دخلت على لغتهم الألمانية بعض الكلمات .. العبرية ، ثم كتبوها بالحروف العبرية حتى أصبح يُشار إليها باللغة اليديشية ، وهي في واقع الأمر لهجة ألمانية وحسب. وأصبحت هذه اللهجة ، التي يُقال لها لغة ، سمتهم الثقافية الأساسية التي حملوها معهم أينما ذهبوا ومن هنا كانت التسمية . / موسوعة اليهود واليهودية ، م4 ، ج 3 ، ب8 ، مدخل (يهود اليديشية أو يهود شرق أوربا).

الأبرشيات) في أمريكا عام 1898 ، [2] وأهم مؤسساتها العلمية جامعة يشيفاه. وقد كانت تتبع الحركة الأرثوذكسية شبكةً كبيرةً من المدارس، إذ أن اليهودية الأرثوذكسية تولي اهتماماً خاصاً لتعليم يفوق اهتمام الفرق الأخرى. [3] "

إن الباحث حين يدرس الملّة الأرثوذكسية اليهودية يرى أنّها في جوهرها دعوةٌ قوية للعودة إلى التقاليد الدينية والتمسك بالشعائر الإجتماعية والأخلاقية الموجودة في النصوص التّوراتية. وأنّها حركة نشأت أساساً رداً على ما نشرته الإستنارة والحركة الإصلاحية اليهودية من انفتاح ثقافي وأخلاقي في صفوف الجماعات اليهودية. إلاّ أنّ أتباع هذه الحركة الرجعية سرعان ما وقعوا – على غرار الإصلاحيين – في الإنحلالات الإجتماعية والأخلاقية ، وبذلك فقد فقدوا أبرز سمات دعوتهم الأرثوذكسية الّتي تؤكّد على التمسك بالجانب الإجتماعي والأخلاقي.

تقول موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " : [4] رغم التماسك العقائدي والعائلي للأرثوذكس ، ورغم عزلة أعداد كبيرة منهم داخل جيتواتهم الاختيارية، فإنهم يواجهون كثيراً من المشاكل التي يواجهها أعضاء المجتمع الاستهلاكي من انصراف عن القيم الأخلاقية وانتشار ما يُسمَّى الجنس العرضي أو السريع، أي الذي لا يستند إلى حب، ولا ينبع من علاقة دائمة ولا يتبدَّى في شكل علاقة إنسانية تتسم بشيء من الاستمرار والثبات ، فضلاً عن تعاطي المخدرات وزيادة نسبة الأطفال غير الشرعيين. "

والأرثوذكس اليوم وإن كانوا من الناحية العددية قليلين جداً . حيثُ يُلاحظ أن عددهم في الولايات المتحدة ضئيل للغاية، إذ لا يزيد على 9% من يهود امريكا (مقابل 65% إصلاحيون ومحافظون وتجديديون، و26% لا علاقة لهم بأية فرقة يهودية) حسب ماجاء في الكتاب اليهودي الأمريكي السنوي لعام 1992 . إلاّ أن هيمنتهم الدينية والحاخامية كبيرة جداً داخل إسرائيل . وهذه الضآلة في العدد ترجع إلى أن الأرثوذكس لايؤمنون بالتبشير بين الأغيار . ولكن مع ذلك فإن عددهم لايتناقص ، على عكس اليهود الإصلاحيين والتجديديين . وذلك بسبب خصوبتهم المرتفعة ، وبسبب انخفاض معدلات الزواج المختلط بينهم ، وإقبالهم على الزواج في سن مبكرة [1] .

---

[2] **إسمه:إتحاد الأبرشيات اليهودية الأرثوذكسية في أمريكا** Union of Orthodox Jewish Congregations of America **هيئة تضم** كل المعابد اليهودية الأرثوذكسية، تم تأسيسها عام 1898. وينشر الاتحاد عدة مجلات ونشرات، ويتبعه قسم خاص لإصدار شهادات الكاشروت، أي الطعام المباح شرعياً، وهي شهادات للمطاعم ومحلات الطعام المختلفة التي تتبع الشريعة . موسوعة اليهود واليهودية ، م5 ، ج 3 ، ب6 ، مدخل (اتحاد الأبرشيات اليهودية الأرثوذكسية في أمريكا).

[3] المرجع نفسه، مدخل (اليهودية الأرثوذكسية: تأريخ).

[4] المرجع نفسه، المدخل نفسه ، بتصرف .

[1] أنظر المرجع نفسه، المدخل نفسه.

ثانياً : أهم أفكار اليهودية الأرثوذكسية

إن اليهود الأرثوذكس مثل الآخرين من الإصلاحيين أو المحافظين لديهم أفكار واعتقادات دينية . إلا أنّهم على عكس الآخرين لم يأتوا بأفكار جديدة تتّسم بالنزعة التطويرية والتغييرية. بل هم دعوا اليهود إلى العودة للتراث التقليدي والحفاظ على الموروث الديني التوراتي، وأنكروا على اليهود انتهاجهم الثقافة الإصلاحية الّتي دعت اليهود إلى نبذ التقاليد وإلى الإنصهار في المجتمعات الغربية وتجريد القداسة عن المعتقدات الدينية وعن مفهوم الشعب المقدّس. فإن اليهودية الأرثوذكسية جاءت أساساً للردّ على الإصلاحي التجديدي، لذلك نراها تتصدّى بضراوة لأيّ مشروع يدعم تجديد المعتقدات التقليدية أوتجريد قداسة المفاهيم اليهودية الأساسية .

ومن أجل توضيح المعتقدات والأفكار الأرثوذكسية نكتب عنها بالنقاط على النحو التالي : .

1. في اليهودية الأرثوذكسية يعتبر كل من القانون المكتوب (التوراة بكلّ أسفارها) والقانون الشفهي (التلمود وتفسيراته) معياراً ثابتاً وحيداً للشؤون الحياتية والمراعاة الدينية . وتدعو اليهودية الأرثوذكسية إلى دراسة التوراة دراسةً منتظمةً ومركّزةً .

ويرفض الأرثوذكس بشكلٍ حازم أن يقبلوا موقف الإصلاحيين حيال التوراة والكتب المقدسة الأخرى ، من أنّها تتحكم الحقائق التأريخية و المفاهيم الثقافية الجديدة في تحديد دلالاتها، أو يجب أن تأخذ فقط النصوص الّتي تتلائم مع الحياة التقدمية والتطورات البشرية .[2] بل طالب الأرثوذكس بتقديس كلّ النصوص اليهودية واعتبارها ملزمةً ورسالة اليهود الحياتية، وأنّها تمكن للتطبيق في كلّ العصور، لأن قيمتها أزلية وخالدة .

تقول موسوعة اليهود واليهودية:[1]

" ينطلق هيرش والأرثوذكس من نقطة ثبات ميتافيزيقية تقع خارج نطاق الطبيعة، وهي أن الإله أوحى إلى موسى التوراة فوق جبل سيناء، وتمثل هذه النقطة بالنسبة اليهم حقيقة لا يمكن مناقشتها أو الجدال فيها، وهي مسألة ثابتة ذات معنى عميق وثابت يلغي أي معنى آخر يختلف عنها، فهي ركيزة النسق الأساسية ومرجعيته المتجاوزة."

وإذا كانت التوراة مرسلة من الإله، فهي – بكلّ ماجاء فيها – ملزمة، ولذا فالأرثوذكس يرون ضرورة أن يلتزم اليهودي بتنفيذ كل الشعائر التوراتية وإطاعة الوصايا الموجودة فيها وترك النواهي المبيّنة فيها. ولهم نفسُ القناعة حول التلمود (القانون الشفهي)، حيث يعتقدون أنّه الشريعة اليهودية الخالدة الّتي مصدرها هوالله، وأنّ قوانين الهلاخا الموجودة فيه تصلح للدين والدنيا.

---

[2]أنظر ، Encyclopedia Britannica مادّة. Orthodox Judaism :

[1]م5، ج3، ب6، مدخل (اليهودية الأرثوذكسية: الفكر الديني).

فهذان المصدران (التوراة والتلمود) يكوّنان معاً أسُسَ الدين اليهودي، ويحتويان على قوانين تصلح للحياة البشرية جميعاً مع الأخذ بنظرية الشعب المقدّس، فالإنسانيةحسب اعتقاد الأرثوذكس تستطيع أن تستفيد من النصوص اليهودية لتتفهم عظمة وقدسية الشعب اليهودي، وبذلك تخضع بسهولة لتنفيذ واجبها الأسمى، ألا وهو خدمة هذا الشعب المقدّس. هذا هو حلقة الوصل بين الشعب اليهودي الّذي يمثّل الإرادة الإلهية العظمى في الأرض ، والإنسانية ، أو الأغيار (الجوييم) كما اصطلح عليها التلمود. !

"وهناك في صفوف الأرثوذكس من يعطي دوراً للعنصر الذاتي في التجربة الدينية. [2] "

ولكن الأرثوذكسية حركة دينية توراتية ترى أن التوراة منزّلة من الإله ولذا فهي وحدها مصدر الشريعة، لذلك لم يستطع العنصر الذاتي والفردي أن يقوم بدوره في التجارب الدينية كما رأيناه في الفكر الحسيدي، حيث كان الفرد في هذا التراث الصوفي خاصة من كان باستطاعته أن يصل إلى مرتبة التساديك – يتفوّق إلى درجة كبيرة من التجربة الدينية تمكّنه من ممارسة سلطته اللامحدودة بحيث يكون باستطاعته في حالة صيرورته صديقاً (تساديك) التحَكّمُ في القرارات الإلهية والإلتصاقُ بالذات الإلهية، وهذه أعلى مراتب السمّو الروحي في الفكر الحسيدي .

فالتوراة في الأدب الأرثوذكسي – على الرغم من تأثر هذا الأدب بالتفسيرات القبالية – ترجع اليها الكلمةُ الأخيرة، وهي المرجعية العليا، ولولاها لما تحقّق وجود جماعة يسرائيل، وعلى الشعب اليهودي اتّباع هذا الكتاب المقدّس إلى أن يأتي وحي جديد. وبسبب تمجيد الأرثوذكس القوي للتوراة لم يستطيعوا أن يهضموا مفاهيم الثقافة الإنسانيةالجديدة، لذلك نادوا بعدم التغيير أو التبديل أو التطوير، لأن عقل الإنسان ضعيف لا يمكنه أن يعلو على ما أرسله الإله، ولأن التطور سيُنهي حتماً مهمّة اليهود كشعب مقدّس .

والأرثوذكس مع اتّفاقهم جميعاً على مرجعية التوراة إلاّ أنّهم " يختلفون حول تحديد أيّ أجزاء من التوراة هي الّتي أوحى بها الإلهُ مباشرةً. وثمة إجماع على أن أسفار موسى الخمسة مرسلة من الإله، وبعضهم يوسع نطاق القداسة لتشمل كتباً أخرى من العهد القديم، وهناك من يوسع نطاق القداسة ليشمل كلَّ كتب الشريعة الشفوية. [1] "

وحول تفسير النصوص التوراتية والتعامل مع المفاهيم والقصص التأريخية إنقسم الأرثوذكس إلى قسمين : قسم يميل نحو تفسير التوراة تفسيراً حرفياً، ومن هذا القسم نرى أن هناك من يؤمن بأن التأريخ الّذي ورد في النصوص التوراتية تأريخ حقيقي بالمفهوم المادّي. وقسم آخر يرى أن ما ورد في التوراة ليس حقائق تأريخية، وإنّما فلسفة تأريخ .[2] وأعضاء هذا القسم هم من الأرثوذكس الجُدد الّذين كانوا متأثرين بالمناخ الفكري لألمانيا حيث شهدت الإصلاحين المسيحي واليهودي، لذلك نراهم أنّهم كان لديهم نظرة أكثر إيجابية وانفتاحية حول الثقافة الجديدة والتطورات البشرية الّتي بدأت تنتشر في القرن التاسع عشر في الدول الغربية..

---

[2] المرجع نفسه، المدخل نفسه .

[1] المرجع نفسه، المدخل نفسه.

[2] للتفصيل أنظر المرجع نفسه، المدخل نفسه.

2. آمن اليهود الأرثوذكس إيماناً مطلقاً بكلّ المقولات اليهودية التقليدية والمفاهيم الخرافية القديمة بكلّ سذاجتها ومجافاتها لحقائق التأريخ والواقع.
ويعتقدون اعتقاداً حرفياً بصحّة الأساطير مثل الإيمان بالعودة الشخصية للماشيح، وبالعودة إلى فلسطين، وبأن اليهود هم الشعب المقدّس المختار الّذي يجب أن يعيش منعزلاً عن الناس لتحقيق رسالته. [3]

فقد حاول الأرثوذكس ترسيخ هذه المفاهيم في الفكر الديني، وبذلك فإنهم رجّحوا المكوّن العرقي والقومي في العقيدة اليهودية. بينما حاول الإصلاحيون فصلَ هذا المكوّن عن العقيدة اليهودية، ورسّخوا المكوّن الديني فقط لليهودية، لذلك فقد دعوا اليهود للإندماج في المجتمعات الّتي يعيشون فيها، وفسّروا (النفي) بأنّه فرصة لليهودي لنشر رسالته الدينية في المنفى وبين المجتمعات الإنسانية. وفسّروا كل الأفكار والمفاهيم المألوفة الأخرى مثل (الشعب المقدس، والعودة، والعصر المشيحاني والخلاص (أي خلاص الشعب اليهودي من حالة الشتات والنفي)…. الخ) تفسيراً دينياً.

وبذلك فأنهم قصدوا إلى تعميق ولاء اليهودي للوطن الّذي يعيش فيه ودمجه في محيطه الثقافي والحضاري. وتأكيد الأرثوذكس على الجانب القومي من خلال ترسيخ المفاهيم القومية – خاصة مفهوم الشعب المقدّس – أدّى إلى حدوث حالات كانت النتيجة الطبيعية لتلك النظرة القومية الدينية، من أهمّها على سبيل المثال لا الحصر: .

أ . تبلور قناعة لدى الأرثوذكس بعدم ضرورة التبشير بين الأغيار ، وفعلاً كانوا لا يؤمنون بالتبشير. تقول موسوعة اليهود واليهودية " : [1] إن الأرثوذكس يعارضون أية أنشطة تبشيرية، فالإختيار هو نتيجة للحلول الإلهي، ومن ثم فهو أمر يتوارث، ومن هنا تتمسك اليهودية الأرثوذكسية بالتعريف الحاخامي لليهودي باعتبار أنّه مَنْ ولد لأمّ يهودية أو تهوّد حسب الشريعة أى على يد حاخام أرثوذكسي . "

في الحقيقة هذه السياسة الدينية الّتي تمخضت عن النظرة القومية للمفاهيم اليهودية كانت قد جعلت الديانة اليهودية تبدو كأنها ديانة جماعةٍ عرقية خاصة تتوارث بينها القناعات الدينية، واعتناق اليهودية ضمن إطار هذه الجماعة ينحصر فقط في أمر وراثي أي أن اعتناق اليهودية ينقل من الأمهات إلى الأولاد، فبمجرد أن يولد شخص من أم يهودية يكون يهودياً بالضرورة.

وليس هناك اعتراف بالإعتناق الفكري الإختياري ، لأن اليهودية ديانة من يتوارث القداسة من عائلته ، أي أن اليهودية = الشعب المقدّس ، والشعب المقدّس = اليهودية .
وبذلك تكون اليهودية على عكس أية ديانة من الديانات في الدنيا ، حيث هي بدلاً من نشر رسالتها بين بنى البشر تحاول أن تفرض نفسها على البشرية جميعاً.

---

[3] أنظر بدوي، جمال: الأصولية اليهودية ترفض الدولة العبرية لأنها تجسيد للشيطان، صحيفة (الشرق) القطرية 31/1/2005 .
[1] مدخل (اليهودية الأرثوذكسية : الفكر الديني) ، المرجع السابق .

فهي من خلال مفهوم الشعب المقدس تحاول فرض سيطرتها العرقية والدينية والسياسية، لذلك فإنها لا يمكنها التعايش مع الأفكار والمذاهب والديانات التي تتعارض معها، لأنها ترى نفسها المرجعية الأولى والأخيرة على كوكب الأرض بينما نرى الديانات الأخرى (مثل الإسلام أوالمسيحية) تحاول نشر رسالاتها الدينية ولا تنكر وجود الآخرين .

إن اليهودية . حسب هذه القناعات الأرثوذكسية . أشبه بالأقليات المسيطرة على الحكم في الدول الأوتوقراطية ، فإنها تحاول وتتطلع إلى السيطرة على الأغلبية البشرية، واستلام مقاليد الأمور، وإخضاع العائلة الإنسانية بمختلف اتجاهاتها الدينية والسياسية والفكرية والعرقية والقومية لخدمة مفاهيمها ومشاريعها وتمجيد قداستها الربانية ! هذه هي النتيجة الواقعية لمفهوم (الشعب المقدس) ، وكل التيارات اليهودية الأصولية . مثل الحركة الحسيدية والأرثوذكسية واليهودية التلمودية وحتى المحافظة . تقصد من مقولة الشعب المقدس أن تكون خلفية دينية لتحقيق ما ذكرناه من السلطة والهيمنة على بني البشر. وهذا يفسر لنا معارضة الحركات اليهودية الأصولية لدعوة الإصلاحيين وحركات الإندماج للتخلى كلياً عن مفهوم (الشعب المقدس).

وعدم التبشير بين الأغيار ليس النتيجة النهائية الطبيعية لانتهاج النظرة القومية للديانة اليهودية من قِبل اليهود الأرثوذكس ، بل يؤدي هذا الإمتناع عن التبشير إلى تعميق الكراهية للأغيار (غير اليهود) . وهذا ليس شيئاً ابتدعه الأرثوذكس بل هم جدّدوه وعمّقوه (بعد أن حاول الإصلاحيون و المنورون أن يخففوا من شأنه ويستأصلوه من أساسه من الفكر الديني اليهودي التقليدي).

و أساس المشكلة بدأ منذ كتابة التلمود. هذا الكتاب الذي يشمل على كثير من الأفكار الهمجية التي تحرض العنف وتجعل اليهودي يكره الآخرين من (الجوييم) أي غير اليهود .

يقول : " المخلوقات نوعان ، علوي وسفلي العالم يسكنه سبعون شعباً بسبعين لغة ، إسرائيل صفوة المخلوقات واختاره الله لكي تكون له السيادة العليا على بني البشر جميعا، سيادة الإنسان على الحيوان المدجن ، [1] " أو " إن غير اليهود كلاب عند اليهود بحسب تعليم التلمود المستند إلى الآية السادسة عشرة من الفصل 12 من سفر الخروج وقد جاء فيه أن الأعياد المقدسة وضعت لإسرائيل وليس للأغراب والكلاب. [2] "

ب . إحدى النتائج الأخرى التي ظهرت نتيجة تأكيد الأرثوذكس على الجانب القومي للديانة اليهودية من خلال ترسيخ مفهوم الشعب المقدس هي : عدم اندماج اليهودي في المجتمع او المحيط الذي يعيش فيه. حيث انكر الأرثوذكسي فكرة الإندماج كلياً مقابل إنكار الإصلاحي فكرة الشعب المقدس كلياً. هذه الطبيعة الإنعزالية التي عمقتها اليهودية الأرثوذكسية قديمة قدم الديانة اليهودية ، حيث كانت الجماعات اليهودية في كل العصور وفي كل الأماكن منعزلةً عن محيطها كلياً ، وذلك جاء نتيجة النظرة القومية الجافة للديانة اليهودية.

---

[1] نقلاً عن نويهض ، بروتوكولات حكماء صهيون، المرجع السابق ، ج2، ص171.

[2] نقلاً عن المرجع نفسه، ج2 ، ص 191 .

وقد " طالبت الثورة الفرنسية اليهود بأن يتخلوا عن هويتهم شبه القومية الإقطاعية وان يكتسبوا هوية عصرية و كما قال أحد زعماء الثورة الفرنسية في كانون الأول (ديسمبر)1789 : (انا نرفض أن نمنح اليهود كأمة أي شيء أما اليهود كأفراد فإننا نمنحهم كل شئ) وقد استجاب اليهود لهذا النداء . [3] " فقد برزت فيما بينهم حركات الإندماج والحركة الإصلاحية الدينية تدعو إلى الإنصهار في المجتمعات الإنسانية. بيد أن هذا التيار الديني . وإن كان قد نجح في التأثير على الجاليات اليهودية . لم ير نوره خاصة بعد بروز الحركة الصهيونية التي أكلت جهود كل الحركات الإصلاحية والإندماجية (وهذا سوف نتناوله بالتفصيل في موضعه الخاص).

3. يحاول الأرثوذكس الإنفصال عن بقية الفرق اليهودية الأخرى ، وهم يعتقدون أنهم بذلك يحافظون على جوهر اليهودية الحقيقي دون أن تشوبه شوائب. وفي الحقيقة هم يشكلون التمثيل الحقيقي للنصوص التوراتية والتلمودية، حيث جوهر هذه النصوص تؤكّد على ما انتهجه الأرثوذكس من تصورات وأفكار . والتيارات الإصلاحية والإندماجية إنما هي خروج عن المسار الديني المألوف، وإن كانت قد حملت الحلّ الواقعي لما يسمّى بـ (المشكلة اليهودية) من خلال دعوتها للإندماج والتخلّي عن فكرة قداسة الشعب اليهودي، أو نقول من خلال تفسيرها الديني لليهودية، بدلاً من التفسير القومي والعرقي.

و انفصال الأرثوذكس من الفرق اليهودية الأخرى ليس منهج كل الأرثوذكس، بل يتفاوت هذا الموقف، فهناك من يبغض غير الأرثوذكس ولكن مع ذلك هناك من يطالب بحبهم والدفاع عنهم.. [1]

4. كان سمسون هيرش (1808 – 1888) مؤسس الحركة الأرثوذكسية " يرى أنّ اليهود شعب، ولكن قوميتهم مختلفة عن القوميات الأخرى، فقوميتهم دينية، وعليهم انتظار الماشيح الّذي سيحولهم إلى شعب كامل، وفي انتظار مقدم الماشيح ،عليهم إقامة كل الشعائر الدينية المنصوص عليها في التوراة، وذلك حتى يعجلوا بخلاص انفسهم وخلاص العالم وتوحد الذات الإلهية حسب ماجاء في كتب القبالاه. [2] "

إذن فإن الخلاص حسب اعتقاد الأرثوذكس- كما يتضح من أقوال هيرش – لا يتم الا بعودة المسيح المنتظر شخصياً وحتى تلك العودة على الشعب اليهودي أن يطبق كل الشعائر الدينية وأن يعيش معزولاً وذلك كمقدمة لتعجيل قدوم المسيح وبالتالي التعجيل بالخلاص على يده وتحقيق رسالة اليهود الدينية والقومية.

5. مفهوم الإصلاح لدى هيرش يختلف عن ما يوجد عند الإصلاحيين. فإنّه يقترح إصلاح اليهود وليس اليهودية ، وذلك لأن اليهودي متأثر بحياة الرفاهية ويتجاهل واجبه نحو دينه لذلك

---

[3] شراب، مجاهد على : الحركة الصهيونية حركة عنصرية، في (الصهيونية والعنصرية) ، المرجع السابق ، ص 207-208.

[1] أنظر موسوعة اليهود واليهودية، مدخل (اليهودية الأرثوذكسية: الفكرالديني) ، المرجع السابق .

[2] المرجع نفسه، مدخل (سمسون هيرش " 1808 – 1888 ").

يجب إصلاح اليهودي حتى يصل إلى مرتبة اليهودية وليس إصلاح اليهودية الّذي عمل على تحقيق راحة اليهودي. تقول موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية : " حسب تصور هيرش، فإن اليهود هم الشعب الوحيد الّذي يدلّ أسلوب حياته نفسه على أنه خلق ليخدم الإله، وأنه لا يجد سعادته إلاّ في تحقيق ذلك الهدف. ومن هنا، فإنّه يرى أن مشكلة الإصلاح الديني اليهودي تتمثل في أن دعاته يقللون من واجبات اليهودية وأعبائها من أجل راحة اليهودي، بدلاً من رفع اليهودي إلى مرتبة اليهودية، فالمطلوب إصلاح اليهود وليس اليهودية . [3] "

حسب هذا التصوّر فإنّ اليهودية لا تحتاج إلى الإصلاح فهي هي كما كانت،و واجبها هو خدمة الإله لأنها هي دين الإله الوحيد، ولكنّ اليهودي هو الّذي تخلّف عن هذا الواجب بسبب تأثّره بالحياة الجديدة والمفاهيم العلمانية الغربية. وبذلك فإن هيرش قد أهمل الواقع المعاصر ونفى علاقة الديانة به. فاليهودية هي ديانة الله الوحيدة لشعبه الوحيد، وعلى اليهودي أن يصل إلى مرتبة اليهودية ويحافظ على طبيعتها الأزلية، وليس العكس، أي إخضاع اليهودية لتتكيّف مع الواقع وحياة المؤمن اليهودي المتغيرة، كما طالب بذلك الإصلاحيون.

6. يتميّز الأرثوذكس بتمسّكهم الشديد بالشعائر الدينية والحفاظ على التراث الديني والفقهي. ويحرصون كذلك على الإلتزام الكامل بالشرائع العقائدية. تقول موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: " اليهودية الأرثوذكسية تؤمن بأن الأوامر والنواهي ملزمة لليهودي الّذي يجب أن يعيد صياغة حياته بحيث تجسّد هذه الأوامر و النواهي ، وهي في إيمانها هذا لا تقبل أيّ تمييز بين الشرائع الخاصة بالعقائد و تلك الخاصة بالشعائر. ومن هنا إلتزامها الكامل في التمسك بالشعائر، فبعض الأرثوذكس يطالبون بعدم تغيير الطريقة الّتي يرتدي بها اليهود ملابسهم أو يقصون شعرهم، ولا تزال النساء في بعض الفرق الأرثوذكسية يحلقن شعورهن تماماً عند الزواج ويلبسن شعراً مستعاراً بدلاً منه. [1] "

كثير من الأرثوذكس . خاصة المغالين منهم في التدين . طالبوا بإقامة الشعائر كافة.

وأهم الشعائر الّتي تمسك بها الأرثوذكس هي : .

أ . شعيرة السبت . حيث يراعي الأرثوذكس قدسية يوم السبت بقوة وكافة الطقوس والمهرجانات الدينية فيه .

ب . الإلتزام بالقوانين الغذائية أو الطعام الشرعي (الكاشروت) Kashruth ومن أجل المحافظة على هذه الشعيرة أنشئ قسم خاص في (اتحاد الأبرشيات اليهودية الأرثوذكسية في أمريكا) Union of Orthodox Jewish Congregations of America . التي تأسست عام 1898 م . لإصدار شهادات القوانين الغذائية Kashruth الّتي هي الموافقة على الطعام الّذي يعدّ مباحاً

---

[3] المرجع نفسه، المدخل نفسه .

[1] المرجع نفسه، مدخل (اليهودية الأرثوذكسية: الفكر الديني).

شرعياً، وعلامة موافقة الإتحاد كانت تطبع على الشهادات الّتي تُمنح للمطاعم الّتي كانت تتمسك بالشريعة اليهودية الأرثوذكسية .

جـ . عدم السماح باختلاط الجنسين أثناء أداء الصلاة .

د . إستخدام اللغة العبرية في الصلوات .

هـ . عدم السماح بالموسيقى أثناء الخدمات العمومية. [2]

ومع كلّ ذلك فإن الطقوس الدينية من زواج وطلاق وتهويد... الخ . حسب اعتقاد الأرثوذكس . يجب أن يقوم بها خريجو المدارس الدينية . وهذا يعدّ بذاته شعيرةً أخرى ..

7. يتفق كل من الأرثوذكس والصهاينة حول اعتبار اليهودية ديناً وقوميةً . لكن الخلاف بينهما بدأ بمعاداة الأرثوذكس لفكرة التعجيل بالنهاية عن طريق الإستيطان وإنشاء الدولة في فلسطين الّتي آمنت بها الصهيونية.

تقول موسوعة اليهود واليهودية " : [3] يمكن تفسير الفكر اليهودي الأرثوذكسي تفسيراً معادياً تماماً للصهيونية، فالإيمان بالعودة الشخصية للماشيّح يعني الإنتظار في صبر وأناة إلى أن يأذن الإله بالعودة. وعلى المؤمن الحق أن يقبل المنفى، إمّا عقاباً على ذنوب يسرائيل أو كجزء من التكليف الإلهي، وعليه ألاّ يحاول التعجيل بالنهاية (دحيكات هاكتس). "

إيمان الأرثوذكس بالعودة إلى فلسطين وإقامة الشريعة اليهودية فيها شئ لا غُبار عليه، بل هذا إيمان كل التيارات الدينية اليهودية الأصولية ويقوم عليه جوهرُ اليهودية. لكن الأرثوذكسية ترى أنّ على اليهود ألاّ يعجلوا بالخلاص عن طريق العودة المبكرة إلى فلسطين، بل عليهم أن يقبلوا النفي كالتكليف أو العقاب الإلهي، ويصبروا حتى مجئ المسيح ومن ثم الخلاص.

وقد دعا الأرثوذكس إلى تطبيق الشريعة اليهودية كاملاً وإصلاح الفرد اليهودي – كما طالب بذلك سمسون هيرش – كمقدمة لقدوم المسيح المخلّص .

فإنهم بذلك دعوا إلى التعجيل بقدوم المسيح – عن طريق تطبيق الشريعة وإصلاح اليهود – وليس التعجيل بالنهاية عن طريق عودة اليهود إلى فلسطين. وبذلك يتبين لنا أن الأرثوذكس يرون أن خلاص اليهود منوط بمجئ المسيح وهو فقط عليه إنهاء الشتات (الدياسبورا) وتخليص اليهود، وعلى اليهود أن لا يحاولوا إنقاذ أنفسهم.

لكنّ الصهيونية منذ قيامها دعت إلى عودة اليهود إلى فلسطين واستيطانها وإنشاء الدولة فيها حتّى تتهيّأ بذلك الأوضاع المناسبة لقدوم المسيح المخلص. ومفهوم الخلاص هنا يعني السيطرة الإقليمية والعالمية الّتي يحققها . حسب قناعة الصهاينة . المسيح المخلص ، وإلاّ فلا معنى للخلاص بعد عودة اليهود وخلاصهم من الشتات.

---

[2] للمزيد حول الشعائر الأرثوذكسية هذه أنظر ، Encyclopedia Britannica مادّة. Orthodox Judaism :

[3] م5، ج3، ب6، مدخل (اليهودية الأرثوذكسية والصهيونية).

ما قلناه كان جوهر الخلاف بين الأرثوذكس والصهاينة ، وحتى بعد أن تمت صهينةُ الأرثوذكسية استمر بعض من الحاخامات الأرثوذكس على معاداة الصهيونية.

فقد قام الحاخام حاييم اليعازر شابيرا (1872 – 1937) بحملة عنيفة ضد حزب (أجودات – اتحاد إسرائيل) لأنهم كانوا يتعاملون مع الصهاينة . والآن هم يعارضون الصهيونية . ويشوهون تفكير أطفال المدارس الأبرياء بأعشاب تنوير الأغيار السامة أو الأغاني الّتي تتحدث عن استيطان الأرض، وعن حقول وكروم أرض إسرائيل. فالصهاينة حسب اعتقاد شابيرا يدنسون الأرض المقدسة المخصصة فقط للصلاة المقدسة .

وجاء من بعد شابيرا الحاخام الأرثوذكسي الشاب موشيه تايتلبوم (1888 – 1979) الّذي عارض الصهيونية بشدّة وقد ألقى بمسؤولية معسكرات الهلاك النازية كاملةً على خطيئة الصهيونية الّتي أغوت أغلبية اليهود بالهرطقة الفظيعة الّتي ليس من المستغرب أن يصب الرب بسببها جام غضبه على الصهاينة. فقد كانت الصهيونية في نظر هؤلاء وآخرين من الأصوليين الأرثوذكسيين هى الهرطقة الكاملة، ولا عجب أن سلط الرب عليهم هتلر، لذلك دعوا أنصارهم إلى محاربة اليهود الّذين دعموا مشروع الصهيونية، فهم بذلك قد أضروا باليهود أكثر من أشرار الأرض جميعاً. ونشاطات الصهاينة لا تحمي اليهود والتوراة ، بل الورع الدقيق للتعاليم الدينية.[1]

ما قلناه كان موقف عدد من الحاخامات الأرثوذكس الّذين لم ينخرطوا في المشروع الصهيوني حتى بعد أن تمت صهينة الأرثوذكسية، وهم لا يمثلون الأرثوذكسية تمثيلاً حقيقياً ورسمياً. لكنّ الأرثوذكسية كانت في بادئ الأمر معاديةً للصهيونية، وحين ترسّخ الفكر الصهيوني ومشروعه السياسي لم تستطع أن تقاوم الصهيونية وقد تمت صهينتها بالفعل، شأنها في ذلك شأن كل التيارات الدينية اليهودية الأخرى .

تقول موسوعة اليهود واليهودية " : [2] كانت الفرق الأرثوذكسية معاديةً للصهيونية في بادئ الأمر، ولكن هذه الأرثوذكسية تمت صهينتها على يد بعض الحاخامات الأرثوذكس، وخصوصاً الحاخام

---

[1]أنظر بدوي، جمال ، الأصولية..، صحيفة الشرق القطرية، المرجع السابق.

[2]مدخل (اليهودية الأرثوذكسية والصهيونية)، المرجع السابق .

كوك) [*]ومن قبله كاليشر والقالي .[**](وكانت متتالية الخلاص في الماضي تأخذ الشكل التالي: نفي . إنتظار . عودة الشعب . أما الآن ، فإن المتتالية الجديدة المقترحة هي:
نفي . عودة أعداد من اليهود للتمهيد لوصول الماشيّح . عودة الماشيّح مع بقية الشعب .
ومن هنا تمت صهينةُ الأرثوذكسية. "

وهكذا فقد خضع الأرثوذكس . أي الزعماء الّذين كانوا يعدّون مصادر القرار الرسمية . للدعوة الصهيونية بعد إدخال التعديل الصهيوني في المفهوم الأرثوذكسي التقليدي لفكرة الخلاص ، أي حذف فكرة الإنتظار (إنتظار الماشيّح) ..
فالأرثوذكس بذلك قد دعموا المشروع الإستيطاني الصهيوني . عودة أعدادٍ من اليهود للتمهيد لوصول الماشيّح كما ورد في الصيغة المشتركة لمفهوم العودة الجديد . الّذي بدأ بالتنفيذ من أواخر القرن التاسع عشر وهو مستمر حتى وقتنا هذا.

وقد انتقل ثقل اليهودية الأرثوذكسية إلى فلسطين خاصةً بعد إنشاء الدولة الصهيونية. وهي في اسرائيل تدعو مع الصهيونية جنباً إلى جنب – إلى تقديس أرض إسرائيل الكاملة وتسيطر على الحياة الدينية فيها، وعلى دار الحاخامية الرئيسية الّتي تمثل أعلى سلطة دينية في اسرائيل، وعلى وزارة الشؤون الدينية، وعلى الأحزاب الدينية، مثل: مزراحي، وعمال مزراحي، أجودات إسرائيل، وعمال أجودات إسرائيل، وساش . [3]

ودار الحاخامية الآن . الّتي استحوذ عليها الأرثوذكس بالكامل . تقدّم الدعم الديني للمشاريع القومية السياسية الصهيونية، فإن " جلّ التعاليم الدينية الّتي يبثها الحاخاميون تتجه نحو تعميق قضية الولاء (لأرض إسرائيل) والتمسك بها، واحتساب الإستيطان فيها والدفاع عنها بمثابة جوهر الدين، واحتسبوا اليهودي الّذي يقيم خارج (أرض إسرائيل) كمن يمارس الوثنية. [1] "

في إسرائيل أصبحت اليوم كلمة (حريديم) Heredim من الكلمات المألوفة في الخطاب اليومي في إسرائيل، وتأتي بمعنى (يهودي أرثوذكسي) أو (يهودي متزمت دينياً)، والحريديم هو الوارث التقليدي للأرثوذكسية وتستخدم هذه الكلمة للإشارة إلى اليهود المغالين في التدين من شرق أوربا الّذين يرتدون أزياء

---

[*]**هو أبراهام كوك) 1865–1924** : (أول حاخام أكبر لليهود الإشكناز في فلسطين. وُلد في شمال روسيا... هاجر إلى فلسطين عام 1904واستقر فيها. وقد تَعرَّف كوك إلى تقاليد القبَّالاه وسعى وراء تجارب الإشراق الداخلية، والواقع أن كتاباته كلها مفعمة بروح قبَّالية وإيمان بالحلول الرباني في الشعب اليهودي. وتتلخص سيرة حياته ونشاطاته القومية الدينية في محاولة تقريب الصهيونية إلى المتدينين وتقريب المتدينين من الصهيونية ./ موسوعة اليهود واليهودية ، م6 ، ج 2 ، ب12 ، مدخل (أبراهام كوك) 1865–1924 ().

[**]للتعرف عليهما أنظر ص (272 . 277) من هذه الدراسة .

[3]أنظر موسوعة اليهود واليهودية ، مدخل (اليهودية الأرثوذكسية والصهيونية)، المرجع السابق .

[1]عيسى، أ. د. نديم: دار الحاخامية في إسرائيل، في (مستقبل الحركة الصهيونية..) ، المرجع السابق، ص 167.

يهود شرق اوربا (المعطف الطويل الأسود والقبعة السوداء ويضيفون له الطاليت) ويرسلون ذقونهم إلى صدورهم وتتدلى على آذانهم خصلات من الشعر المقصوع. وهم يتحدثون بالعبرية ويقدسون تلك اللغة ومع ذلك يفضلون التحدث باليديشية، وأعدادهم تتزايد بالنسبة للعلمانيين في إسرائيل لأنهم لا يمارسون نظام تحديد النسل. [2]

وهؤلاء الحريديم يعدون الشق المتطرف للأرثوذكس الّذين يعادون الدولة ويكفرونها ويعيشون في غيتو معزول شبيه بجوّ يهودية شرق أوربا التقليدي. وهم يزعمون أنّهم يعملون على تنقية إسرائيل من الشوائب لإقامة حكم التوراة .

ومن أبرز سمات اليهودية الحريدية هي :

رفض أية قيمة ثقافية سواء في الماضي أو الحاضر لايكون مصدرها التشريع اليهودي. وهم يتعاملون مع غير الحريديم تعاملاً سلبياً، ويرفضون الصهيونية، وعقيدة العودة إلى صهيون لأنها تعجيل بالنهاية، ويقولون إن المحرقة النازية كانت عقاباً من الرب بعد عصر التنوير الأوروبي.

هؤلاء من الممكن أن نعتبرهم الإمتداد التقليدي للفكر الأرثوذكسي الّذي كان معادياً لفكرة الصهيونية في بادئ الأمر. لكنهم قليلون جداً مقارنةً بالأرثوذكس الجدد الّذين انخرطوا في المشروع الصهيوني . فهؤلاء يعتبرون اليهودية الأصولية الصهيونية، لأنهم منذ أن تمت صهينة الحركة الأرثوذكسية يخدمون المشروع السياسي والقومي للصهيونية.

ومن مظاهر هذه الأصولية الأرثوذكسية في فلسطين المحتلّة : .

أ . الإلتزام العملي بالحلال والحرام بحسب الشريعة اليهودية ، ومحاولة إلزام اليهود بها ، واحترام الآخرين لها .

ب . إحترام يوم السبت ، وإلزام سيارات النقل وشركة الطيران بعدم حمل الركاب في ذلك اليوم .

ج . محاولات الإعتداء على المسجد الاقصى او هدمه، والدعوة إلى بناء الهيكل الثالث .

د . تغطية الرأس بـ (الكيبا) وخاصة فى الجيش ، وعند الأطباء و المهندسين و المحامين .

هـ . الدعوة إلى حفظ العائلة اليهودية الملتزمة عن طريق الجمعيات الدينية ، والتأثيرات ، والصحافة الدينية، وتنمية أعدادهم، واقامتهم فى أحياء متجانسة .

و . رفض عملية السلام ، أو الإنسحاب من الاراضى المحتلة ، والتطلع إلى حدود اسرائيل الكبرى . [1]

يبدو من خلال هذه المظاهر أن الارثوذكس بعد تأسيس الدولة الصهيونية لايختلفون عن الصهاينة ، إلا من ناحية التطلعات الدينية ، حيث هناك لدى الأرثوذكس أفكار وشعائر دينية يتمسكون بها بشدة ، ولكن الصهاينة هم سياسيون و علمانيون فى التدين، لكن الارثوذكس لايعادون مشاريع

---

[2] أنظر موسوعة اليهود واليهودية ، م5، ج3، ب6، مدخل (حريديم).

[1] اليحي، د.عبدالله : الأصولية اليهودية.. نظرة عامة، مجلّة (البيان) / السنة التاسعة عشرة، العدد 202، جمادى الآخرة 1425هـ – يوليو/ أغسطس 2004م ، ص 65 .

وطموحات الصهاينة، بل ويستخدمون المواقع الدينية المؤثرة لغرض التغطية الدينية للعمليات السياسية و المشاريع القومية التى ينفذها الصهاينة فى فلسطين المحتلة والعالم العربى عموماً..

ومن أبرز واكبر المواقع الدينية تأثيراً فى إسرائيل هى الدار الحاخامية التى تمثل المرجعية الدينية العليا فيها. وقد هيمن عليها الارثوذكس بالكامل ، ومن خلالها يمارسون التطلعات الدينية، وكان هذا قد تم قبل إنشاء الدولة الصهيونية رسمياً، اى فى ايام الإنتداب البريطانى فى فلسطين ، حيث " بموجب قوانين الإنتداب الصادرة عام 1927، والتى بقيت تطبق فى اسرائيل فإن (الملة الارثوذكسية) هى الرئيسة الدينية للحاخامية والمجتمع، اذ تتمتع وحدها بالإعتراف فى تغيير الدين ، وهذا يعنى استبعاد (الملة المحافظة) و(الملة الإصلاحية) من اية مسؤوليات دينية فى اسرائيل . [2] "
من هنا تتجلى لنا أهمية الأرثوذكسية عند الصهاينة ..

ما كتبناه فى هذه النقطة كان مختصر قصة اليهودية الأرثوذكسية مع الحركة الصهيونية، وقت نشوءها ، وبعد تأسيس دولتها السياسية . وفى ختام البحث عن اليهودية الأرثوذكسية نقول:

- كانت دعوة الارثوذكس دعوة دينية تقليدية تطالب بالدعوة إلى المفاهيم التلمودية والتراث اليهودى القديم ، بعد أن شوهت اليهودية الإصلاحية معالم هذا التراث ، بدعوتها إلى تجريد القداسة عنه، وعن كل المفاهيم اليهودية الحاخامية التى تميز اليهود كشعب مقدس عن باقى الشعوب والأمم . فبينما طالب اليهود الألمان والامريكان الاصلاحيون بالإندماج الكامل مع كامل المجتمعات الأوروبية والامريكية ، فإن الأرثوذكس طالبوا بالعودة إلى المعازل (الغيتو). من هنا أقول : إن الإصلاحيين . بتفسيرهم الدينى لليهودية . تمكنوا من إيجاد حل مناسب لما كان يسمى بـ (المسألة اليهودية) فى القرن التاسع عشر .
حيث تكون اليهودية حسب تفسيرهم ديانة إنسانية غير مقيدة بشعب خاص بل ليس هناك فى الأدب الإصلاحى شعب يمتلك القداسة الالهية ويتخصص بامتلاك ديانة خاصة .
لكن جاءت الأرثوذكسية التقليدية لكى ترجع الأمور إلى ما كانت عليه فى السابق ، وخصصت الديانة اليهودية . كما فعل العهد القديم والتلمود والقبالاه . بالشعب اليهودى المقدس المختار. وبذلك تضخمت المشكلة اليهودية مرة اخرى ، ومن ثم تعالت الأصوات من جميع أنحاء الغرب تدعو إلى حل هذه المشكلة العويصة ! و قد استغلّ اليهود (المسألة اليهودية) لتحقيق أهدافهم ، وليس لحل مشكلة حقيقية كانوا وراءها بالدرجة الأولى..

- كما بيّنا فى السابق ، إن الأرثوذكسية هى التمثيل الحقيقى للتعاليم التوراتية والتلمودية ، والإصلاحيون إنما خرجوا عن مسار اليهودية الطبيعى الحقيقى. حيث كانت دعوتهم تجرد عن

[2] عيسى، أ. د. نديم، في (مستقبل الحركة الصهيونية..) ، المرجع السابق، ص161.

اليهود كل الامتيازات التى أطلقتها النصوص الدينية والتى بها . فقط . يستطيع اليهود أن يحققوا آمالهم.

من هنا نستطيع أن نفهم تحذير الفيلسوف المتأثر بالأدب الحسيدى (مارتن بوبر) Martin Buberاليهود بقوله : " إنكم إذا أصبحتم مثلَ الشعوب الأخرى ،فإنكم لا تستحقون الوجود . [1]" وفى الحقيقة تحقيق آمال اليهود القومية والسياسية التى تتجسد بتأسيس الدولة فى فلسطين ليس حلاً، فهو تدمير واحتلال . بل ترك هذه الامال التسلطية وإبراز الطابع الدينى لليهودية هو مانراه حلاً، وان كان احتلال فلسطين بكل ما جلبه من تدمير وإرهاب فى نظر مدافعي النظرة القومية لليهودية يمثل الحل المناسب. !

. إن اليهودية الأرثوذكسية هى الشكل العلمي الشرعى والتيار الشعائرى للديانة اليهودية، وقد كانت فكرة القداسة . قداسة كل شيء يتعلق باليهود . هى جوهر الحقائق فى الفكر الأرثوذكسي وكانت لبَ دعوتها، ومن هنا يأتى مفهوم الشعب المقدس، وبالتالي هيمنة النظرة القومية على النظرة الدينية لليهودية. وقد كانت الحسيدية التيار الصوفى والروحى لليهودية.، بينما كانت اليهودية الإصلاحية الشكل الحداثي والتجديدي . و سنرى أن اليهودية المحافظة هى الخط الوسط بين الفكر الإصلاحي و الأرثوذكسي ..

---

[1]بيجوفيتش، على عزت: الإسلام بين الشرق والغرب، الترجمة: محمد يوسف عدس، مؤسسة النور الكويتية – مؤسسة بافاريا للنشر والإعلام والخدمات، ط1 ، رجب 1414 هـ – يناير 1994م، ص25. نقلاً عن

Martin Buber, Gessmmelte Werke,ed. Richard Beer – Hofmann (Frankfurt am main: Fischer, 1963.

المطلب الرابع

اليهودية المحافظة

Conservative Judaism

إنّ الحركات اليهودية عامة انبثقت من أحوال الواقع المحسوس للجماعات اليهودية فى كل من روسيا أو أوروبا او اميركا. أى انها قد جاءت لحل المسألة اليهودية، أو بتعبير أدق لخلاص اليهود من حالة الشتات و الإنبهار و الإضطهاد و الأحياء المغلقة التى كانت تسمى بالغيتو. فنشأت حركات يهودية اندماجية متأثرة بالثقافة الغربية ومُثل الثورة الفرنسية (1789) ورموزات الإستنارة الأوروبية ، (مثل حركة التنوير و الإصلاح) كانت تدعو إلى انصهار الجماعات اليهودية فى المجتمعات التى يعيشونها، فرأت هذه الحركات أن حل القضية اليهودية بات محصورا فى فكرة الإندماج والتخلى عن المفاهيم القومية.

بينما جاءت حركة اليهودية الأرثوذكسية بدعوة مغايرة تماما لفكرة الإندماج و النظرة الدينية البحتة للديانة اليهودية، فهى دعت إلى التمسك بالشعائر الدينية والمفاهيم القومية معاً، ورأت ان العقائد اليهودية . من ضمنها المفاهيم القومية المقدسة مثل : لاهوت الشعب المختار، و الأرض المقدسة . هي جوهر اليهودية ، ومن خلال التمسك بهذه العقائد . فقط . يستطيع اليهود ان يحافظوا على ديانتهم و وجودهم ، والأرثوذكسية قدست هذه العقائد باعتبار أنها تتصدر من القدسية الإلهية او أنها مقدسة لأن الله قدسها، اما من خلال رسالاته المكتوبة والشفوية (العهد القديم والتلمود)، او من خلال حلوله ذاتياً فى الشعب اليهودى . أى ان الأرثوذكسية حركة حلولية ، فهى قد قدست المفاهيم و العقائد اليهودية لأنها تستمد قدسيتها من تعلقها بالذات الإلهية و تقديسها نفسها لتلك العقائد او المفاهيم .

وبعد الأرثوذكسية جاءت فرقة دينية اخرى انتهجت خط الوسط بين الفكر الإصلاحى و الأرثوذكسى،فهى قد ادّعت إلى عصرنة اليهودية لكن مع المحافظة على روح الشعب اليهودى وقدسيته. وهذه الفرقة هى (اليهودية المحافظة) التى نشأت فى الولايات المتحدة الأمريكية اواخر القرن التاسع عشر، وفى البداية وقبل تعريف هذه الحركة أود أن أشير إلى كيفية و مراحل هجرات اليهود إلى اميركا من البداية (التواجد اليهودى الأول) حتى الحرب العالمية الثانية) 1942-1945 . (

"يعود تأريخ التواجد اليهودى في امريكا إلى العام 1654م عندما أبحر ثلاثة وعشرون من يهود البرازيل بعد احتلالها من قبل البرتغاليين، باتجاه ميناء نيو أمستردام (نيويورك حالياً) والتى كانت مستعمرة من قبل الهولنديين، واستمرت خلال العقود اللاحقة هجرة اليهود إلى اميركا بأعداد صغيرة، وقد بلغ عددهم الكلي عام 1790م حوإلى ثلاثة آلاف نسمة، وقد أطلق على هذا الإنتقال تسمية الهجرة الاولى، حيثوا كانوا بمعظمهم من اليهود الشرقيين (الإسبان) واستوطنوا فى مستعمرات رود ايلاند، نيويورك، فيلادلفيا، بنسلفانيا، جنوب كارولينا، وكنائيكت، فرجينيا،وجورجيا[1] . "

---

[1]ناصر، على: العلاقة اليهودية الصهيونية الأمريكية (1850- 1950)، مجلّة (الوحدة الإسلامية) ، المرجع السابق .

هذه هى الهجرة الاولى لليهود إلى اميركا، أما الهجرة الثانية فقد " امتدت على نصف قرن منذ عام 1830 حتى 1880 وكان المهاجرون بغالبيتهم من ألمانيا وبهذه الهجرة ارتفع عدد اليهود عام 1840 إلى خمسة عشر ألفا،وعام 1880 إلى مئتين و خمسين الف يهودى، وكان أغلب المهاجرين من الفقراء، فعملوا باعة متجولين وامتهن القليل منهم الحياكة والحلاقة وتصليح الساعات ، وشكّل العام 1846 بالنسبة لهؤلاء الفرصة الذهبية ، فأصبحوا من كبار تجار الملبوسات واحتكروا صناعة المأكولات المجففة ، وسيطروا على تسويقها جملة ومفرقا. [2] "

والهجرة الثالثة معروفة " باسم هجرة الاشكنازيم [*] الذين قدموا من أوروبا الشرقية وجلّهم من ألمانيا،وامتدت هذه الهجرة بين عامى 1881 و 1910، حين بلغ تعدادهم حوإلى مليوناً ونصف مليون مهاجر جاء معظمهم من روسيا القيصرية وبولندا،واستوطن غالبيتهم مدينة نيويورك التى أصبحت معقل اليهود الاساسى.

الهجرة الرابعة امتدت خلال الحربين العالميتين،وتميز مهاجرو هذه الفترة بانتمائهم إلى الطبقة الوسطى (خاصة يهود ألمانيا) وكانت نسبة كبيرة منهم تتمتع بمستوى تعليمى، لذلك تكيفوا مع المجتمع الامريكى بسرعة اكبر، إلى ان بلغ عدد اليهود فى امريكا عام 1928 حوإلى ثلاثة ملايين نسمة،إ رتفع عام 1941 إلى اربعة ملايين ومئتى الف و وصل عام 1945 إلى خمسة ملايين نسمة. [3] "

حين ارتفع عددُ اليهود في الولايات المتحدة أواخر القرن التاسع عشر ، بادرعددٌ منهم إلى إنشاء التيار المحافظ ، من أجل الملائمة مع الوضع الجديد فى العالم الجديد ، أو حتى يستطيعوا ان يتجاوبوا مع الواقع الجديد دون اصطدام وتخلف .

من هنا سنبدأ ببحث التيار المحافظ ، أفكاره و إضافاته في الفكر اليهودي .

---

[2] المرجع نفسه.

[*] (الإشكناز) من (إشكنازيم) العبرية . و(الإشكناز) هم يهود فرنسا وألمانيا وبولندا . إن الاشتقاق الحالي لكلمة (الإشكناز) ، هو من كلمة (إشكناز) بمعنى (ألمانيا). ومن الصعب معرفة متى حدث هذا التَرادُف . وثمة آراء احتمالية عدة ، فهناك من يربط بين إشكناز و إسكندنافيا ... وقد أصبح المصطلح يشير إلى يهود فرنسا وألمانيا ونسلهم من اليهود الذين هاجروا إلى إنجلترا وشرق أوربا (بولندا وليتوانيا) .وقد انتشر الإشكناز من بولندا إلى أوربا، فاستقرت أعداد منهم في بولندا وألمانيا وإنجلترا والعالم الجديد. ثم هاجر الملايين منهم في نهاية القرن التاسع عشر إلى الولايات المتحدة وأمريكا اللاتينية وأستراليا ونيوزيلندا، بعد الانفجار السكاني الذي حدث في صفوفهم. كما أنهم توجهوا إلى آسيا وأفريقيا مع حركة التوسع الإمبريالي. ولما كان يهود شرق أوربا هم أهم كتلة بشرية يهودية ، فقد ارتبط المصطلح بهم .وتُذكَر كلمة (إشكناز) عادةً مقابل (سفارد) (أي يهود السفارد) ، وبالتالي أصبحت كلمة (إشكناز) مرادفة لمعنى (غربي) وأصبحت (سفاردي) بمعنى(شرقي) . موسوعة اليهود و اليهودية ، م2 ، ج 2 ، ب1 ، مدخل (الإشـكناز).

[3] ناصر، علي، مجلّة (الوحدة الإسلامية) ، المرجع السابق.

أولاً : تعريفها وبداياتها

1. تعريفها

فى تعريف اليهودية المحافظة تقول موسوعة اليهود واليهودية [1] أنها : " فرقة دينية يهودية حديثة نشأت في الولايات المتحدة، أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، محاولة من جانب اليهودية للاستجابة لوضع اليهود في العصر الحديث في العالم الجديد وهي أهم وأكبر حركة دينية يهودية في العالم، وأهم مفكريها سولومون شختر . [*]

ولكن جذور الحركة تعود، مع هذا، إلى ما يُسمَّى «علم اليهودية» وأقطابها هم : نحمان كروكمال، وزكريا فرانكل، وهنريش جرايتس، وسولومون رابوبورت، وكلهم من المفكرين اليهود الأوربيين في القرن التاسع عشر. واليهودية المحافظة جزء من الفكر الرومانسي الغربي، وخصوصاً الألماني. وهي ليست مدرسة فكرية ولا حتى فرقة دينية محددة المعالم بقدر ما هي اتجاه ديني عام وإطار تنظيمي يضم أبرشيات وحاخامات، يسمون أنفسهم «محافظين»، ويسميهم الآخرون كذلك. فالمفكرون المحافظون يختلفون فيما بينهم حول أمور مبدئية مثل الوحي وفكرة الإله، كما يختلفون بشأن الأمور الشعائرية، ولم ينجحوا في التوصل إلى برنامج محدَّد موحَّد . "

وتعرّفها دائرة المعارف البريطانية بقولها " : [2] هي الحركة الدينية التى تريد حفظ عناصر ضرورية من اليهودية التقليدية لكن تسمح بتحديث الممارسات الدينية على وجه أقل من القناعة الجذرية التى توجد فى اليهودية الإصلاحية Reform Judaism لذلك التحديث . "

---

[1] م5، ج3، ب7، مدخل (اليهودية المحافظة: تأريخ).

[*] **سولومون شختر) 1847-1915** : (وُلد في رومانيا حيث تلقَّى العلوم اليهودية التقليدية، وواصل دراسته في فيينا فتعمق في الدراسات اليهودية، ثم انتقل إلى إنجلترا عام 1890، حيث عُيِّن محاضراً للدراسات التلمودية في جامعة كامبردج. وسافر إلى القاهرة عام 1896 ورجع منها بعد عام حاملاً عديداً من المخطوطات اليهودية التي عثر عليها في جنيزاه المعبد اليهودي القديم في الفسطاط، ثم انتقل إلى أمريكا ليرأس الكلية اللاهوتية اليهودية... ويُعَدُّ شختر مسئولاً أكثر من أي شخص آخر عن إدخال الأفكار الصهيونية على اليهودية المحافظة في الولايات المتحدة... وللحاخام شختر مؤلفات عدة، من بينها كتاب (بعض نواحي اللاهوت الحاخامي)، ومجموعة مقالات في ثلاثة مجلدات نُشرت بعنوان (دراسات في اليهودية)، كما حقَّق شختر العديد من النصوص الدينية التي عثر عليها في الفسطاط وإليها ترجع شهرته وتُسمَّى المجموعة باسمه (مجموعة مخطوطات شختر). / موسوعة اليهود واليهودية ، م5 ، ج 3 ، ب7 ، مدخل (سولومون شختر) 1847-1915 ().

[2] مادّة Encyclopedia Britannica ، Conservative Judaism :

مع أن اليهودية المحافظة تشكل نسقاً فكرياً متعدد الأشكال، الا أن ثمة أفكاراً أساسيةً تربط أعضاء الملة المحافضة التى تشكل على مستوى من المستويات رد فعل لليهودية الإصلاحية وأفكارها العلمانية اكثر من كونها رداً لليهودية الأرثوذكسية ، خاصة حين اكتسحت اليهودية الإصلاحية يهود الولايات المتحدة ابتداءً من منتصف القرن التاسع عشر حتى مع حلول عام 1881 كانت كل المعابد اليهودية (البالغ عددها مئتي معبد) معابد إصلاحية باستثناء اثنى عشر معبداً. اضافة إلى القرارات الإصلاحية الشاملة التى اتخذها مؤتمر (بتسبرغ) الإصلاحى سنة 1885 فى ألمانيا حيث أعلن الإصلاحيون ان كثيراً من الطقوس، ومن ذلك الطقوس الخاصة بالطعام مسائل نسبية يمكن الإستغناء عنها . [1]

من هنا يمكن ان نجزم بأن ظهور اليهودية المحافظة فى أواخر القرن التاسع عشر يرجع إلى اكتساح اليهودية الإصلاحية يهود أميركا وتأثيرها على فكر اليهود هناك ومن ثم تصدى المحافظون لتلك الهيمنة التى رأوها خطراً على الديانة اليهودية ككل ، إضافة إلى آثار القرارات الإصلاحية لمؤتمر بتسبرغ الإصلاحى ، التى جرّدت علناً القداسةَ عن كل المفاهيم اليهودية التقليدية ، لذلك جاء رد فعل كثير من المفكرين الذين كان لديهم نمط خاص من الفكر يدور حول ضرورة الحفاظ على روح الشعب اليهودى وتراثه وتقاليده مع إرادة التطوير والتحديث .

ومن هنا نستطيع أن نفرق بين الأرثوذكسية والمحافظة، حيث كان الأرثوذكس ضد أي تجاوز للمفاهيم والعقائد التقليدية او تحديثها، وكانوا يقدسون الشعب اليهودى وتراثه وتقاليده على أساس أن لهذا الشعب وتقاليده أصولاً ربانية ، أي تقديسه للشعب اليهودى جاء بسبب حلول الإله فى هذا الشعب، وليس بسبب عظمة وقدسية الشعب نفسه. لكن الفكر المحافظ يؤكد على قدسية الشعب اليهودى وتراثه انطلاقاً من قناعته بان هذا الشعب مقدس لذاته، وتراثه آخذ فى التطور.

أي أنه فى الفكر المحافظ يُفَسّرُ الدينُ باعتباره الروح القومية اليهودية ، وبأنه ليس مجموعة اصول وقواعد ثابتة ، بل الدين اليهودى يتطور مع تطور الشعب اليهودى ويتكيف معه فى كل العصور ، من هنا فإن الفكر المحافظ قد أكد على مركزية الشعب وليس الإله. والفكر المحافظ له جذور منذ اواخر القرن الثامن عشر، لكن تاريخ ولادته كفرقة واضحة المعالم بحيث تشكل نمطاً فكرياً واضحاً ، تأخر إلى أواخر القرن التاسع عشر وبداية ظهوره المنظم كانت حين عارض شخصيات كثيرة الإتجاه الإصلاحى وقراراته الشهيرة فى مؤتمر بتسبرغ 1885. " خصوصاً فى صيغته المتطرفة، بينهم إسحق ليزر و ألكسندر كوهوت . وقد أعلن الأخير معارضته لقرارات مؤتمر بتسبرغ، وهاجم المفكر الإصلاحى كاوفمان كولر، وطالب بإنشاء مدرسة حاخامية لدراسة الممارسات التأريخية لليهودية. وقد قام ساباتو موريه بتأسيس كلية اللاهوت اليهودية (عام1887) ، الّتى أصبحت المنبر الأساسى للفكر المحافظ ، ويعد هذا التأريخ تأريخَ ميلاد اليهودية المحافظة، خصوصاً وقد أعاد شختر تنظيمها عام 1902. ثم تم

---

[1] موسوعة اليهود واليهودية، مدخل (اليهودية المحافظة: تأريخ) ، المرجع السابق ، بتصرف .

تأسيس جمعية الحاخامات الامريكية التى ضمت خريجى المدرسة، وتشكل هذه الجمعية مع معبد امريكا الموحد عام 1913، وكلية اللاهوت اليهودية، أهم عناصر الهيكل التنظيمى لليهودية المحافظة. [2] "

إذن يمكن أن نحدد سنة 1887 التى تأسست فيها كلية اللاهوت اليهودية فى نيويورك بداية ظهور الفرقة المحافظة. وإن كان قد سبق هذا الظهور أفكار محافظة من قبل عدد من المفكرين (وهذا سنتناوله بالتفصيل فيما بعد).

فى ختام تعريف اليهودية المحافظة نكرر ان الفكر المحافظ ليس هو التمسك بالشعائر الدينية والحفاظ عليها كما رأينا فى الفكر الأرثوذكسى، بل روح الشعب اليهودى او الحضارة اليهودية هى جوهر الأشياء التى يجب حفظها ، والدين يمثل فقط عنصراً من تلك المعادلة .

من هنا نستطيع أن نقول ان هدف اليهودية المحافظة الأساسى ينحصر في " الحفاظ على استمرارية التراث اليهودى ، باعتباره الجوهر ، أما ماعدا ذلك من العادات والعقائد فهو يظهر بشكل عضوي وتلقائي متجدد ، ومن هنا ، فقد ظهرت اليهودية التجديدية من صلب اليهودية المحافظة، فهى ترى ان اليهودية حضارة يشكل الدين جزءاً منها وحسب. [1] "

وهذا التنويه أشرتُ إليه لأن كلمة (محافظ) او (ماسورتى بالعبرية) تفهم من حيث المظهر أن اليهودى المحافظ هو الذى يتمسك بالشعائر كلها ويشدد على تنفيذها . لكن الفلسفة المحافظة ليست متجهةً نحو هذا الهدف بالذات، بل هى تهدف إلى حفظ ميراث آباء اليهود والحضارة اليهودية بكل أبعادها و انحرافاتها التى حدثت فى تأريخ الجماعات اليهودية، وبعض الشعائر التى يتمسك بها المحافظون هى لأنها تعتبر جزءاً من الحضارة اليهودية او التراث اليهودى العام فى نظرهم.

تقول موسوعة اليهود واليهودية " : [2] ماسورتى Masorti كلمة عبرية تعنى (محافظ) او (تقليدى) وتستخدم للإشارة إلى اليهود المحافظين... وتترجم الكلمة إلى العربية بكلمة (محافظ) او (تقليدى) ولذا، فحين ترد هذه الكلمة فى أحد النصوص العربية، يظن القارىء العربى ان هذا اليهودى الذى يقال له (تقليدى) يتمسك بالشعائر وبأهداف دينه ، ولكنه فى الواقع يهودى إثنى يتمسك ببعض الشعائر لأنها جزء من ميراث الأجداد ولأنها تعبر عن الذات القومية وروح الشعب (فولك) ... فالشعائر بالنسبة له ليست جزءاً من نسق دينى أخلاقى يتمسك به مهما كان الثمن،وانما هى فلكلور يمتع به نفسه ، ولهذا ، فرغم ان المعنى المعجمى للفظ (ماسورتى) هو (محافظ) او (تقليدى) فان مجاله الدلإلى مختلف تماما عن كلمة (محافظ) او (تقليدى) فى اية لغة اخرى أو أى سياق حضارى أو دينى آخر. "

---

[2] المرجع نفسه، المدخل نفسه .

[1] المرجع نفسه، المدخل نفسه.

[2] م5 ، ج3 ، ب7 ، مدخل (ماسورتي).

2. بداياتها الفكرية .. الرموز الأولى للفكر المحافظ

هناك بدايات فكرية للتيار المحافظ الذى برز فى اواخر القرن التاسع عشر. أقصد أعمال ومحاولات بعض المفكرين اليهود فى القرن التاسع عشر، الذين انتهجوا نمطاً محافظاً فى الفكر الدينى ، أي النمط الذى يؤكد على ضرورة الحفاظ على الروح الدينية والقومية فى آن واحد ، وعلى مكونات الشعب اليهودى (اى اللغة العبرية والنصوص الدينية وفكرة قداسة الشعب و التأريخ اليهودى .... الخ). وكانت أعمال المفكرين المحافظين . منظرى الفكر المحافظ السابقين . بمثابة الخلفية الفكرية والمقدمة البنيوية المهمة للفرقة المحافظة .

وتبدأ هذه المقدمة بالمفكر والعالم اليهودى . متبحر فى علم اليهودية . سولومون رابوبورت Solomon Rapoport (1790–1867)(من جاليشيا) الذى قد هاجمه الحسيديون و الأرثوذكس بسبب آرائه ودراساته التى كانت تنتقد اليهودية.

وقد عارض رابوبورت اليهودية الاصلاحية وانتقدها بانها تجاهلت التراث اليهودى الذى يتمثل فى التلمود. وعارض قرارات المؤتمرات الحاخامية الإصلاحية ، وخاصة قرارات مؤتمر بتسبرغ 1885 بألمانيا وكانت له وجهة نظر مختلفة حول مسألة الإصلاح ، فكان يعتقد أن الإصلاح لا بد أن يتم لا بيد الإنسان وانما بمرور الزمن ، فهو وحده الذي اكتسح كثيراً من العادات البالية ، وسيفعل ذلك مرة اخرى. وقد جعل رابوبورت الاجماع الشعبى مقياساً للإصلاح الدينى ، أي لقبول أو رفض العقائد او التقاليد والعادات الدينية . ومن هنا رأى أن الثوابت الدينية التى خلع عليها الشعب القداسة لا يمكن تعديلها . وبالنسبة للتعديلات التى أدخلها الحاخامات اليهود فى التشريع اليهودى عبر التأريخ فقد وضح رابوبورت انهم فعلوا ذلك لعلمهم التام بأن الشعب اليهودى بأسره سيأخذ بهذه التعديلات . كما كانوا قد أيقنوا بأن وحدة اليهود كشعب لا يتهددها الخطر بسبب هذه التعديلات . [1]

فالشعب فى فكر رابوبورت كان مصدر القداسة وصاحب تجريد هذه القداسة عن اى نص او مفهوم او عرف دينى . وهذا يؤدى بالطبع إلى ترسيخ فكرة (مركزية الشعب) التى كانت الركيزة الاساسية للفكر المحافظ.

ويأتى بعد رابوبورت المفكرُ الدينى زكريا فرانكل Zacharias Frankel (1801– 1875) (من بوهيميا) الذى ألهم الأفكار المحافظة فى وقت مبكر من القرن التاسع عشر بآرائه و تحليلاته ، وقد انفصل عن العصرانية التى نادى بها المصلحون فى المؤتمرات الحاخامية، واعتقد بان الدين اليهودى يرتبط بشكل معقد بالثقافة اليهودية التراثية و الهوية الوطنية.

وقد رفض ترك العادات والتقاليد الدينية. واعتقد فرانكل بأن الدراسات التأريخية يمكن ان تكشف تلك العناصر الموجودة فى القانون المكتوب و الشفهى والتى كانت تعابير معاصرة لظروف معينة وليست حقائق دينية ثابتة ، ومن ثم يمكن أن تعاد ترجمة هذه العناصر لتلائم سياق الحياة الحديثة. وكانت وجهة

---

[1] أنظر المرجع نفسه، م5، ج3، ب7، مدخل (سولومون رابوبورت " 1790–1867 ") ، بتصرف .

نظر فرانكل للقانون المقدس (المكتوب والشفهى) تؤكد على انه قوة حية قابلة للتطبيق فى كل العصور . [1]

ويعد فرانكل العقل المبدع للفكر المحافظ بصورته الجلية ، أي كنمط فكري واضح المعالم. حيث اوضح هذا الحاخام طبيعة هذا المذهب ومبادئه النظرية وأسسه التى استند عليها .[2]

و أهم مافعله أو حاول أن يفعله زكريا فرانكل هو مزج القيم اليهودية التقليدية بالثقافة او المعرفة الغربية الحديثة ، وتطوير المفاهيم اليهودية دون إخلال بما تصور فرانكل انه جوهر اليهودية التقليدى وروحها الاساسية كما عبرت عن نفسها عبر التأريخ . [3] أى كانت عنده إرادة التطوير مع المحافظة على مركزية الشعب التى هى المعيار فى حسم القضايا والإشكاليات الدينية .

و في البداية كان فرانكل ذا اتجاه إصلاحي و صديقاً لأبراهام جايجر (1810–1874) الذى يُعد من أبرز مفكرى الحركة الإصلاحية ، إلا أنه بعد خلافه مع جايحر قرر أن ينسحب من حركة اليهودية الاصلاحية ، وكان سبب انفصاله هو : " عدم موافقته على حذف الاشارات إلى صهيون، وتغيير لغة الصلاة من العبرية إلى لغة الوطن الذى يعاش فى كنفه (الالمانية فى حالته). وقد انطلق فرانكل فى قراره هذا مما أسماه (ثوابت اليهودية التأريخية) ووصف العبرية بأنها التربة التى نشأت فيها اليهودية وترعرعت ، وهى التربة الوحيدة التى يمكن أن تستمر وتزدهر فيها فى المستقبل.[4] "

وقد أثر هذا المفكر فى فكر كل المفكرين المحافظين الذين جاؤوا بعده ، من أمثال سولومون شختر (1847–1915) و ألكسندر كوهوت (1842–1894) ولويس جنزبرخ (1873–1953) و آخرين من المفكرين المتأخرين .

وبجانب فرانكل قام مفكر يهودى اخر بدور فعال فى الترويج للتفكير المحافظ، وهو إسحق ليزر .(1806–1868) Isaac Leeserالذى كان حاخاماً ألمانياً وقد هاجر إلى أمريكا . تقول موسوعة اليهود و اليهودية في شأن هذا المفكر بأنه : " يعد الأب الروحى لليهودية المحافظة . [5] "
وفى الحقيقة كان كذلك . خاصة إذا نظرنا إلى الأعمال المهمة التى قام بها والتي كانت منابع التفكير المحافظ.

فقد قام ليزر " بترجمة العهد القديم إلى الانجليزية، وأعد كتب الصلوات ... وقد أسس أول جريدة تهتم بالشؤون اليهودية عام 1843، كما أسس أول دار نشر للكتب اليهودية ، وكتب أول كتاب لتعليم العبرية للأطفال ، ألحق به نصوصاً ، كما أسس أول مدرسة ثانوية لتعليم العبرية عام 1849، وأسس أيضاً أول منظمة دفاع يهودية تمثل اليهود (هيئة المندوبين الاسرائيليين الامريكيين) وأول كلية لإعداد

[1]للتفصيل حول أفكار زكريا فرانكل ومساهماته البنيوية للفكر المحافظ أنظر ، Encyclopedia Britannica مادّة : Conservative Judaism .

[2]أنظر عيسى، أ . د. نديم: في (مستقبل الحركة الصهيونية والمشروع الحضاري العربي) المرجع السابق، ص180.

[3]أنظر موسوعة اليهود واليهودية ، م5 ، ج3 ، ب7 ، مدخل (زكريا فرانكل " 1801 – 1875 ") .

[4]المرجع نفسه، المدخل نفسه .

[5]المرجع نفسه، م5 ، ج3 ، ب7 ، مدخل (إسحق ليزر " 1806 – 1868 ").

الحاخامات عام 1867 وقد تخرج فيها أول أربعة حاخامات أمركيين تلقوا تعليمهم في الولايات المتحدة " [1] ..

وهناك حاخام آخر كان لأعماله تأثير خاص فى تأسيس الحركة المحافظة وهو (ساباتو موريه) (1897–1823) Sabato Morais من أصل إيطالي ، وقد هاجر إلى أمريكا .
أهمية موريه لا ترجع إلى تفكيره حيث لم يكن يتسم بأي عمق أو أصالة فى التفكير ، بل ترجع إلى أعماله فى الترويج للفكر المحافظ وتشجيع يهود أمريكا ضد اليهود المصلحين وذلك بحشد القوات المحافظة وتعبئتها بأفكار ومفاهيم مضادة للإتجاه الاصلاحى . وقد كانت قرارات مؤتمر بتسبرغ 1885 سببَ مجابهته للفكر الاصلاحى ، و أقنعته تلك القراراتُ بضرورة تأسيس تيار ينتهج خط الوسط بين الفكر الأرثوذكسي والإصلاحي (أى التيار المحافظ) و قام بتأسيس (كلية اللاهوت اليهودية) عام 1887 التى قامت بتخريج حاخامات محافظين ، وكانت هذه الكلية منبر الفكر المحافظ ، وقامت عليها الحركة المحافظة بعد أن أعدت حاخامات محافظين . و يُعد تأريخُ تأسيس هذه الكلية تأريخَ ميلاد اليهودية المحافظة . وقد ظل موريه رئيساً لهذه الكلية حتى موته . [2]
وقد أعاد سولومون شختر (1847–1915) (رائد اليهودية المحافظة) تنظيم هذه الكلية، وجعلها مركز الفكر المحافظ بعد ان اوضح الخطوط العريضة للحركة المحافضة ..

وكان المفكر المجرى (ألكسندر كوهوت) (1842–1894) Alexander Kohut أحداً من منظّرى الفكر المحافظ و قد كان " من أكبر مهاجمي الحركة اليهودية الاصلاحية ، وخصوصاً مقررات مؤتمر بتسبرغ . و لعب كوهوت دوراً مهماً فى تأسيس كلية اللاهوت اليهودية . وأهم مؤلفاته أخلاق الآباء (1885) ، ومعجم من ثمانية أجزاء للمصطلحات التلمودية . [3] "

يبدو أن هذين الكتابين قد **أُلِّفا** لغرض خدمة التراث اليهودى من ناحية تأريخه وآدابه ونصوصه المقدسة . و إحياء التراث اليهودى وتقديسه ، بل تقديس كل ما يتعلق بالشعب اليهودى وكل ما يقرره هذا الشعب ، يُعد من أهم الفلسفة التى قامت لأجلها الحركةُ المحافظة وعملت كثيراً فى سبيل تحقيقها.

بعد كل هؤلاء المفكرين المحافظين جاء المفكر (سولومون شختر) Solomon Schechter (1847–1915).فقد نظم هذا الحاخام صفوف التيار المحافظ، و أعاد تنظيم كلية اللاهوت اليهودية عام 1902 بعد أن ترأسها وقد كانت هذه الكلية منبع الفكر المحافظ، وجعلها شختر أكثر تنظيماً و أصالةً . حيث رسم لها الفلسفةَ التى يجب أن تمشى عليها ، وهى الحفاظ على تراث وثقافة اليهود

---

[1] المرجع نفسه، المدخل نفسه.

[2] أنظر المرجع نفسه ، م5 ، ج3 ، ب7 ، مدخل (ساباتو موريه " 1823 – 1897 ").

[3] المرجع نفسه، م5 ، ج3 ، ب7 ، مدخل (ألكسندر كوهوت " 1842 – 1894 ").

وتطوير هذا التراث. ولا يزال هذا المعهد الدينى له تأثير كبير فى فكر المحافظين اليهود ويعد مركز الفكر المحافظ فى الوقت الحالى..

ثانياً : أهم أفكار اليهودية المحافظة

إنّ اليهودية المحافظة عبارة عن مجموعة من التيارات الفكرية الّتي تقاربت أفكارها ، وشكلت في الأخير تحالفاً دينياً وفكرياً سمّي (اليهودية المحافظة) . فهذه الحركة قد ضمت أفكار العديد من المفكرين اليهود في القرن التاسع عشر، ورسمت لنفسها أهدافاً واستراتيجيات، خاصة منذ أوائل القرن العشرين. بقيادة سولومون شختر. من الممكن أن نرسم أهم أفكار الحركة المحافظة الّتي تميزها عن باقي التيارات اليهودية . فضلاً عن أنّها في بعض هذه الأفكار تشابه حركة اليهودية الأرثوذكسية أو الإصلاحية، لكن في التفاصيل وطرق تطبيق النظريات وتحقيق المفاهيم تتباعد عن هذه التيارات . ضمن نقاط متسلسلة على النحو التالي : .

1. يرى اليهود المحافظون أن هدفهم الأساسي هو التمسك بالتراث اليهودي والحفاظ على استمراريته ، وذلك لأنهم يرون أنّه هو الجوهر، وما عدا ذلك من العبارات والعقائد فهو يظهر بشكل عضوي وتلقائي متجدد. فالمحافظون على الرغم من وجود آراء مختلفة بينهم، إلاّ أنهم وجدوا رابطة مشتركة فيما بينهم وهي اتفاقهم على ضرورة إبقاء إستمرارية الماضي والتراث الديني والشعبي والإجتماعي. [1]

من هنا فقد أكدت اليهودية المحافظة على حفظ التراث اليهودي بكلّ أبعاده، وليس الدين إلاّ جزءاً من هذا التراث، ويكسب التراث مرجعيته بسبب ولادته من الشعب اليهودي. فإذا كانت اليهودية الأرثوذكسية محاولة لإرجاع الأمور إلى مصدر إلهي ، وللتأكيد على مرجعية الدين وليس اليهود إلاّ أتباع هذا الدين، فإن اليهودية المحافظة هي محاولة إرجاع الأمور إلى الشعب، وليس الدين إلاّ جزءاً من تراث هذا الشعب. هذا هو جوهر وفلسفة التيار المحافظ .

فالعقيدة اليهودية حسب الفكر المحافظ تعبير عن روح الشعب اليهودي الثابتة ، وهذه العقيدة تطورت عبر التأريخ و أخذت أشكالاً مختلفة ، و هي قادرة على التكيّف مع اللحظة التأريخية ، فاليهودية ليست مجموعة عقائد ثابتة وإنما هى تراث آخذ في التطور التأريخي الدائم ومن هنا كان إطلاق اسم (اليهودية التأريخية) على التيار المحافظ . لكن أي تغيير على هذه العقائد لابد أن يكون معبراً عن روح الشعب اليهودي وهويته القومية.

فالدين هو قطعة متطورة – متكيفة مع اللحظة التأريخية –من الفلكلور اليهودي أوالقومية اليهودية.[2]

---

[1] أنظر المرجع نفسه، مدخل (اليهودية المحافظة: تأريخ) المرجع السابق ، وانظر ، Encyclopedia Britannica مادّة : Conservative Judaism .

[2] للتفصيل أنظر موسوعة اليهود ، المرجع نفسه، م5 ، ج3 ، ب7 ، مدخل (اليهودية المحافظة: الفكر الديني).

2. على الرغم من أن اليهودية المحافظة كانت الخط الوسط بين الفكر الإصلاحي والأرثوذكسي، إلاّ أنّها اشتركت في بعض العناصر الأساسية لكل من الفريقين الإصلاحي والأرثوذكسي. فبالنسبة لليهودية الإصلاحية الّتي كانت الحركة المحافظة ردّ فعل لها إنّ هناك " عنصراً مشتركاً أساسياً بينهما، فهما يهدفان إلى حلّ إشكالية الحلول الإلهي في الشعب اليهودي ومؤسساته القومية. والصيغة الحلولية التقليدية تجعل الشعب اليهودي مقدّساً ومطلقاً يشير إلى ذاته، وهو أمر لا يمكن أن تقبله الدولة القومية الحديثة الّتي تجعل نفسها موضع الإطلاق والقداسة ولا العصر الحديث الّذي جعل العلم موضع الإطلاق. وتحاول كل من اليهودية الإصلاحية واليهودية المحافظة أن تصل إلى صياغة حديثة لليهودية ... عبر التأريخ في أشكال مختلفة. [1] "

فالمحافظون والإصلاحيون قد اتفقوا على ضرورة تحديث اليهودية، لكن الفريقين اختلفا في مسألة أساليب وطرق هذا التحديث " فبينما قام الإصلاحيون باتباع النموذج الإندماجي، قام المحافظون بتحديث اليهودية عن طريق تبنّي النموذج الشعبي، أي تقديس الشعب وتأريخه وتراثه وأرضه. [2] "
هذا بالنسبة لتشابه الحركة المحافظة مع الحركة الإصلاحية .

أمّا بالنسبة لليهودية الأرثوذكسية " فإن تشابه اليهودية المحافظة بنيوياً مع اليهودية الأرثوذكسية واضح وقوي . بل إن الفروق بينهما طفيفة وغير جوهرية ، فكلتاهما تدور في إطار الحلولية التقليدية دون أن توسع نطاقها لتضم غير اليهود (كما فعلت اليهودية الإصلاحية) ولذا نجد أن كلاً من اليهودية المحافظة واليهودية الأرثوذكسية تؤمنان بالثالوث الحلولي : الإله (أو التوراة) و الشعب ، و الأرض ، و على حين يؤكّد الأرثوذكس أهميةَ الإله و الوحي و التوراة ، نجد المحافظين يبرزون أهميةَ الشعب وتراثه وتأريخه ، أي أنّ الإختلاف ينصرف إلى تأكيد أحد عناصر الثالوث الحلولي على حساب عنصر آخر. ويضفي كلا الفريقين هالةً من القداسة على حياة اليهود وتأريخهم ، وهي قداسة يرجعها الأرثوذكس إلى أصول إلهية ويرجعها المحافظون إلى أصول قومية أو إلى روح الشعب . [3] "

من هنا نرى أن الأدب اليهودي المحافظ رسّخ فكرة الحلول اليهودية لكن بأسلوب مغاير للتيارات اليهودية السابقة. فهو قد أكدّ قداسة الشعب و مرجعيته بدلاً من الإله. فإذا شعرنا بوجود أصول دينية وتوحيدية في الفكر الأرثوذكسي، فإننا لا نرى هذه الأصول في الفكر المحافظ، وإذا كان الدين اليهودي هو كلّ ما نادى به وعالجه الأرثوذكس ، فإنّه في الفكر المحافظ يكون أحد مكونات التراث اليهودي، وجزءاً من كلّ أكبر أقدس.

3. كان المحافظون لديهم موقف ايجابي حول علم اليهودية (أى : دراسة اليهودية بشكل تأريخي ونقدي) و رأوا أنّه هو تطور إيجابي يساعد اليهود على فهم ديانتهم وأنفسهم أيضاً، كما يساهم

---

[1] المرجع نفسه، المدخل نفسه .

[2] المرجع نفسه، المدخل نفسه.

[3] المرجع نفسه، المدخل نفسه.

هذا العلم في جعل اليهودية ديانة متكيفة مع الأزمنة الجديدة ويجعلها نسقاً دينياً متطوراً وخلاقاً. لكن مع هذا فإن اليهودية المحافظة وقفت ضد اليهودية الإصلاحية في مسألة التغيير أو الإصلاحات الدينية، فقد نادى زكريا فرانكل بأن يكون أي تغيير أو تطوير لليهودية نابعاً من أعماق اليهودية، وكان يقصد بذلك أن يكون التغيير نابعاً من روح الشعب العضوي، لأن الشعب كان قد احتلّ مرتبة المرجعية العليا في الفكر المحافظ ، أي يُهمَل أيُ تغيير من قِبَل بعض من رجال الدين ، أي أيُ تغيير نابعٍ من خارج أعماق اليهودية . وكان لـ (سولومون شختر) نفس الرأي، حيث اقترح عدم ترك الأمور في أيدي قلّة من رجال الدين يقومون بإحداث التعديلات أو تفسير الشريعة كيفما شاءوا. واقترح بديلاً مناسباً لذلك وهو أن يقوم متكلمون مختارون – أي يمثلون الشعب اليهودي – باسم الجماعة، وتقوم هذه الجماعة باكتشاف اليهودية بدراسة التراث والتقاليد والأدب اليهودي.

مع هذا الموقف الإيجابي حول علم اليهودية، فإن المحافظين لم يتخذوا موقفاً نقدياً من التوراة أو التراث اليهودي كما فعل الإصلاحيون، علماً بأن المحافظين كانوا من المؤمنين بأن الكتاب المقدس مجموعة من الأقوال والأساطير الشعبية، وأنّه مع الشريعة الشفوية خرافةٌ ابتدعها مجموعة من الحاخامات، و أن التراث الديني ليس مرسلاً من الإله، بل هو تعبير عن الشعب اليهودي وصادر عنه. أي إن المحافظين هم بين تأييد للتحديث والتطوير والمحافظة على التراث والقديم، فهناك رغبة ضمنية للتغيير والتطوير مع الميل إلى المحافظة . هذه هي السمة الأساسية للفكر المحافظ وتصوراته حول جميع المسائل اليهودية. [1]

4. وقد اتخذ الإصلاحيون الموقف الوسط في مسألة ولاء اليهودي للوطن الّذي يعيش فيه. فقد كان الإصلاحيون نادوا بالإندماج الكلي في المجتمعات والتخلّي عن فكرة الشعب المقدس أو فكرة العودة إلى صهيون . [2]وذلك كمحاولة لتعميق ولاء اليهودي لوطنه الّذي يعيش فيه. أما الأرثوذكس فقد عمّقوا الدلالات القومية لليهودية وقد أيدوا – خاصة في أواخر القرن التاسع عشر، أى اثناء ظهور الحركة الصهيونية – فكرة العودة إلى صهيون، ولم يعتقدوا أبداً بالولاء للأوطان الّتي كانوا يعيشون فيها .

أما في الفكر المحافظ فإننا نرى نهجاً وسطاً في هذه المسألة يؤكد على أن " الأمل في العودة إلى صهيون فكرة أثيرة لدى اليهودي لابد من المحافظة عليها. ومع هذا ، لا يتنافى هذا الأمل ، بأية حال ، مع الولاء للوطن الّذي يعيش فيه اليهودي . [3] " فقد كان هذا المنهج ميلاً في آن واحد إلى الأخذ بالدلالات القومية والمفاهيم اليهودية التقليدية مع مراعاة الحياة الحديثة وعدم أخذ مسألة الإنعزال عن الشعوب على محمل الجد. ومع ذلك فإن المحافظين لم يؤيّدوا فكرة

---

[1] للتفصيل حول هذه النقطة عموماً أنظر المرجع نفسه، المدخل نفسه.

[2] لمعرفة المزيد حول فكرة (العودة إلى صهيون) ، أنظر ص (223 . 229) من هذه الدراسة .

[3] موسوعة اليهود و اليهودية ، مدخل (اليهودية المحافظة: الفكر الديني) ، المرجع السابق .

الإندماج أبداً، ونادوا بضرورة الحفاظ على اليهود من الإنصهار في المجتمعات ، وفي هذا السياق يقول سولومون شختر في خطاب له بكلية اللاهوت اليهودية : " إن معنى الإندماج في الأمم هو فقدان الذاتية، وهذا النوع من الإندماج مع ما يترتب عليه من النتائج، هو ما أخشاه اكثر مما أخشى المذابح والإظطهادات. [1] "

أي ان المحافظين لم يرفضوا الولاء للوطن لكن رفضوا بشدة الإندماج الّذي فسّروه بأنه ذوبان الشعب اليهودي وفقدان للهوية اليهودية .

5. في مسألة عودة الماشيّح ، كان المحافظون لا يؤمنون بالعودة الفعلية والشخصية ، كما دان بذلك الأرثوذكس . وبدلاً من فكرة العودة الفعلية طرحوا فكرة العصر المشيحاني الّذي سيحقق بالتدريج . لكن طرحهم لتلك الفكرة كان مختلفاً للّتي طرحها الإصلاحيون في مؤتمر (بتسبرغ) 1885 الّتي دعت إلى العصر المشيحانى بدلاً من الفكرة الأرثوذكسية القائلة بالعودة الشخصية للماشيّح. فقد كان الإصلاحيون طرحوا فكرةً تجاوزت حدود الشعب اليهودي وشخص الماشيح وارتبطت بكلّ البشر ، حيث فسّروا هذا العصر بأنه هو الذي سيحلّ فيه السلام والكمال و يأتي في هذا العصر الخلاصُ إلى كلّ الجنس البشري ، وينتشر العمران والإصلاح. [2]

أما المحافظون فقد خصّصوا فكرة العصر المشيحاني بالشعب اليهودي، ولن يبدأ هذا العصر بالإصلاح الذاتي اليهودي الّذي نادى به الأرثوذكس . كمقدمة للعودة الشخصية للماشيح ، ولا بإصلاح اليهودية والنظم السياسية والعمرانية والدينية في العالم كما طالب بذلك الإصلاحيون لأجل تحقيق فكرة العصر المشيحاني ، بل يبدأ العصر المشيحاني حسب تصور المحافظين بتأسيس الدولة اليهودية " ويصبح تأسيس الدولة اليهودية ، داخل هذا الإطار ، خطوةً أولى نحو تحقيق هذا العصر . [3] "

6. قد التزم المحافظون بشدّة بالحفاظ على اللغة العبرية واستخدامها في الطقوس الدينية حتى لا ينساها أبناء اليهود. وطالبوا بأن تكون الصلوات بتلك اللغة، مع عدم المنع في تلاوتها باللغات المحلية إذا لزم الأمر.[4]

ويتضح إهتمام المحافظين باللغة العبرية من خلال أقوال وآراء مفكري التيار المحافظ ، نذكر على سبيل المثال رأي سولومون شختر (1847 – 1915) رائد الحركة اليهودية المحافظة حول ضرورة اللغة العبرية لليهود في كلّ العصور ، فقد قال في أوائل القرن العشرين :

" اللغة العبرية هى الخزانة الّتي أودعنا فيها كل نفيس من حياة بني إسرائيل الروحية، ولولاها لَفُصِلْنا من الشجرة الكبرى الّتي هي بمثابةالحياة للمتصلين بها، إن اليهود الإغريقيين هي الطائفة الوحيدة المعروفة في التأريخ بمحاولتها هذه التجربة للتخلّص من اللغة العبرية وقد خاب فألها، وسارت في طريق

---

[1] نقلاً عن شلبي ، مقارنة الأديان، المرجع السابق، ج1 ، ص59.

[2] راجع ص (157) من دراستنا ، فهناك المزيد من المعلومات حول هذا الموضوع.

[3] موسوعة اليهود واليهودية ، مدخل (اليهودية المحافظة : الفكر الديني) ، المرجع السابق.

[4] أنظر المرجع نفسه، المدخل نفسه، وانظر ، Encyclopedia Britannica مادّة. Conservative Judaism :

الإضمحلال ثم انتهت إلى الهلاك. وأخيراً ارتدّت جملة عن الدين اليهودي، فلنتجنب مغالطة أنفسنا، ليس هناك أيُ مستقبل لليهود الّذين يقاومون اللّغة العبرية.[1] "

من خلال هذه الكلمات يتضح لنا إلتزام زعماء التيار المحافظ باللغة العبرية، وقد جعلها شختر جوهر اليهودية كديانة وقومية، وعدّها من المكوّنات الأساسية الّتي لولاها لاختفى اليهود من الوجود، وأي محاولة لطمس معالم وفعالية هذه اللغة هي بمثابة خنق الديانة اليهودية. وهو في ذلك محق، حيث كانت اللغة العبرية عبر تأريخ الجماعات اليهودية المنتشرة في بلدان العالم حلقة الوصل والرابط المشترك بين أعضاء تلك الجماعات، وكانت العبرية جوهر القومية الروحية المقدسة لدى اليهود وكانت لسانَ هذه القومية عبر العصور.

7. هناك اختلاط جوهري في الفكر المحافظ بين التأريخ اليهودي والوحي او الشريعة اليهودية. فقد كان سولومون شختر يرى " أن الوحي الإلهي قد عبّر عن نفسه من خلال التراث، وأن العهد القديم ليس كتاباً مقدّساً فحسب بل هو كتاب تأريخي يهودي... وهو ليس أكثر الأشياء اهميةً في حياة اليهود وإنما هو واحد من تعبيرات الذات والعبقرية اليهودية عن نفسها، ولهذا يتحول مركز السلطة أو الحلول الإلهي من العهد القديم (كلمة الإله) نفسه إلى كيان حي آخر (تأريخ الشعب اليهودي) أو حتى الشعب اليهودي نفسه، ففي تأريخ هذا الشعب يمكننا أن نعثر على المادة الخام لأي لا هوت يهودي.[2] "

وبهذا فقد نقل شختر القداسة والمرجعية من الإله إلى الشعب بتأريخه وتراثه، وبهذا يتغير موضوع الحلول المقدس، فقد كان في اتجاهات الفكر اليهودي السابقة يتم حلول الإله في النصوص والشعب وبذلك يأخذ هذان الأخيران القداسة الإلهية، أما في الفكر المحافظ فإن حلول الشعب اليهودي في النصوص الدينية هو جوهر فكرة الحلول. فهذا الشعب بعبقريته الخاصة هو أساس أهمية النصوص الدينية لدى المحافظين ، فالنصوص مقدسة لأنها تعبير عن تراث الأجداد.

وهكذا فقد أكّد المحافظون على ربط الشريعة بالتأريخ اليهودي، فالتأريخ اليهودي لا يمكن فهمه بدون فهم الشريعة اليهودية .

---

[1] نقلاً عن شلبي، مقارنة الأديان، المرجع السابق، ج1 ، ص138.

[2] موسوعة اليهود واليهودية ، م5، ج3، ب7، مدخل (سولومون شختر " 1847 – 1915 ").

وكانت معظم دراسات المفكر المحافظ لويس جنزبرج [1] Louis Ginzburg تؤكّد على أنّ "التأريخ اليهودي والحضارة اليهودية لا يمكن فهمها دون معرفة كاملة بالشريعة، أي أنّه يرى أن هناك تداخلاً بين الشريعة وروح الشعب اليهودي،وهذا هو الموضوع الأساسي في اليهودية المحافظة.[2] "

8. كان المحافظون لديهم نظرة خاصة في مسألة الشعائر الدينية ، تتّسم هذه النظرة بقسط كبير من الوسطية أو الطريق الوسط بين الإفراط في هذه الشعائر والتفريط فيها. فهم مع إصرارهم على إلزامية الشعائر يرون أنها يجب أن تظلّ مرنة بحيث تسمح بالتغيير ومواكبة العصر الحديث، وسدّ حاجات الفرد اليهودي الحديث. فقد كان المحافظون لا يمانعون في إدخال بعض التعديلات على الشعائر الدينية، فهم مثلاً يقيمون بعض طقوس السبت.

وكانوا قد سمحوا باختلاط الجنسين أثناء الصلاة ، بل وأصبحت النساء تعتبر جزءاً من النصاب المطلوب لإقامة صلاة الجماعة. وسمحوا – على عكس الأرثوذكس – بوجود حاخامات من الإناث ومنشدات (حزان). وقد أبقوا على الختان، وعلى القوانين الغذائية (كاشروت) مع ادخال بعض التعديلات عليها حيث أجازوا هذه التعديلات عند الضرورة، والتزامهم بالقوانين الغذائية (الطعام المباح شرعاً) جاء بسبب قناعتهم بأن هذه القوانين تعتبر جزءاً من الفلكلور اليهودي.

وقد أقام المحافظون الصلاة بشال الصلاة (طاليت) وتمائم الصلاة (تفيلين). وهذا أيضاً يعتبر جزءاً من التقاليد اليهودية المتوارثة من الأجداد عبر التأريخ. [3]

9. أما بالنسبة لموقف اليهودية المحافظة حول الصهيونية، فقد أيّدتها منذ البداية. فالفكر المحافظ يرى الدين اليهودي باعتباره الفلكلور اليهودي، أو الروح القومية اليهودية وفي ذلك نرى نفس التوجه في الفكر الصهيوني العلماني .

---

[1]وُلد في ليتوانيا(1873–1953)... وأكمل دراسته الجامعية في ألمانيا والنمسا عام 1898 . هاجر إلى الولايات المتحدة ليقوم

بالتدريس في كلية الاتحاد العبري، ثم انضم إلى هيئة محرري الموسوعة اليهودية (القديمة). وتُعَدُّ المقالات التي كتبها لهذه الموسوعة من أهم الدراسات في مجالها.انضم عام 1903 إلى كلية اللاهوت اليهودية، وظل في منصبه هذا حتى وفاته... من أهم

دراساته أساطير اليهود (في سبعة أجزاء) حيث جمع كثيراً من الأساطير والقصص (أجاداه) وصاغ منها تاريخاً متواصلاً يستند إلى حياة الآباء وأبطال اليهود وأنبيائهم، كما كتب دراسات عن مرحلة الفقهاء (جاءونيم) وعن التلمود البابلي./ موسوعة اليهود واليهودية ، م5 ، ج 3 ، ب7 ، مدخل (لويس جنزبرج (1873–1953 () .

[2]المرجع نفسه، المدخل نفسه.

[3]للمزيد أنظر المرجع نفسه ، مدخل (اليهودية المحافظة : الفكر الديني) ، وانظر ، Encyclopedia Britannica مادّة : Conservative Judaism .

وفي مسألة فكرة القداسة (قداسة كل ما يتعلق باليهود) فإن اليهودية المحافظة والصهيونية تشبهان رؤية اليهودية الأرثوذكسية لتلك الفكرة ، إلاّ أن المحافظين الصهاينة قد علمنوا فكرة القداسة والحلولية المتطرفة الأرثوذكسية، كلّ من الفريقين على طريقته. فقد فسر كلا الفريقين المسائل الّتي تشملها القداسة تفسيراً حلولياً علمانيا حديثاً، أي عملوا على إبقاء جانب القداسة لكن بصورة جديدة وأسلوب حديث .

والمسائل المقدسة تتكون من شيئين رئيسيين هما : الشعب اليهودي بكلّ ما يتعلق به من تأريخه ولغته وتقاليده، والثاني هو النصوص الدينية بكلّ ما يتعلق بها من أصولها وتعاليمها وشرائعها.

وإذا أمعنا النظر في أفكار واتجاهات اليهودية المحافظة فإننا نرى انها هي المدرسة الحلولية التقليدية بصورتها القومية والشعبية، فقد أكدت هذه المدرسة ترجيح كفة الجانب البشري أو المخلوق على الجانب الإلهي أو الخالق، وهذا هو جوهر الفكر الصهيوني. [1]

تقول موسوعة اليهود واليهودية " : [2] قد ارتبطت اليهودية المحافظة بالصهيونية منذ البداية، ويمكننا أن نعد الصهيونية الثقافية الّتي كان يدعولها آحاد هعام [*] ضرباً من ضروب اليهودية المحافظة ... و بالفعل تبنت اليهودية المحافظة رؤية آحاد هعام للجماعات اليهودية في العالم (الدياسبورا) ورفضت المفهوم الصهيوني الخاص بضرورة نفي الدياسبورا (أي محوها أو استغلالها)، وطالبت باحترامها واحترام تراثها التأريخي. "

في الحقيقة حين ظهرت الحركة الصهيونية توقف كل التيارات اليهودية المختلفة عن تحقيق أهدافها ، وبدأت بتوظيف تعاليمها في خدمة ومساندة الحركة الصهيونية .

وبالنسبة للتيار المحافظ فإنه في أساسه وبنيته الفكرية دعم الأفكار الصهيونية و بالتالي المشروع الصهيوني السياسي والقومي. بل قد كان الفكر المحافظ الخلفية الفكرية للزعماء الصهاينة والمصدر الفكري الّذي أثّر في فكر هؤلاء الزعماء بشكل أو بآخر .

---

[1] للمزيد أنظر موسوعة اليهود ، المرجع نفسه، م5 ، ج3 ، ب7 ، مدخل (اليهودية المحافظة والصهيونية).

[2] المرجع نفسه، المدخل نفسه.

[*] للتعرف على فلسفته الثقافية الروحية في الصهيونية ، أنظر ص (261 . 263) من هذه الدراسة .

فعلى سبيل المثال نرى هذا التأثير واضحاً في موقف كلّ من زكريا فرانكل و بن جوريون [3] حول (التراث اليهودي).

" ففرانكل يرى أن الدين اليهودي هو التعبير الديني عن روح الأمة اليهودية ، وهو بمنزلة إجماعها الشعبي العام . ولذا، يجب ألا تثار مسألة ما إذا كان القانون من أصل سماوي أو أرضي، فمادام القانون يعبِّر عن هذا الإجماع الشعبي العام فيجب أن يبقى ساري المفعول. ويشبه هذا الموقف، في كثير من الوجوه، موقف بن جوريون من أسطورة العهد الذي قطعه الإله على نفسه بمنح اليهود أرض كنعان، فبالنسبة لبن جوريون لا يهم إن كانت هذه الواقعة حقيقةً إلهية أم لا، فالمهم هو أن تظل هذه الأسطورة مغروسةً في الوجدان اليهودي ، لذا يجب أن تبقى سارية المفعول حتى بعد أن ثبت أن الوعد المقطوع مجرد أسطورة شعبية ليس لها أي مصدر إلهي. [1] "

وعلى الصعيد العملي ساعد المحافظون الحركة الصهيونية و دعموا تنظيمها بشكل نشيط، بل وقد عملوا داخل الحركة الصهيونية ، حيث تأسست منظمة (مركاز) الإسم المختصر لعبارة (Movement to Reaffirm Conservative Zionism)أي حركة إعادة تأكيد الصهيونية المحافظة، والأمر لم يتوقف عند هذا الحد بل أصدرت الجمعية الأمريكية للحاخامات قراراً تدعو فيه أعضاء اليهودية المحافظة ومعابدها للإنضمام إلى المنظمة الصهيونية العالمية بشكل جماعي . [2]

---

[3]**ديفيد بن جوريون) 1886 – 1973** : (زعيم صهيوني... وُلد في بلدة بلونسك ببولندا.. وقد بدأ بن جوريون نشاطه الصهيوني وهو بعد صبي في سن الرابعة عشرة، إذ كان أبوه عضواً في جماعة أحباء صهيون... تَجنَّس بن جوريون بالجنسية العثمانية مع نشوب الحرب العالمية الأولى لكيلا يُطرَد لأنه رعية روسية ومعاد للعثمانيين. وحينما نفته السلطات التركية بسبب نشاطه الصهيوني الاستيطاني، رحل إلى مصر... وعارض في البداية فكرة الفيلق اليهودي على أساس أن هذا يُعرِّض اليهود الاستيطانيين في فلسطين لغضب العثمانيين وانتقامهم. وذهب إلى الولايات المتحدة حيث أسَّس جماعة الرائد وساهم في تكوين الفيلق اليهودي التابع للجيش البريطاني وعاد معه إلى فلسطين عام 1918 . موسوعة اليهود واليهودية ، م7 ، ج 4 ، ب3 ، مدخل (ديفيد بن جوريون) 1886 – 1973 () .

[1]المرجع نفسه ، مدخل (اليهودية المحافظة والصهيونية).

[2]أنظر المرجع نفسه، المدخل نفسه.